

الكتاب: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)

المؤلف: السيد جعفر مرتضى

الجزء: ٣

الوفاة: معاصر

المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة

تحقيق:

الطبعة: الرابعة

سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥ م

المطبعة:

الناشر: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان / دار السيرة -

بيروت - لبنان

ردمك:

ملاحظات:

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم (ص)

(١)

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم (ص)
(مدخل لدراسة السيرة والتاريخ)
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضي العاملي
الجزء الثالث

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الرابعة

١٩٩٥ م ١٤١٥ هـ

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تلکس: ٢٠٧٧٧٢٢٥٩٧ - mcs بلاغ

-

ص ب: ٢٨٦ / ٢٥ غبيري - بيروت - لبنان.

دار السيرة - بيروت لبنان - ص. ب: ٢٥ / ٤٩

الفصل الثالث:
الاسراء والمعراج:

(٥)

الاسراء والمعراج: بعد بعثة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وفي أثناء المرحلة السرية، التي استمرت ثلاث، أو خمس سنوات، كان - علي الأرجح - الاسراء والمعراج: الاسراء إلى بيت المقدس، حسب نص القرآن الكريم.

والمعراج من هناك إلى السماء، الذي وردت به أخبار كثيرة. وحيث إن التفاصيل الدقيقة لهاتين القضيتين يصعب الجزم في كثير منها إلا بعد البحث الطويل والعميق. وذلك لأن هذه القضية، وجزئياتها قد تعرضت على مر الزمان للتلاعب والتزويد فيها، من قبل الرواة والقصاصين، ثم من قبل أعداء الاسلام؟ بهدف تشويه هذا الدين، وإظهاره على أنه يحوي الغرائب والعجائب، والأساطير والخرافات، لأسباب شخصية، وسياسية وغيرها. ولم يسلم من مكائد هؤلاء حتى رموز الاسلام، وحفظته وأئمة المسلمين أيضا.

وقد حذر الإمام الرضا " عليه السلام " من هؤلاء - حسبما روي عنه - حيث قال لابن أبي محمود: " إن مخالفتنا وضعوا أخبارا في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها: الغلو. وثانيها: التقصير في أمرنا.

وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا. فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا، ونسبوههم إلى القول بربوبيتنا. وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا. وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا وقد قال الله عز وجل: ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم (١) ". وبعد ما تقدم، فإن التعرض لبحث التفاصيل الدقيقة لقضية الاسراء والمعراج يحتاج إلى توفر تام، وتأليف مستقل؟ ولذا فنحن لا نستطيع في هذه الفرصة المتوفرة لنا أن نعطي تصورا دقيقا عنه. وعلى هذا فسوف نكتفي بالإشارة إلى بعض الجوانب التي رأينا: أن من المناسب التعرض لها؟ فنقول: متى كان الاسراء والمعراج: إن المشهور هو أن الاسراء والمعراج قد كان قبل الهجرة بمدة وجيزة؟ فبعضهم قال: ستة أشهر، وبعضهم قال: في السنة الثانية عشرة للبعثة، أو في الحادية عشرة أو في العاشرة. وقيل: بعد الهجرة (٢). وفي مقابل ذلك نجد البعض يقول: إنه كان في السنة الثانية من البعثة (٣)، وقيل. في الخامسة، وقيل في الثالثة - وهو الأرجح عندنا - ولعل ابن عساكر يختار ما يقرب مما ذكرنا، حيث إنه ذكر الاسراء في أول البعثة كما ذكره عنه ابن كثير (٤)

-
- (١) راجع: البحار ج ٢٦ ص ٢٣٩ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٣٠٤.
(٢) راجع: السيرة الحلبية، وتاريخ الخميس، وغير ذلك.
(٣) البحار ج ١٨ ص ٣١٩ عن العدد، ونقل ذلك عن الزهري في عدة مصادر.
(٤) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٨.

وقال مغلطاي، بعد أن ذكر بعض الأقوال: " وقيل: كان بعد النبوة بخمسة أعوام، وقيل: بعام ونصف عام. وقال عياض: بعد مبعثه بخمسة عشر شهرا (١) "

وقال ملا علي القاري: " وذكر النووي: أن معظم السلف، وجمهور المحدثين والفقهاء على أن الاسراء والمعراج كان بعد البعثة بستة عشر شهرا (٢) "

وقال ابن شهر آشوب: " ثم فرضت الصلوات الخمس بعد اسراءه في السنة التاسعة من نبوته (٣) ". ولكنه لم يبين لنا تاريخه باليوم والشهر. وقال الديار بكري: " فأما سنة الاسراء، فقال الزهري: كان ذلك بعد المبعث بخمس سنين. حكاه القاضي عياض، ورجحه القرطبي، والنووي. وقيل: قبل الهجرة بسنة إلخ (٤) "

الأدلة على المختار:

وأما ما يدل على أن الاسراء قد كان في السنوات الأولى من المبعث؟ فعدا عن الأقوال المتقدمة، ولا سيما ما ذكره الزهري والنووي، نشير إلى الأمور التالية:

١ - ما روي عن ابن عباس أن ذلك كان بعد البعثة بسنتين (٥) وابن

(١) سيرة مغلطاي ص ٢٧.

(٢) شرح الشفاء للقاري ج ١ ص ٢٢٢.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٤٣.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٧.

(٥) البحار ج ١٨ ص ٣١٩ و ٣٨١ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٧، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٦. حيث ذكر ذلك بعد المبعث، وقبل الانذار.

عباس كان أقرب إلى زمن الرسول، واعرّف بسيرته من هؤلاء المؤرخين، فإذا ثبت النص عنه قدم على أقوال هؤلاء.

ولربما لا يكون هذا مخالفا لما تقدم عن الزهري وغيره، إذا كان ابن عباس لا يحسب الثلاث سنوات الأولى، على اعتبار: أنه "صلى الله عليه وآله وسلم" إنما أمر بانذار الناس بعدها.

٢ - قد ورد عن الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام": أن الاسراء قد كان بعد ثلاث سنين من مبعثه (١).

وهذا هو الأصح والمعتمد.

٣ - ويدل على ذلك بشكل قاطع ما روي عن: ابن عباس، وسعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، والإمام الصادق "عليه السلام"، وعمر بن الخطاب، وعائشة، من أنه "صلى الله عليه وآله وسلم" قال لعائشة - حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته سيدة النساء، فاطمة "عليها السلام" -:

نعم يا عائشة، لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة، فناولني منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة في صلبى، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة؟ ففاطمة حوراء انسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها (٢).

(١) البحار ج ١٨ ص ٣٧٩ عن الخرائج والجراح.

(٢) تاريخ بغداد ج ٥ ص ٨٧، والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٩، ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٦٣ / ٦٤ وذخائر العقبي ص ٣٦، وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٩٧ و ١٦٠، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٦٥، وتلخيصه للذهبي، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٢، وينايع المودة ص ٩٧، ونزهة المجالس ج ٢ ص ١٧٩، ومناقب المغازلي ص ٣٥٨ والبحار ج ١٨ ص ٣١٥ و ٣٥٠، ٣٦٤، ونور الابصار ص ٤٤ و ٤٥ وعلل الشرائع ص ٧٢، وتفسير القمي ونظم درر السمطين ص ١٧٦ ومحاضرة الأوائل ص ٨٨ وملحقات إحقاق الحق للمرعشي ج ١٠ ص ١ - ١١ عن بعض من تقدم، وعن: أرجح المطالب ص ٢٣٩، ووسيلة المال ص ٧٨ / ٧٩، لاعراب ثلاثين سورة ص ١٢٠، وكنز العمال ج ١٤ ص ٩٧ و ج ٣ ص ٩٤، ومفتاح النجا ص ٩٨ مخطوط واخبار الدول ص ٨٧ - وعن ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٨ و ٢٥٣ و ج ٢ ص ٢٦ و ٨٤. والدرر المشور ج ٤ ص ١٥٣ عن الطبراني والحاكم. ٣

ومعلوم مما سبق: أن فاطمة قد ولدت بعد البعثة بخمس سنوات؟
فالإسراء والمعراج كانا قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر، ولعله قبل ذلك
بستين. حتى أذن الله لتلك النطفة بالظهور، والاستقرار في موضعها.
٤ - إن سورة الإسراء قد نزلت في أوائل البعثة، ويدل ذلك:
ألف - ما رواه البخاري وغيره، من أن قوله تعالى في سورة الإسراء
: " ولا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها " قد نزل بمكة، ورسول
الله " صلى الله عليه وآله وسلم " مختف. كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته
بالقرآن؟ فإذا سمع المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به
الخ (١).

ومعلوم: أن اختفاء النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " في دار الأرقم
إنما كان في أوائل البعثة.

وأجاب المحقق الروحاني على ذلك، بان من الممكن ان
يكون " صلى الله عليه وآله وسلم " حينئذ مختفيا في شعب أبي طالب.
ولكن، لنا ان نناقشه بان شعب أبي طالب لم يكن محل اختفاء
لهم، وانما كانوا محاصرين فيه، فالتعبير بالاختفاء يدل على أن ذلك قد
كان في أوائل البعثة.

(١) صحيح البخاري طبع سنة ١٣٠٩ ج ٣ ص ٩٩، والدر المنثور ج ٤ ص ٢٠٦ عنه
وعن: مسلم وأحمد والترمذي، والنسائي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن
أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والطبراني والبيهقي.

ووجود هجوم في سورة الإسراء على عقائد المشركين، لا يضر؟ إذا كانت السورة قد نزلت في أوائل البعثة.

ب - ما ذكره البعض في مقال له (١) من أن سورة الإسراء قد نزلت بعد الحجر بثلاث سرر (٢) وسورة الحجر قد نزلت في المرحلة السرية. وفيها جاء قوله تعالى: " فاصدع بما تؤمر، واعرض عن المشركين ". الأمر الذي تسبب عنه الجهر بالدعوة وإظهارها.

وايراد المحقق الروحاني هنا بان في السورة ما يدل على وجود الصدام بين النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " والمشركين. وهذا الصدام إنما حصل بعد الاختفاء في دار الأرقم، وبعد الاعلان بالدعوة. يجاب عنه بما تقدم، من أن من غير البعيد أن تكون هذه السورة قد نزلت تدريجاً؟ فبدأ نزولها في أول البعثة. ثم أكملت في فترة التحدي والمجابهة بين النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " والمشركين. ويدل على قدم نزولها أيضاً قول ابن مسعود عن سور الإسراء، والكهف، ومريم: انهن من العتاق الأول، وهن من تلاميذ (٣). وابن مسعود ممن هاجر إلى الحبشة، ورجع منها، والنبي " صلى الله عليه وآله وسلم " يتجهز إلى بدر (٤).

إلا أن يقال: إن ابن مسعود إنما هاجر إلى الحبشة بعد الطائف، أي في الهجرة الثانية، لا في الأولى؟ فلاحظ؟ فان ذلك لا يلائم قوله: انهن

-
- (١) راجع: مجلة الوعي الاسلامي المغربية عدد ١٦٣ ص ٥٦.
- (٢) راجع: الاتقان ج ١ ص ١١، وتاريخ القرآن للزنجاني ص ٣٧.
- (٣) صحيح البخاري ج ٣ ط سنة ١٣٠٩ ص ٩٦ والدر المنثور ج ٤ ص ١٣٦ عنه وعن ابن الضريس وابن مردويه.
- (٤) فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

من العتاق الأول.

٥ - ان سورة النجم التي يذكرون انها تذكر المعراج في آياتها - قد نزلت هي الأخرى في أوائل البعثة؟ فإنها نزلت بعد اثنتين أو ثلاث وعشرين سورة، ونزل بعدها أربعة وستون سورة في مكة (١)، وسيأتي في قصة الغرانيق المكذوبة أو المحرفة: أنهم يقولون: إنها انما نزلت بعد الهجرة إلى الحبشة بثلاثة أشهر. والهجرة إلى الحبشة إنما كانت في السنة الخامسة.

بل لقد قيل: إن سورة النجم هي أول سورة أعلن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بقراءتها؟ فقرأها على المؤمنين والمشركين جميعاً (٢). وإن كان من الممكن النقاش في كون آيات سورة النجم ناظرة إلى المعراج، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

٦ - ويؤيد كون هذه القضية قد حصلت في أوائل البعثة: انه حين عرج به " صلى الله عليه وآله وسلم " صار الملائكة يسألون: أو قد أرسل إليه؟ (٣). فان هذا يشير إلى أن ذلك إنما كان في أول بعثته " صلى الله عليه وآله وسلم " لا بعد عشرة أو اثني عشرة سنة، فان أمره " صلى الله عليه وآله وسلم " كان قد اشتهر في أهل السماوات حينئذ. بل يمكن أن يكون قد اشتهر ذلك منذ الأيام الأولى من البعثة.

٧ - ما يدل على أن الاسراء قد كان قبل وفاة أبي طالب: فإن بعض الروايات تذكر أن أبا طالب (ره) قد افتقده ليلته، فلم يزل يطلبه حتى وجده، فذهب إلى المسجد، ومعه الهاشميون، فسل سيفه عند الحجر، وامر

(١) راجع الاتقان ج ١ ص ١٠ - ١١ و ٢٥.

(٢) تفسير الميزان مجلد ١٩ ص ٢٦.

(٣) مجمع الزوائد ج ١ ص ٦٩ / ٧٠ عن البزار والموهوب اللدنية ج ٢ ص ٦، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٠.

الهاشميين باظهار السيوف التي معهم، ثم التفت إلى قريش، وقال: لو لم أراه ما بقي منكم عين تطرف. فقالت قريش: لقد ركبت منا عظيما (١)
٨ - ما روي من أن جبرئيل قال للنبي حين رجوعه: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام (٢).

٩ - وعن عمر: أن رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " قال: ثم رجعت إلى خديجة، وما تحولت عن جانبها (٣).

فكل ذلك يدل على أن هذا الحدث قد كان قبل وفاة شيخ الأبطح، وأم المؤمنين خديجة " رحمها الله " وهما قد توفيا في السنة العاشرة من بعثة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، فكيف يكون الاسراء والمعراج قد حصل في الحادية عشرة أو الثانية عشرة أو بعدها؟!.

تسمية أبي بكر بالصديق

إنه إذا تأكد لنا: أن الاسراء والمعراج كان في السنة الثالثة من البعثة. أي قبل أن يسلم من المسلمين أربعون رجلا؟ فإننا نعرف: أن الاسراء كان قبل اسلام أبي بكر بمدة طويلة؟ لأنه كما تقدم قد أسلم بعد أكثر من خمسين رجلا، بل إنما أسلم حوالي السنة الخامسة من البعثة، بل في السابعة أي بعد وقوع المواجهة بين قريش وبين النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أو بعد الهجرة إلى الحبشة فهو أول من أسلم بعد هذه المواجهة أو الهجرة - على الظاهر.

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٠، والبحار ج ١٨ ص ٣٨٤.

(٢) البحار ج ١٨ ص ٣٨٥ عن العياشي، عن زرارة، وحرمان بن أعين، ومحمد بن مسلم، عن الباقر (ع).

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٥.

وإذا كان الاسراء قد حصل قبل اسلامه بمدة طويلة، فلا يبقى مجال لتصديق ما يذكر هنا، من أنه قد سمي صديقا، حينما صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم " في قضية الاسراء (١)، ولا لما يذكرونه، من أن ملكا كان يكلم رسول الله حين المعراج بصوت أبي بكر (٢) وقد صرح الحفاظ بكذب طائفة من تلك الروايات (٣).

والصحيح: هو أنه قد كلمه بصوت علي " عليه السلام " (٤). وبذلك يظهر حال سائر ما يذكر هنا لهذا الرجل من فضائل ومواقف تنسب إليه في السنوات الثلاث الأولى من البعثة.

وبعد ما تقدم نقول: جاء في الشفاء عن أبي حمراء قال: قال رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم ": لما أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلي " عليه السلام " (٥).

الاسراء والمعراج في اليقظة أو في المنام:
يرى البعض: أن الاسراء قد كان بالروح فقط، في عالم الرؤيا،

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٥، والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٤٠ مستدرك الحاكم، وابن إسحاق.

(٢) ٤ المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٩ / ٣. وراجع الدر المنثور ج ٤ ص ١٥٥ وراجع ص ١٥٤.

(٣) راجع: الغدير ج ٥ ص ٣٠٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ فإنه قد نقل هذه الروايات وتكذيبها

عن: ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٧٠، ولسان الميزان ج ٥ ص ٢٣٥، وتهذيب

التهذيب ج ٥ ص ١٣٨، والسيوطي في الموضوعات، وابن حبان، وابن عدي.

(٤) المناقب للخوارزمي ص ٣٧ وينايع المودة ص ٨٣.

(٥) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣.

ويحتجون بما عن عائشة: ما فقدت جسد رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " (١).

وعن معاوية: انها رؤيا سالحة (٢). وحكي مثل ذلك عن الحسن البصري.

ولكن الصحيح هو ما ذهب إليه الإمامية ومعظم المسلمين من أن الاسراء إنما كان بالروح والجسد معا. أما المعراج فذهب الأكثر إلى أنه كان بالروح والجسد وهو الصحيح أيضا. ونحن نشير هنا إلى ما يلي: أولا: بالنسبة لعائشة، قال القسطلاني: " وأجيب: بان عائشة لم تحدث به عن مشاهدة؟ لأنها لم تكن إذ ذاك زوجا، ولا في سن من يضبط، أولم تكن ولدت بعد، على الخلاف في الاسراء متى كان " (٣). وأما معاوية فحاله معلوم مما ذكرناه في الجزء الأول: المدخل لدراسة السيرة.

وثانيا: قال تعالى: " سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى " (٤) وقال في سورة النجم - إذا كانت الآيات ناظرة إلى المعراج، ويرجع الضمير فيها إلى النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لا إلى جبرئيل - : " فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى " (٥).

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٨، والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢، والبحار ج ١٨ ص ٢٩١ وفي المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٧٧: أن الجهمية قالت بهذا.

(٢) البحار ج ١٨ ص ٢٩١ عن: المقاصد وشرحه، وراجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٨.

(٣) المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢.

(٤) الاسراء: ١.

(٥) النجم ٩ - ١٠.

فان لفظ العبد إنما يطلق على الروح والجسد معا، ولو كان مناما،
لكان قال: بروح عبده، وإلى روح عبده.

كما أن قوله تعالى: " ما زاغ البصر وما طغى " ظاهر في البصر
الحقيقي أيضا (١).

أضف إلى ذلك: أن آية سورة الإسراء، وآيات سورة النجم واردة
في مقام الامتنان. وفيها ثناء على الله، وعجيب قدرته، وذلك لا يحسن،
ولا يتم لمجرد رؤيا رآها النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "؟ إذ ربما يرى
غير النبي، وحتى الفاسق الفاجر رؤيا أعظم من ذلك.

هذا بالإضافة إلى أن الرؤيا عند عامة الناس لا تدل على عظيم
قدرته تعالى، إذ ربما تفسر على أنها نوع من الأوهام والخيالات، فيفوت
الغرض المقصود من الاسراء والمعراج، كما هو ظاهر (٢).

وثالثا: انه لو كان الاسراء مجرد رؤيا صالحا؟ فلا يبقى فيه اعجاز؟
ولما أنكره المشركون والمعاندون، ولما ارتد ناس ممن كان قد أسلم،
كما سنشير إليه.

ورابعا: لو كان مجرد رؤيا، لم يخرج أبو طالب والهاشميون في
طلبه " صلى الله عليه وآله وسلم ". وكان العباس يناديه حتى اجابه من
بعض النواحي، حسبما ورد في بعض الروايات.

واما لماذا ينكرون: ان يكون ذلك بالروح والجسد معا؟ فهو إما
لعدم قدرتهم على تعقل ذلك، أو لأجل الحط من كرامة النبي " صلى الله
عليه وآله وسلم " كما تقدم في المدخل لدراسة السيرة، أو لعدم قدرتهم

(١) راجع هذا الاستدلال في: البحار ج ١٨ ص ٢٨٦ عن الرازي، والمواهب اللدنية

ج ٢ ص ٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٨.

(٢) راجع: تفسير الميزان ج ١٣ ص ٢٤.

على اقناع الناس بأمر مبهم كهذا.

الاسراء والمعراج في القرآن:

اننا نؤمن بالاسراء استنادا إلى قوله تعالى: " سبحان الذي اسرى
بعبه ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذي باركنا حوله،
لنريه من آياتنا (١) "... فمحط النظر في الآية هو بيان الاسراء فقط.
اما المعراج، فإنه لم يذكر في القرآن صراحة، إلا ما جاء في تفسير
آيات سورة النجم وهي قوله تعالى: " ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق
الاعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما
أوحى. ما كذب الفؤاد ما رأى. " (٢)، ان قلنا إن الضمير فيها يرجع إلى
النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، لا إلى ذي المرة، الذي هو جبرئيل.
مع أن الثاني هو الظاهر، ويدل عليه رواية صحيحة السند، عالية
الاسناد، عن الإمام الرضا " عليه السلام ". والرواية تستشهد وتستدل بنص
الآيات في السورة. (٣).

ويدل على ذلك أيضا ويفسره قوله تعالى: " ولقد رآه بالأفق

المبين (٤) " فراجع.

ولكن كثرة الأخبار الواردة في المعراج، وحتى تواترها القطعي لا
يبقي مجالاً للشك في حصول المعراج؟ فنحن نؤمن به أيضا استنادا إلى
ذلك.

(١) الاسراء: ١.

(٢) النجم: ٦ - ١٢.

(٣) راجع البرهان للبحراني ج ٤ ص ٢٤٨ وستأتي الرواية تحت عنوان: لا تدركه
الابصار.

(٤) التكوير: ٢٣.

وأما القول بوجود تعارض بين آية سورة الإسراء، وبين الروايات الدالة على المعراج، على اعتبار: ان الآية تدل على أن انتهاء السير كان في المسجد الأقصى، ولم يكن بعده سير. فلا يصح؟ لان هناك رحلتين مختلفتين من حيث الكيفية والقصد. وقد كان انتهاء الرحلة الأولى في المسجد الأقصى، ولم يتعلق غرض في الآية ببيان الرحلة الثانية أصلاً.

سؤال هام وجوابه:

واما لماذا لم يذكر المعراج في القرآن صراحة، كما كان الحال بالنسبة إلى الاسراء.

فلربما يكون السر في ذلك هو ان الاسراء أمر قريب إلى الحسن، فالتصديق به يكون أيسر وأقرب.

وإذا كانوا قد صعب عليهم التصديق بالاسراء، بل واستهزؤا وشنعوا عليه ما شاء لهم بغيهم وحنقهم. رغم أنه قد أخبرهم بما جرى للقافلة التي رآها في طريقه، وبأنها قد أضلت بعيراء، وكسرت فيها ناقة حمراء في الوقت الفلاني، وبأن لهم صدقه في ذلك. ورغم أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " وصف لهم بيت المقدس وصفا دقيقا، يعلمون صحته وصدقه، مع علمهم بعدم رؤيته " صلى الله عليه وآله وسلم " له فيما مضى. وأيضا، إذا كان بعض ضعفاء المسلمين قد ارتدوا، حين أخبرهم النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بقضية الاسراء (١)، الذي هو من جملة

(١) المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٨، وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢١، وأخرجه أبو نعيم، ومنتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٣٥٣ حياة الصحابة ج ٣ ص ٧٣ عن بعض من تقدم. وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٨ و ٣١٥، والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٤٠.

المعجزات القاطعة، والبراهين الساطعة.
نعم، إذا كان ذلك كله، فكيف تكون الحال إذا أخبرهم بما هو أكثر
غرابة وبعدا عن أذهانهم، وهو رحلته إلى السماوات العلى، وما شاهد
فيها من عجائب الصنع، وبديع الخلق؟!.
ولهذا، فإننا نرجح: أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " قد تدرج في
إخباره لهم بالأسراء والمعراج، فأخبرهم أولاً بالأسراء، أما المعراج؟
فأخبر به أولياءه المؤمنين القادرين على التحمل، والتعقل. ثم صار يتوسع
في إخباره لغيرهم بذلك في الأوقات المناسبة، وبحسب ما تقتضيه
المصلحة، ومتطلبات الدعوة إلى الله تعالى.
الداعية الحكيم:

ولعل مما تقدم يظهر: أنه إذا كان النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "
إنما جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى،
فان من الطبيعي أن يهتم في الحفاظ على الركيزة الايمانية التي يحصل
عليها، وأن لا يدخلها في أجواء ليس لها القدرة على استيعابها ولا على
مواجهة أخطار الانحراف فيها.

ومن الواضح: أنه إذا أخبرهم بقضية المعراج، مع عدم قدرتهم
على التحمل والتفاعل معها ولا على تصورها، فإنهم إذا ارتدوا حينئذ
فسيكونون معذورين، ولا سيما إذا كان التصديق بهذه القضية إنما يستند
إلى المستوى الايماني لديهم بالدرجة الأولى.

وأما قضية الأسراء، فقد كان بالامكان أن يؤدي الإخبار عنها نفس
النتيجة المتوخاة، وهي الجهة الاعجازية ذات الطابع المعين مع امكان
الاستناد في مقام الاقناع بها إلى أدلة تقربها إلى الحس، وتجعل القبول
بها أيسر وأسهل من تلك، ولا يعتمد فيها على المستوى الايماني

وحسب. وإذن؟ فلا يبقى ثمة مبرر لارتداد هؤلاء، ولا لعناد أولئك.
لا تدركه الابصار:

ويرى البعض، استنادا إلى قوله تعالى: " أفتمارونه على ما يرى،
ولقد رآه نزلة أخرى. عند سدرة المنتهى إلخ (١) " : أن النبي " صلى الله
عليه وآله وسلم " قد رأى الله حين المعراج بعين رأسه، ورووا ذلك عن ابن
عباس. بل لقد حكى النقاش عن أحمد بن حنبل، أنه قال: أنا أقول
بحديث ابن عباس: بعينه رآه، رآه، حتى انقطع نفسه، يعني نفس
أحمد (٢).

ونحن لا نريد أن نفيض في الحديث حول الرؤية له تعالى، فلقد
أثبت علماءنا الأبرار، بما لا مجال معه للشك استحالة رؤيته تعالى، سواء
في الدنيا، أو في الآخرة. وقد فندوا أدلة المجسمة المثبتين للرؤية في
الدنيا والآخرة، أو في الآخرة فقط بشكل علمي وقاطع.. فمن أراد
الاطلاع على ذلك فعليه بمراجعة دلائل الصدق، وغيره من الكتب المعدة
لذلك (٣).

ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن الرواية عن ابن عباس غير ثابتة، فقد
روي عنه أيضا خلافها (٤).

وروى عن عائشة: أن مسروقا قال لها: يا أم المؤمنين، هل رأى
محمد " صلى الله عليه وآله وسلم " ربه؟ قالت: لقد قف شعري مما

(١) النجم: ١٢ - ١٤.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٤.

(٣) مثل: دلائل الصدق، وغيره من الكتب الباحثة في الشأن العقائدي.

(٤) راجع في الروايات الكثيرة عنه: الدر المنثور ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٦.

قلت... إلى أن قالت: من حدثك أن محمد رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: لا تدركه الابصار إلخ (١).
وعند مسلم: أنها أضافت: أنها سألت النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " عن ذلك، فأخبرها: أنه لم يره، وإنما رأى جبرئيل (٢).
والروايات في أن المقصود بالآيات في سورة النجم هو جبرئيل كثيرة جدا وكذلك الروايات التي تؤكد: على أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " قد رآه بقلبه وفؤاده، لا بعينه وبصره، فإنها كثيرة أيضا. (٣)
بل إن نفس الآيات ظاهرة - إن لم تكن صريحة - في أن المقصود هو جبرئيل، بيان ذلك باختصار:

ان قوله تعالى: علمه شديد القوى يراد بشديد القوى هو جبرئيل " عليه السلام "، ثم وصف جبرئيل، الذي وصفه الله بالقوة في قوله: " ذي قوة عند ذي العرش مكين (٤) " بكونه ذا مرة، (أي شدة وحصافة في العقل والرأي) (٥)، وقوله (فاستوى) أي ان ذلك الشديد، ذا المرة. استقام أو استولى، وهو بالأفق الاعلى. وقوله: ثم دنا، أي ذلك الشديد ذو المرة دنا

(١) المواهب اللدنية ج ٢ ص ٣٤ عن البخاري ومسلم، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣، والدر المنثور ج ٦ ص ١٢٤ عن عبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير وابن المنذر، والحاكم وابن مردويه.

(٢) المواهب اللدنية ج ٢ ص ٣٥ عن مسلم.

(٣) يكفي أن يرجع الطالب إلى الدر المنثور ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣ / ٣١٤ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٣٦ / ٣٧ وغير ذلك من المصادر الكثيرة جدا.

(٤) التكوير: ٢٠.

(٥) احتمال بعض المحققين: أن يكون وصف الله تعالى لجبرئيل بالشدة في مقابل التابع من الجن الذي كان ضعيفا بحيث يستطيع الانسان أن يتسلط عليه.

من النبي وتدلّى في الأفق نحو النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ".
ثم، إن ذلك الشديد القوي ذا المرة الذي دنا فتدلّى، أوحى إلى
النبي الذي هو عبد الله ما أوحى.
ورجوع الضمير إلى الله مع عدم سبق ذكره، لا ضير فيه لوضوحه،
كما قال العلامة الطباطبائي، أو على أن يكون ضمائر فأوحى إلى عبده ما
أوحى راجعة إلى الله تعالى.
ثم قال: ما كذب الفؤاد ما رأى. والمرئي هو الآيات الكبرى، ومنها
ما تقدم من الدنو، والتدلي، وكون جبرئيل بالأفق الاعلى.
وليس في الآية ما يدل على أن الرؤية قد كانت لله تعالى. ويدل
على ما نقول قوله تعالى الآتي: " ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من
آيات ربه الكبرى ".
ثم قال تعالى: أفتمارونه على ما يرى. أي أتجادلونه في رؤيته
جبرئيل، وهل هذا أمر نظري عقلي يصح الجدل والمراء فيه؟ وهل
بإمكانه أن يكذب بصره ويقول: لا أراه؟! فان الكفار كانوا ينكرون الوحي
له، ورؤيته الملك.
ثم قال تعالى: ولقد رآه، - والضمير يرجع إلى ذلك الذي لا يزال
يتحدث عنه -، نزلة أخرى، أي في نزول آخر، والذي كان ينزل
عليه " صلى الله عليه وآله وسلم " هو جبرئيل، فإنه رآه والتقى معه على
صورته في نزلة ثانية عند سدرة المنتهى. والسدرة نوع من الشجر.
ولا بد أن تكون هذه الرؤية الثانية في الأرض، وإلا لوجب أن
يقول: ولقد رآه نزلة أخرى، ثم عرج به إلى السماء، حتى انتهى إلى
السدرة، فرآه عندها.
ويبدو: أنه كان في الأرض - كما يراه بعض المحققين - شجرة سدر

كان لقاء النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بجبرئيل عندها، وعند تلك السدرة توجد جنة المأوى، أي جنة وبستان يؤوى إليها، أو أن الجنة في الآخرة ستكون في تلك المنطقة.

وبعض المحققين يرى: أن المراد بالنزلة الدفعة، وأنه قد رأى جبرئيل بعد العروج عند سدرة المنتهى، وأن الجنة الحقيقية موجودة هناك.

ونقول:

إن هذا الكلام خلاف ظاهر التعبير بنزلة. وتحقيق مكان الجنة ليس هنا محله.

وهكذا يتضح: أن هذه الآيات ناظرة إلى رؤية النبي " صلى الله عليه وآله وسلم، لجبرئيل على صورته الحقيقية مرتين في نزلتين لجبرئيل. وهذا هو ما أكدته الإمام الرضا (عليه السلام)، في رواية صحيحة السند عنه، جاء فيها: قال أبو قرّة: إنا روينا: أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين؟ فقسم الكلام لموسى، ولمحمد الرؤية. فقال أبو الحسن " عليه السلام،: فس المبلغ عن الله إلى الثقلين، من الجن والإنس: " لا تدركه الابصار. ولا يحيطون به علما. وليس كمثلته شئ "؟ أليس محمد صلى الله عليه وآله وسلم،؟ قال: بلى.

قال: كيف يجرى رجل إلى الخلق جميعا؟ فيخبرهم: أنه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله، فيقول: " لا تدركه الابصار. ولا يحيطون به علما. وليس كمثلته شئ)، ثم يقول: أنا رأيت به بعيني، وأحطت علما، وهو على صورة البشر؟! أما تستحون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشئ، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

قال أبو قرّة: فإنه يقول: " ولقد رآه نزلة أخرى "؟
فقال م بو الحسن " عليه السلام ": إن بعد هذه الآية ما يدل على ما
رأى، حيث قال: " ما كذب الفؤاد ما رأى "، يقول: ما كذب فؤاد محمد ما
رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: " لقد رأى من آيات ربه الكبرى "؟
فآيات الله غير الله، وقد قال الله: " ولا يحيطون به علما ". فإذا رآته
الابصار؟ فقد أحاطت به العلم، ووقعت المعرفة.

فقال أبو قرّة: فتكذب بالروايات؟!.

فقال أبو الحسن " عليه السلام ": إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن
كذبتها. وما أجمع المسلمون عليه: أنه لا يحاط به علما، ولا تدركه
الابصار، وليس كمثله شيء (١).

وفي الرواية دلالة على حجية ظواهر الكتاب، وعلى حجية السياق
القرآني أيضا. صلوات الله وسلامه عليك يا أبا الحسن وعلى ابائك
وأبناءك الطاهرين، فإنكم ما زلتم حصون الاسلام، والمدافعين عنه،
والباذلين مهجكم في سبيله، فأنتم مصابيح الدجى، والعروة الوثقى،
والحجة على أهل الدنيا.

الاسراء من المسجد:

صريح القرآن: أن الاسراء كان من المسجد، وجاء في عدد من
الروايات: أنه كان من بيت أم هاني (٢) واحتمل السيد الطباطبائي أن يكون
(١) أصول الكافي ط سنة ١٣٨٨ في إيران ج ١ ص ٤ / ٧٥ / ٧٥. والبرهان للبحراني

ج ٤

ص ٢٤٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٣.

الاسراء حصل مرتين، إحداهما من بيت أم هاني (١).
ويحتمل أيضا التجوز، وإرادة مكة من " المسجد الحرام ". وهو
اطلاق متعارف، قال تعالى: " هديا بالغ الكعبة " ويقال: هو يسكن في
مشهد الرضا، مع أنه يسكن في البلد المحيطة به. وأطلق في الروايات
مسجد الشجرة على ذي الحليفة. ومثل ذلك كثير، فان من المتعارف أن
يطلق على المكان الذي فيه شيء معروف اسم ذلك الشيء المعروف.
ويحتمل أيضا أن يكون " صلى الله عليه وآله وسلم " خرج تلك الليلة
إلى المسجد من بيت أم هاني، ثم أسري به من المسجد.
. موسى، وفرض الصلوات الخمس:

هذا، وقد جاء في بعض الروايات: أن الصلوات الخمس قد
فرضت حين المعراج، وأنها فرضت أولا خمسين صلاة في اليوم. وحين
عودة الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " التقى بموسى، فأشار عليه أن
يرجع إلى الله، ويسأله التخفيف، لان الأمة لا تطيق ذلك - كما لم تطقه
بنو إسرائيل - فرجع، وطلب إلى الله التخفيف فخففها إلى أربعين، وعاد
الرسول؟ فمر بموسى، فأشار عليه بطلب التخفيف، ففعل، فخففت إلى
ثلاثين، ثم إلى عشرين، ثم إلى عشرة، ثم إلى خمسة، ثم استحيا
الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " من المراجعة من جديد فاستقرت
الصلوات على خمس (٢).

(١) الميزان ج ١٣ ص ٣١.

(٢) لقد وردت هذه الرواية في مختلف كتب الحديث، والتاريخ عند غير الشيعة، ولذا
فلا نرى حاجة لذكر مصادرها. فراجع على سبيل المثال: كشف الأستار عن مسند
البنار ج ١ ص ٤٥، ووردت أيضا في كتب الامامية رحمهم الله تعالى، وأعلى
درجاتهم، فراجع: البحار ج ١٨ ص ٣٣٠ و ٣٣٥ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٤٠٨ عن:
أمالي الصدوق ص ٢٧٠، ٢٧١ و ٢٧٤، ٢٧٥، وتوحيد الصدوق ص
١٦٧، ١٦٨ / ١، وعلل الشرائع ص ٥٥ / ٥٦، والخصال ج ١ ص ١٢٩.

وهذه الرواية وإن كانت قد وردت في بعض المصادر الشيعية أيضا، إلا أننا لا نستطيع قبولها، وقال عنها السيد المرتضى " رحمه الله ": " أما هذه الرواية فهي من طريق الآحاد، التي لا توجب علما، وهي مع ذلك مضعفة (١) ."

ونحن هنا نشير إلى الأسئلة التالية:

لماذا يفرض الله على الأمة هذا العدد أولا، ثم يعود إلى تخفيفه بعد المراجعة، فإنه إن كانت المصلحة في الخمسين، فلا معنى للتخفيف، وإن كانت المصلحة في الخمس، فلماذا يفرض الخمسين، ثم الأربعين، ثم الثلاثين وهكذا. وفي بعض الروايات: أنه كان في كل مرة يحط عنه خمسا، حتى انتهى إلى خمس صلوات.

وقد أجاب بعض المحققين عن هذا بأن ما جرى هنا ما هو إلا نظير إضافة الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " الركعتين الأخيرتين في الرباعية من الصلاة اليومية؟ ونظير التكليف بعدم الفرار من الزحف، مع أنه علم أن فيكم ضعفا. ونظير الرفث إلى النساء ليلة الصيام، فقد نسخت حرمة بعد وقوع المخالفات منهم؟ قال تعالى: علم أنكم كنتم تختانون أنفسكم؟ فتاب عليكم، وعفا عنكم؟ فالآن باشروهن (٢).

ونقول: ان ما ذكره - حفظه الله لا يكفي لدفع ما ذكرناه، أما بالنسبة لتشريع الركعتين الأخيرتين في الرباعية من قبله " صلى الله عليه وآله وسلم "؟ فإن الله سبحانه قد فوض له ذلك حينما يعلم " صلى الله

(١) تنزيه الأنبياء ص ١٢١.

(٢) البقرة: ١٨٧.

عليه وآله وسلم " بتحقيق مصلحته ومقتضيه في متن الواقع.
واما بالنسبة لحكم الفرار من الزحف، وحكم الرفث إلى النساء،
فان المقصود ب: " علم أن فيكم ضعفا ". و " علم انكم كنتم تختانون
أنفسكم " هو تحقق معلوم الله سبحانه في الخارج. أي أن الحكم السابق،
وهو حرمة الفرار بملاحظة قلة العدد، وحرمة الرفث قد استمر وبقي إلى أن
حصل الضف وحصلت الخيانة وتغير الموضوع. فنسخ الحكم الأول،
فنسخت حرمة الرفث ونسخت حرمة الفرار وليس المراد علم الله بعد
جهله، والعياذ بالله.

أما السيد المرتضى، فقد أجاب " رحمه الله " عن التساؤل الذي
طرحناه فيما سبق بنحو آخر، وهو: أن من الممكن أن تكون المصلحة
أولا تقتضي الخمسين، ثم تغيرت هذه المصلحة بسبب المراجعة،
وأصبحت تقتضي الخمس (١).

ولكنه جواب منظور فيه؟ فان النبي إذا كان يعلم: أن الله تعالى لا
يشرع إلا وفق المصلحة، فإنه لا يبقى مجال لمراجعته أصلا؟ لأنه كأنه
حينئذ يطلب تشريعا لا يوافق المصلحة.

ولو صحت المراجعة هنا، وأوجبت تبدل المصلحة صحت في كل
مورد، وأوجبت ذلك أيضا، فلماذا كانت هنا. ولم تكن في سائر الموارد.
كما أن تعليل موسى للتخفيف بعدم طاقة الأمة، كأنه يدل على أنه
يعتقد: أن هذا التشريع يخالف المصلحة.

وهذا محال بالنسبة إلى الله تعالى. ولا يمكن صدوره لا من موسى
" عليه السلام " ولا من نبينا " صلى الله عليه وآله وسلم ".
قال صاحب المعالم:

(١) تنزيه الأنبياء ص ١٢١.

" المطالبة بصحة الرواية، مع أن فيها طعنا على الأنبياء بالاقدام علن
المراجعة في الأوامر المطلقة " (١).

وسؤال آخر: كيف لم يعلم الله تعالى: أن الأمة لا تطيق ذلك،
وعلم بذلك موسى؟:

وسؤال آخر، وهو: ما المراد بعدم الإطاقة؟ هل المراد بها عدم
الإطاقة عقلا؟ فيرد عليه: انه لا يمكن القول بجواز التكليف بما لا يطاق؟
أو المراد به ما كان في مستوى العسر والخرج، المنفي في الشرع
الاسلامي، كما دلت عليه الروايات والآيات ولا سيما تموله تعالى: " يريد
الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر " (٢) و " ما جعل عليكم في الدين
من حرج " (٣) وغير ذلك من الآيات.

ومما ذكرناه يتضح: أنه لا يمكن أن يكون تعالى قد كلف بني إسرائيل
مالا يطيقون.

واما قوله تعالى: " ربنا، ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على
الذين من قبلنا " (٤).

فهو لا يدل على ذلك لعطف قوله " ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به "
عليه؟ فيدل على أن المراد بالاصر هو ما يطاق، لا ما لا يطاق. ويمكن ان
يكون المراد بالاصر: جزاء السيئات الثقيل والشاق، أو المبادرة بعذاب
الاستيصال.

واما طلبهم أن لا يحملهم ما لا طاقة لهم به، فليس المراد أنه

(١) معالم الدين ص ٢٠٨ مبحث النسخ.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) البقرة: ٢٨٦.

يحملهم ذلك في التكليف الابتدائي، لان العقل لا يجيز ذلك، بل المراد مالا طاقة لهم به، مما يتسبب عن المخالفة وهو العذاب الأليم، والعقاب العظيم.

وسؤال آخر هنا، وهو:

كيف نسي الله تعالى تلك التجربة الفاشلة مع بني إسرائيل، حتى أراد أن يكررها مع أمة محمد من جديد؟!.

ولعل هذه التجربة كانت هي عذر إبراهيم الذي مر عليه محمد " صلى الله عليه وآله وسلم " ذهابا وإيابا عشر مرات، أو عشرين (١) على اختلاف النقل. ولكنه لم يسأله عن شيء، ولا أمره بشيء!!.

وإن كنا نستغرب عدم سؤاله عن سر هذه الجولات المتتالية ذهابا وإيابا؟!.

ولماذا لم يلتفت نبينا الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم " إلى ثقل هذا التشريع على أمته، والتفت إليه نبي الله موسى؟ ولماذا بقي يغفل عن ذلك خمس مرات، بل ستة أو أكثر ولا يعرف: أن هذا ليس هو الحد المطلوب، حتى يضطر موسى لان يرصد له الطريق باستمرار، ولولاه لوقعت الأمة في الحرج والعسر؟.

ولماذا لا ينزل الله العدد إلى الخمس مباشرة من دون أن يضطر الرسول إلى الصعود والنزول المتعب والمتواصل باستمرار؟!.

استبعاد الاسراء والمعراج:

وبعد، فلا بد لنا من الإشارة هنا: إلى أن استبعاد الاسراء

(١) لان إبراهيم حسب نص الرواية كان في السماء السابعة، وموسى كان في السادسة وكان موسى يرجع النبي إلى ربه، كي يسأله التخفيف، فيرجع ثم يعود إليه فيرجعه من جديد.

والمعراج؟ بدعوى عدم امكان تصور أن تقطع تلك المسافات الشاسعة، التي تعد بآلاف الأميال في ليلة واحدة ذهابا وإيابا - هذا الاستبعاد - في غير محله.

فقد حضر عرش بلقيس لدى سليمان من اليمن إلى بلاد الشام في أقل من لمح البصر. وكان عفريت من الجن قد تكفل بأن يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه.

وأما بالنسبة لنا اليوم فقد أصبح التصديق بالاسراء والمعراج أكثر سهولة، والاقناع به أقرب منالا، ولا سيما بعد أن تمكن هذا الانسان العاجز المحدود من أن يصنع ما يمكنه من قطع ١٣ كيلو مترا في ثانية واحدة، ولربما يتضاعف ذلك عدة مرات في المستقبل. كما أنه قد اكتشف أن سرعة النور هي حوالي ثلاثمائة الف كيلو متر في الثانية (١)، بل يعتقد بعض العلماء: ان الموجات غير المرئية للجاذبية تستطيع أن تقطع العالم بلحظة واحدة من دون حاجة إلى الزمان..

وبعد كل هذا فإنه إذا كان قطع المسافات البعيدة بهذه السرعة المذهلة ليس مستحيلا على هذا الانسان المحدود، الذي بقي الأعوام الطوال يفكر ويستعد، ويجمع الخبرات والامكانيات، فهل يستحيل على خالق الانسان والكون، ومبدعه أن يسري بعده الذي اصطفاه رسولا للبشرية جمعاء، ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وإلى ملكوت السماوات، ثم يعيده إلى مكانه الأول؟! من اهداف الاسراء والمعراج:

اننا إذا أردنا معرفة الاهداف والحكم، والمعجزات، والتأثيرات

(١) راجع حول سرعة النور: موسوعة المعارف والعلوم ص ١٠.

العميقة للإسراء والمعراج، فلا بد لنا من دراسة كل نصوصه، وفقراته، ومراحلته بدقة وعمق. بعد تحقيق الصحيح منها. وحيث إن ذلك غير متيسر بل هو متعذر علينا في ظروفنا الحاضرة، فإننا لا بد أن نكتفي بالإشارة إلى الأمور التالية:

أولاً: أن حادثة الإسراء والمعراج معجزة كبرى خالدة، ولسوف يبقى البشر إلى الأبد عاجزين عن محارقاتها، وإدراك أسرارها ولعل اعجازها هذا أصبح أكثر وضوحاً في هذا القرن العشرين، بعد أن تعرف هذا الإنسان على بعض أسرار الكون وعجائبه. وما يعترض سبيل النفوذ إلى السماوات من عقبات ومصاعب.

واعجازها هذا إنما يكون بعد التسليم بنبوة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " عن طريق الخضوع لمعجزته الخالدة، وهي القرآن، أو اليقين بصدقه " صلى الله عليه وآله وسلم " عن أي طريق آخر، بحيث يكون ذلك موجبا لليقين بصدق أخباراته كلها؟ فإذا أخبر " صلى الله عليه وآله وسلم " بهذه الحادثة، فإن أخباره مساوق لليقين بوقوعها. وهي حينئذ تكون معجزة خالدة تتحدى هذا الإنسان على مدى التاريخ.

وثانياً: يلاحظ: أن هذه القضية قد حصلت بعد البعثة بقليل، وقد بين الله سبحانه الهدف من هذه الجولة الكونية؟ فقال في سورة الإسراء: " لنريه من آياتنا " .

وإذا كان الرسول الأكرم " صلى الله عليه وآله وسلم " هو الأسوة والقدوة للإنسانية جمعاء، وإذا كانت مهمته هي حمل أعباء الرسالة إلى العالم بأسره، وإذا كان سوف يواجه من التحديات، ومن المصاعب والمشكلات ما هو بحجم هذه المهمة الكبرى، فإن من الطبيعي: أن يعده الله سبحانه إعداداً جيداً لذلك، وليكن المقصود من قصة الإسراء

والمعراج هو ان يشاهد الرسول الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم " بعض آثار عظمة الله تعالى، في عملية تربوية رائعة، وتعميق وترسيخ للطاقة الايمانية فيه، وليعده لمواجهة التحديات الكبرى التي تنتظره، وتحمل المشاق والمصاعب والأذى التي لم يواجهها أحد قبله، ولا بعده، حتى لقد قال حسبنا نقل " ما أوزي نبي مثلما أوزيت ". وعلى حسب نص السيوطي، والمناوي، وغيرهما: " ما أوزي أحد ما أوزيت " (١) ولا سيما إذا عرفنا: ان عمق إدراك هذا النبي الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم " - وهو عقل الكل، وإمام الكل - لاخطار الانحرافات في المجتمعات، وانعكاساتها العميقة على الأجيال اللاحقة كان من شأنه أن يعصر نفسه ألما من اجلهم، ويزيد في تأثيره وعذاب روحه حتى لقد خاطبه الله تعالى بقوله " فلا تذهب نفسك عليهم حسرات (٢) " .

وأیضا، فإنه بالاسراء والمعراج يفتح قلبه وعقله ليكون أرحب من هذا الكون، ويمنحه الرؤية الواضحة، والوعي الأعمق في تعامله مع الأمور، ومعالجته للمشكلات. ولا سيما إذا كان لا بد أن يتحمل مسؤولية قيادة الأمة والعالم بأسره.

وكذلك ليصل هذا النبي الأمي إلى درجة الشهود والعيان بالنسبة إلى ما أوحى إليه، وسمع به عن عظمة ملكوت الله سبحانه، ولينتقل من مرحلة السماع إلى مرحلة الرؤية والشهود، ليزيد في المعرفة يقينا، وفي الايمان رسوخا.

وثالثا: لقد كان الانسان - ولا سيما العربي آنئذ - يعيش في نطاق ضيق، وذهنية محدودة، ولا يستطيع أن يتصور أكثر من الأمور الحسية، أو

(١) راجع: الجامع الصغير ج ٢ ص ١٤٤ وكنوز الحقائق، هامش الجامع الصغير ج ٢ ص ٨٣.

(٢) فاطر / ٨.

القريبة من الحس، التي كانت تحيط به، أو يلتمس آثارها عن قرب. وذلك من قبيل الفرس، والسيف، والقمر، والنجوم، والماء والكلاء، ونحوها، ويشعر بالحب، والبغض والشجاعة وغير ذلك.

فكان - والحالة هذه - لا بد من فتح عيني هذا الانسان على الكون الارحب، الذي استخلفه الله فيه، لي طرح على نفسه الكثير من التساؤلات عنه، ويبحث الطموح فيه للتعرف عليه، واستكناه أسرارها، وبعد ذلك احياء الأمل وبث روح جديدة فيه، ليبدل المحاولة للخروج من هذا الجو الضيق الذي يرى نفسه فيه، ومن ذلك الواقع المزري، الذي يعاني منه.

وهذا بالطبع ينسحب على كل أمة، وكل جيل، وإلى الأبد. ورابعا: والاهم من ذلك: ان يلمس هذا الانسان عظمة الله

سبحانه، ويدرك بديع صنعه، وعظيم قدرته، من أجل ان يثق بنفسه ودينه. ويطمئن إلى أنه بإيمانه بالله، إنما يكون قد التجأ إلى ركن وثيق لا يختار له الا الأصلح، ولا يريد له الا الخير، قادر على كل شيء، ومحيط بكل الموجودات.

وخامسا: وأخيرا، انه يريد ان يتحدى الأجيال الآتية، ويخبر عما سيؤول إليه البحث العلمي - من التغلب، على المصاعب الكونية، وغزو الفضاء؟ فكان هذا الغزو بما له من طابع اعجازي خالد هو الأسبق والأكثر غرابة وابداعا؟ وليطمئن المؤمنون، وليربط الله على قلوبهم، ويزيدهم ايمانا كما قلنا.

الاذان:

ونحن نعتقد: أن الأذان قد شرع في مناسبة الاسراء والمعراج كما جاء في الخبر الصحيح، ولكنهم إنما يذكرون ذلك بعد الهجرة؟ فنحن نرجى الحديث عنه إلى هناك، إن شاء الله تعالى.

اليهود والمسجد في القران:
قال تعالى:

(وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب: لتفسدن في الأرض مرتين،
ولتعلن علوا كبيرا. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا، أولي
بأس شديد، فجاسوا خلال الديار، وكان وعدا مفعولا. ثم رددنا لكم
الكرة عليهم، وأمددناكم بأموال وبنين، وجعلناكم أكثر نفيرا. إن أحسنتم
أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها؟ فإذا جاء وعد الآخرة؟ لیسوؤا
وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا
تتبرا. عسى ربكم أن يرحمكم، وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا، إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات: أن لهم أجرا كبيرا. وأن الذين لا يؤمنون
بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) (١).

مفاد الآيات إجمالا:

فهذه الآيات الكريمة تتضمن:

أ: أحداثا أربعة هامة، هي التالية:

١ - إن بني إسرائيل سوف يفسدون في الأرض، ويعلون علوا
كبيرا، بعد أن كتب الله عليهم الجلاء، وضرب عليهم الذل والمسكنة،
وباؤا بغضب من الله.

٢ - إن عبادا لله أولي بأس شديد سوف يحاربون الإسرائيليين، بعد
فسادهم وعلوهم، ويطؤون بلادهم، ويجوسون خلال ديارهم جزاء على
بغيهم وفسادهم، ويدخلون المسجد الأقصى أيضا.

(١) سورة الإسراء: ٤ - ١٠.

٣ - إن بني إسرائيل سوف تكثر بعد ذلك أموالهم، وأولادهم، وذلك يحتاج إلى مدة طويلة نسبياً، ولسوف يجهزون جيشاً أعظم من جيش أولئك العباد، وتكون الكرة لهم عليهم.

٤ - ثم إنهم بعد أن يعودوا إلى الفساد من جديد؟ في مهلة زمنية لا بأس بمقدارها يعود أولئك العباد إلى حربهم، ليسوؤاً وجوههم، وليتبروا ما علوا تتبرا.

ب: إن حصول المرتين الأولى والثانية، يعني الفساد والأول من بني إسرائيل ثم إرسال الله تعالى عباده عليهم، أمر حتمي، لقوله تعالى: " وكان وعدا مفعولا ". أما المرتان الأخيرتان فهما تتوقفان على اعتبار بني إسرائيل بما حصل، ثم اختيارهم أحد الأمرين. فلأجل إبراز عنصر الاختيار هذا والتشكيك بصدوره منهم، عبر ب " ان ": (أن أحسنتم الخ..). لأنها تستعمل في مقام التردد والشك في صدور الاحسان منهم.

ضرب القاعدة، وإعطاء الضابطة:

ثم إنه بالنسبة للفساد الثاني قد اختار التعبير ب " إذا " كما استعمل نفس هذه الكلمة بالنسبة لفسادهم الأول، وذلك لإفادة أن اختيارهم لطريق الشر أمر حتمي. ولا شك فيه لما يعلمه الله فيهم من خصائص، وطموحات.

ولكن جواب الشرط قد جاء بصيغة المضارع لإفادة حصول سوء الوجوه والتتير بصورة تدريجية، ليكون ذلك أدعى في الاذلال، وأدل على المساءة ولكن هذا المضارع إنما هو بملاحظة زمان تحقق الشرط في المستقبل.

ويلاحظ هنا: كثرة المؤكدات على صدور ذلك منهم؟ فلاحظ قوله

تعالى: (قضيينا) المشير إلى حتمية ذلك لكن لا على سبيل الجبر، وإنما على سبيل الاخبار بما هو حتمي الوقوع بحسب ما يعلمه الله من أحوالهم. ثم عبر بكلمة: (في الكتاب) المفيدة إلى نوع التأكيد أيضا. ثم أتى بلام الابتداء في أكثر من مورد، فقال: (لتفسدن، ولتعلن). ثم أتى بنون التوكيد. مشفوعة بإذا التي تستعمل في مقام الجزم بتحقيق الشرط.

وعقب على ذلك باعتباره وعدا قد جاء بصيغة التحقق والوقوع، حيث قال: (إذا جاء وعد) ولم يقل: وقت أو موعد وهو يقتضي الحصول والتحقق أيضا، ثم الحقه بكلمة: (بعثنا)، ولم يقل: سنبعث، ليشير إلى أنه أمر حاصل لا محالة، فهو يخبر عن وقوعه. ثم عاد فكرر كونه وعدا ولكن بصيغة تؤكد وقوعه وحصوله حيث قال: (كان وعدا) ثم وصفه بقوله: (مفعولا). ونلاحظ أيضا أنه لم يزل يعبر ب: " أمددنا، بعثنا، جعلنا، رددنا " بصيغة الخبر عن أمر حاصل، واطهارا للثقة بحصوله أيضا. فلاحظ الآيات.

ج: إن المستفاد من هذه الآيات هو: أن من سوف تجري لهم مع بني إسرائيل هذه الاحداث هم جماعة واحدة، يجوسون خلال ديار بني إسرائيل أولا، ثم ترد الكرة لبني إسرائيل عليهم، ثم يعودون هم إلى ضرب بني إسرائيل ضربة تسؤ لها وجوههم، ويتبروا فيها ما علوا. وذلك لان الضمائر في: " جاسوا، وعليهم، وليسوا، وليدخلوا، ودخلوه وليتبروا " - كل هذه الضمائر ترجع إلى جماعة واحدة، عبر عنها بقوله تعالى: (عبادا لنا)، وليس غيره في الآيات يصلح مرجعا لهذه الضمائر - أصلا.

د: يستفاد من هذه الآيات: أن هؤلاء العباد سوف يدخلون المسجد

مرتين. وأن دخولهم هذا سوف يكون على نحو واحد في المرتين معا، أي بالقوة والقهر، والغلبة (كما دخلوه أول مرة).

ه: إنه تعالى بعد أن ذكر الاحداث الأربعة عاد فقال: (وإن عدتم عدنا) وهو لبيان قاعدة كلية، وسنة إلهية في مواجهة طغيان بني إسرائيل وفسادهم، وهو لا يدل على أن ذلك سوف يقع منهم، بعد تلك الاحداث الأربعة، بل إن ما سوف يقع جزما هو ما ذكر. أما ما سواه فلا دليل على حدوثه، بل إن تعبيره ب " إن " الشرطية، الموضوعه للاستعمال في غير موارد الجزم لربما يشير إلى عدم الوقوع.

و: ان المقصود ب: (عبادا لنا) قوم مؤمنون، وذلك لاقتضاء ظاهر قوله: (بعثنا)، وقوله: (عبادا لنا) (١) لان البعث، والعباد له، لم يستعملا في القرآن - إلا ما شذ - إلا في مقام المدح والثناء، ولا سيما مثل قوله تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان، وغير ذلك. ولا أقل من أنه قصد به ما سوى الكافرين.

ولربما يشير إلى ذلك أيضا: أنه تعالى بعد أن ذكر انتصار عباده على بني إسرائيل وما سوف يحققه بني إسرائيل من سوء، وأنه جعل جهنم للكافرين حصيرا، عاد فأجمل كل ذلك على شكل قاعدة كلية، فبين: ان سنة الله هي أن يبشر عباده المؤمنين الذين يقفون المواقف الصالحة، ويدافعون عن دينه - كهؤلاء العباد الذين أرسلهم على بني إسرائيل - بأن لهم أجرا عظيما. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة، ويفسدون في الأرض، ويعلمون، علوا كبيرا، كما هو حال بني إسرائيل قد أعتد لهم عذابا أليما، فقال:

(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين الذين

(١) الميزان للعلامة الطباطبائي ج ١٣ ص ٣٩.

يعملون الصالحات: أن لهم أجرا عظيما. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة
أعدنا لهم عذابا أليما).

ثم دخل في موضوع آخر.

ويرى العلامة المحقق البحاثة السيد الطباطبائي " رحمه الله " : أنه لا
دليل في الكلام - أي في قوله تعالى: (بعثنا عليكم عبادا لنا) يدل على
كون المبعوثين (مؤمنين)؟ إذ لا ضير في عد مجيئهم إلى بني إسرائيل، مع
ما كان فيه من القتل الذريع، والأسر، والسبي، والنهب، والتخريب، بعثنا
إليها؟ لأنه كان على سبيل المجازاة على إفسادهم في الأرض، وعلوهم،
وبغيهم بغير الحق؟ فما ظلمهم الله ببعث أعدائهم، وتأبيدهم عليهم،
ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم (١).

ونقول:

إننا لا نستطيع - بدورنا - أن نقبل: أن الله تعالى يؤيد الظالمين
والمجرمين بأي وجه. نعم، هو يخلي بينهم وبينهم، ويوقف تأييداته لهم،
وهذا غير تأييده لأولئك، وبعثهم على هؤلاء.

إلا أن يدعى أن المراد هو التسليط عليهم. وذلك بالتخلية فيما
بينهم، ووقف التأييدات للفئة المؤمنة بسبب ما فعلته.

لكن يرد عليه: أن نسبة البعث - والحالة هذه إلى الله سبحانه -
تصبح غير ظاهرة، ولا مقبولة.

كما أننا قد أشرنا فيما سبق إلى وجود بعض القرائن المشيرة إلى
إيمان المبعوثين. فالأظهر هنا: هو أن أولئك العباد سوف يدفعهم أمر الله
تعالى والتكليف الشرعي إلى القيام بذلك العمل؟ فيصح أن يقال: إن الله
هو المحرك والباعث لهم.

(١) تفسير الميزان ج ١٣ ص ٣٩.

هذا ما يستفاد من الآيات بشكل عام.
بقي الكلام في تطبيقها الخارجي؟ فهل حصل وتحقق مفادها كله
في السابق؟ أو أنه لسوف يحصل ذلك كله في الآتي!. أو أن بعض ذلك
قد حصل؟. والبعض الآخر متوقع الحصول؟!.
أقوال الرواة والمفسرين:

لقد راجعنا عددا من كتب الحديث والتفسير، فوجدنا الروايات
والانظار مختلفة ومتباينة في ذلك..
ونحن نذكر موجزا عن تلك الروايات، والآراء بتلخيص منا، وذلك
على النحو التالي:

١ - عن ابن مسعود: إن الفساد الأول هو قتل زكريا، فبعث الله
عليهم ملك النبط، ثم عادوا هم فغزوا النبط، فأصابوا منهم.
٢ - عن عطية العوفي: بعث الله عليهم أولا جالوت، ثم قتله
طالوت على يد داود، ثم قتلوا يحيى؟ فبعث عليهم بخت نصر. وكذا عن
ابن عباس.

٣ - عن علي: الفساد الأول قتل زكريا، والثاني قتل يحيى، مع
عدم بيان من بعث عليهم في المرتين.

٤ - عن حذيفة: المرة الأولى بخت نصر، ثم ردهم كورش، ثم عادوا
في المعاصي، فسلط عليهم ابطننا نحوس، ثم عادوا في المعاصي، فسلط
عليهم ثالثا اسبيانوس.

٥ - عن ابن زيد: الأولى قتل زكريا ويحيى، فسلط عليهم سابور ذا
الأكتاف، الفارسي، من قبل زكريا، وبخت نصر من قبل يحيى.

٦ - عن مجاهد: ان ملك فارس بعث جندا إليهم ليتجسسوا

أخبارهم ويسمعوا حديثهم. ثم رجعت فارس، ولم يكتر قتال، ونصرت عليهم بنو إسرائيل، ثم بعث عليهم ملك فارس ببايل جيشا، أمر عليه بخت نصر؟ فدمروهم. (١)
رأي العلامة الطباطبائي:

قال العلامة البحاثة المحقق الطباطبائي أيده الله تعالى:
"... والذي يظهر من تاريخ اليهود: أن المبعوث أولا لتخريب بيت المقدس هو بخت نصر، وبقي خرابا سبعين سنة. والمبعوث ثانيا هو قيصر الروم اسيانوس، سير إليهم وزيره طوطوز، فحرب البيت، وأذل القوم قبل الميلاد بقرن تقريبا.

وليس من البعيد: أن يكون الحادثان هما المرادتان في الآيات؟
فان الحوادث الأخرى لم تفن جمعهم، ولم تذهب بملكهم واستقلالهم بالمرّة، لكن نازلة بخت نصر ذهبت بجمعهم، وسؤددهم إلى زمن كورش، ثم اجتمع شملهم بعد برهة، ثم غلب عليهم الروم، وأذهبت بقوتهم، وشوكتهم، فلم يزالوا على ذلك إلى زمن ظهور الاسلام".
قال هذا سلمه الله بعد أن ذكر: أنه كالمسلم: أن إحدى هاتين النكائتين كانت على يد بخت نصر (٢).

ولكنه عاد فأورد على نفسه بأن في الآيات إشعارا بأن المبعوث إلى بني إسرائيل هم قوم بأعيانهم في كلا المرتين.

(١) راجع هذه الروايات في الدر المنثور للسيوطي ج ٤ ص ١٦٣ - ١٦٥ عن ابن جرير، وابن عساكر، وابن أبي حاتم، متفرقا. وراجع: تفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وفخ القدير، وغير ذلك من التفاسير، في تفسير الآيات في سورة الإسراء.
(٢) تفسير الميزان ج ١٣ ص ٤٤ / ٤٥.

وأجاب عن ذلك بأنه مجرد إشعار؟ من دون تصريح.
ونقول: إن الضمائر حسبما تقدم ليس لها مرجع في الكلام سوى
قوله: "عبادا لنا". وهذا يدل دلالة واضحة على وحدة القوم المرسلين
على بني إسرائيل وليس مجرد إشعار.
ومرادنا بالوحدة هو أن يكون لهم رابطة تجمعهم ككونهم فرسا، أو
مسلمين مثلا. ويرد على كلامه سلمه الله، وعلى جميع الروايات
المتقدمة، عن الدر المنثور وغيره ما يلي:

١ - إننا لم نجد لبني إسرائيل كرة على بخت نصر، ولا على سابور
ولا غيرهما. بل إن كورش قد أرجعهم إلى بلادهم بعد حوالي مئة سنة من
أسر بخت نصر لهم. مع أن الآية تكاد تكون صريحة بأن لبني إسرائيل كرة
على أولئك العباد المبعوثين.

٢ - إن النبط لم يدخلوا المسجد مرتين وكذلك بخت نصر،
وقيصر، وغيرهم ممن ذكر جميعا. وقد أشارت الآية إلى أن المبعوثين
سوف يدخلون المسجد مرتين.

٣ - إن جميع أولئك ما كانوا من المؤمنين، بل كانوا من الطغاة
والمتجبرين.

٤ - إن بخت نصر كان قبل الميلاد بست مئة سنة تقريبا (١) وكان
يحيى معاصرا للمسيح "عليه السلام" (٢) فكيف ينتقم له بخت نصر؟ كما
أن سابور متأخر عن بخت نصر، لا مقدم عليه كما في الرواية.

(١) تفسير الميزان ج ١٣ ص ٤٤ وفي تاريخ الخميس ج ١ ص ١٧٣: من وقت تخريب
بخت نصر بيت المقدس إلى مولد يحيى أربع مئة وإحدى وستون سنة.
(٢) راجع: قصص الأنبياء للنجار ص ٣٦٩.

٥ - هذا كله عدا عن الاشكال في أسانيد تلکم الروایات (١).
٦ - إن افسادهم في منطقة محدودة، لا يعني كون ذلك هو المقصود من الآية التي تتحدث عن افساد كبير، وعلوهم في الأرض. ولا شك انهم كانوا على مدى التاريخ أضعف من أن يكون لهم علو في الأرض كلها، بل وحتى على سابور، أو بخت نصر أو غيرهما. رأي اخر في الآيات:

ويحتمل البعض: أن الفساد الأول كان في منطقة الحجاز، فبعث الله النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " عليهم، وضربهم الضربة القاصمة، وكان دخول عمر إلى المسجد الأقصى، الذي يمثل دخول المسلمين، هو المعني في الآيات. وتبقى المرة الثانية ستأتي. كما ويحتمل أن تكون هي ضربة بخت نصر لهم هي الأولى، والثانية هي ضربة عمر لهم. ولكن ذلك لا يمكن قبوله؟ لان عمر حينما دخل المسجد الأقصى لم يكن في بيت المقدس أحد من اليهود، وإنما كان تحت سيطرة النصارى، الذين استولوا عليه قبل ذلك بعقود من الزمن. وكانوا يجعلون الاقدار والأوساخ على (الصخرة)، التي هي قبلة اليهود، بل كانت المرأة ترسل بخرقة حيضها من بلاد الروم إلى بيت المقدس لتلقى على الصخرة، مبالغة في امتهانها، وإذلالا لليهود واحتقارا لهم (٢). كما أنه لا معنى لإرادة بخت نصر؟ ليكون هو بطل المرة الأولى، وذلك لما أشرنا إليه في النقاط الست الآتية الذكر.

(١) هذه النقاط أشار إليها الأخ العلامة الشيخ إبراهيم الأنصاري حفظه الله تعالى في مقاله، في مجلة الهادي.
(٢) تقدم ذلك في تمهيد الكتاب.

رأي آخر:
وثمة رأي آخر يقول: إن الفساد الأول هو انكارهم نبوة نبينا " صلى
الله عليه وآله وسلم "، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، واتفقوا مع
المشركين ضده.
وإرسال عباد الله على هؤلاء المفسدين هو ما جرى في صدر
الاسلام. فأرسل الله النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " والمسلمين
عليهم؟ فضربوهم في خيبر وقريظة؟ وقينقاع، وغير ذلك، وجاسوا خلال
ديارهم، ثم دخل المسلمون المسجد الأقصى في زمن عمر.
والفساد الثاني هو ما جرى ويجري منهم في فلسطين ولبنان،
والمنطقة بشكل عام، في هذا القرن الرابع عشر، ولسوف يأتي
المهدي " عجل الله فرجه " لينتقم منهم. ويدخل المسلمون المسجد، كما
دخلوه أول مرة في عهد عمر.
وقد قرر بعض الاعلام هذا، وطبق الآيات عليه، على النحو
التالي:

إنه ليس في الآيات ما يدل على أن الغلبة على اليهود، وغلبة اليهود
على أولئك العباد تكون في مكان واحد محدد. وقوله تعالى: (كما دخلوه
أول مرة) يشعر، بل يدل على أن قوله: (جاسوا خلال الديار)، هو غير
دخولهم المسجد، اي انهما أمران متغايران، كما يدل على أن الجوس
خلال الديار متقدم على دخولهم المسجد، وذلك لمكان اللام في
قوله: (ليدخلوا) التي هي لام العاقبة وقد تحقق ذلك في زمن عمر. كما
أن عدم ذكر دخول العباد بيت المقدس حينما بعثهم أولاً يدل على أن
دخول المسجد لما يتحقق لهم عند ذلك.
وتدل الآية على أن دخول المسجد في الثانية يكون أشد على اليهود
لقوله وليتبروا ما علوا تتبيرا، ففسادهم الثاني يكون في غلبتهم على البلاد

المقدسة، وقتلهم المسلمين، وهذا ما يحصل في هذا العصر. وجزاؤهم سيكون عاجلا على يد أهل قم إن شاء الله تعالى، أو المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه، أو بامارته مع كون الجيش من أهل قم، والله العالم.
ونقول:

هذا رأي لا يمكن المساعدة عليه، لان ما ذكر في تطبيق الآيات عليه مخالف لظاهرها.

فأولا: إن الظاهر: هو أن دخول المسجد سيكون عنوة وقهرا ورغما عن بني إسرائيل. وحينما دخل المسلمون المسجد في عهد عمر لم يكن في بيت المقدس أحد من اليهود، وإنما كان النصارى هم المسيطرون. فلم يحارب المسلمون اليهود ليدخلوا المسجد بالرغم عنهم، من جهة، ومن جهة أخرى فان عمر قد دخل بيت المقدس صلحا وليس عنوة، وظاهر الآية: هو أن الدخول سيكون عنوة، معه سوء الوجوه، وفيه القهر والغلبة على اليهود أنفسهم، (ليسوؤا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرا).

وثانيا: ما ذكر من أن اللام في " ليدخلوا " تدل على أن الدخول سيتأخر عن الجوس خلال الديار، وأن التفريق بين الجوس خلال الديار، ودخول المسجد، يدل على ذلك أيضا. وكذا عدم ذكر الدخول للمسجد في المرة الأولى.

إن هذا الذي ذكر، لا يدل على ذلك؟ لأن ظاهر الآيات: أنه قد اكتفي في المرة الأولى عن ذكر دخول المسجد، بذكر الجوس خلال الديار، لأنه مستبطن له ويكون في ضمنه، ثم أوضحه بقوله: كما دخلوه أول مرة وقوله: ليدخلوا معطوف على ليسوؤا بالواو، التي لا تدل على الترتيب الزمني.

بل - لعل ذكر دخول المسجد بين التتبير لما علوا، وبين سوء الوجوه للإشارة إلى أن دخول المسجد سيكون في وسط المعركة، في المرة الثانية، وكذلك سيكون في المرة الأولى لقوله تعالى؟ (كما دخلوه أول مرة).

وإلا، فلو صح ما ذكره صاحب هذا الرأي، لوجب أن يكون الدخول الثاني للمسجد صلحا، لا عنوة، كما كان دخول عمر بن الخطاب في السابق. وحينئذ فلا يبقى معنى لذكر دخول المسجد فيما بين قوله: (ليسوؤا وجوهكم)، وبين قوله: (ليتبروا ما علوا تتبيرا). وثالثا: إنه لم يكن لليهود في زمن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " فساد في الأرض، وعلو كبير فيها، وإنما كانوا في محيط ضيق جدا محصورين في نواحي المدينة، وكانوا مقهورين من قبل الأوس والخزرج، ويمالئون مشركي مكة، وسائر القبائل في المنطقة، فلا يصح أن يقال: إن لهم (علوا كبيرا). فضلا عن إضافة قوله: (في الأرض) سواء قلنا: إن المراد: الأرض المقدسة، يعني فلسطين، أو قلنا: بان المراد الأرض مطلقا أي معظمها، أو السيطرة على مراكز القوة والنفوذ فيها. وثمة رأي آخر أيضا:

وهو أن الحروب التي جرت بين العرب وإسرائيل تمثل المراحل الثلاث الأولى، وبقيت المرحلة الأخيرة، التي أشارت إليها الآية بالقول: (فإذا جاء وعد الآخرة، ليسوؤا وجوهكم إلخ...). وهي سوف تأتي إن شاء الله تعالى (١).

وهذا أيضا رأي لا يمكن المساعدة عليه؟ لان العرب الذين حاربوا إسرائيل لم يجوسوا خلال ديار بني إسرائيل في حروبهم تلك، ولادخلوا

(١) هذا رأي الشيخ إبراهيم الأنصاري في مجلة الهادي.

المسجد عنوة، بل إنهم ليسوا من عباد الله المؤمنين؟ لانهم قد تخلوا عن دينهم، وجروا خلف شهواتهم، واستبدت بهم انحرافاتهم بشكل واضح لكل أحد.

والروايات ماذا تقول:

لقد وردت بعض الروايات - التي ليس لها أسانيد - معتبرة - تفيد: أن الفساد الأول هو قتل علي، وطعن الحسن " عليه السلام "، والعلو الكبير هو قتل الحسين، ووعد أولاهما نصر دم الحسين، والمبعوثون أولاهم قوم قبل خروج القائم، وكان وعدا مفعولا: خروج القائم. وثم رددنا لكم الكرة عليهم: خروج الحسين في سبعين من أصحابه (١).

وفي تفسير القمي: الفساد الأول: فلان وفلان، ونقضهم العهد، والعلو الكبير: ما ادعوه من الخلافة. ووعد أولاهما: الجمل. وجاسوا خلال الديار: طلبوكم، وقتلوكم، ورددنا لكم الكرة: بنو أمية. ووعد الآخرة: القائم " عليه السلام "، وكما دخلوه أول مرة: رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم ".

وواضح: أن مفاد هذه الروايات ليس هو محط نظر الآيات صراحة، وإنما هي - إن صحت - من باب الإشارة إلى أن ما يجري لبني إسرائيل، يجري مثله لهذه الأمة أيضا؟ إذ من الواضح: أن ما ذكرناه في مفاد الآيات لا ينسجم مع ما جاء في هذه الروايات، كما يظهر بالملاحظة، والمقارنة. الرأي الأمثل:

وإذ قد عرفنا معنى الآيات إجمالا، وعرفنا: أن مفادها لم يحصل ولم يقع لبني إسرائيل بعد، لا في تاريخهم القديم، ولا الحديث، فإننا

(١) راجع: البحار ج ٥١ ص ٥٦ وتفسير البرهان، وتفسير نور الثقلين.

نعلم: أن مفادها سيقع في المستقبل، ومفادها هو:
١ - أن يفسد بنو إسرائيل في الأرض (ولتلاحظ كلمة في الأرض)، فإنه لا يصدق ذلك على بلد أو قرية صغيرة في نواحي الحجاز مثلا، بل لا بد أن يكون فسادهم وعلوهم في الأرض المقدسة، أو في الأرض بصورة عامة. أو على الأقل في مراكز هامة، بحيث يرون أنفسهم لا غالب لهم، ولا شيء يقف في وجههم. ثم يعلون علوا كبيرا (ولتلاحظ هذه الجملة بدقة أيضا).

٢ - أن يبعث الله عليهم عبادا له أتقياء مؤمنين، فيجوسون خلال ديارهم، ويدخلون المسجد. (والتعبير بالجوس لربما يشير إلى عدم المكث طويلا فيها)؟ لان الجوس هو الوطئ الخفيف، وهو وطأ خلال الديار أو فيما بينها من دون ثبات وتحكم فيها نفسها أو لعله إشارة إلى الدخول السري للمجاهدين.

٣ - ثم يمد الله بني إسرائيل بأموال وبنين، ويصير جيشهم أعظم، ويرد لهم الكرة على السابقين.

٤ - ثم يعود أولئك المؤمنون لاحتلال بلاد الإسرائيليين، ويدخلون المسجد من جديد، ويسوؤون وجوههم إلخ.

كل ذلك سوف يحصل في المستقبل، حسبما تفيد الآيات الكريمة، مع العلم بأنه لم يحصل من ذلك شيء في الماضي. ويبقى ان نشير إلى المؤيدات التالية:

القميون يقاتلون الإسرائيليين:

ويؤيد ما تقدم: ما رواه المجلسي عن كتاب تاريخ قم، تأليف:
الحسن بن محمد بن الحسن القمي:

" روى بعض أصحابنا قال: كنت عند أبي عبد الله " عليه السلام " جالسا؟ إذ قرأ هذه الآية: حتى (١) إذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا، أولى بأس شديدا؟ فجاسوا خلال الديار، وكان وعدا مفعولا. فقلنا: جعلنا فداك، من هؤلاء؟

فقال - ثلاث مرات - هم والله أهل قم ". (٢)
ولقد قال هذا " عليه السلام " قبل ان تخلق إسرائيل بأكثر من اثني عشر قرنا، وفي حين لم يكن لليهود أية قوة في منطقة بيت المقدس. وقوله " عليه السلام " هذا يعني: أن أهل قم باعتبارهم مسلمين، أو قادة للمسلمين هم الذين سوف يقودون الحرب ضد بني إسرائيل في المرة الأولى. وهم المعنيون بقوله: (* عبادا لنا *) وباقي الحديث يفهم من الآيات الكريمة؟ حيث تعود لإسرائيل الكرة عليهم بجيش أعظم. ثم يعود المسلمون بقيادة أهل قم أو بقيادة غيرهم (المهدي مثلا) ليسوؤا وجوه الإسرائيليين وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة. الغرب وإسرائيل:

وثمة رواية ضعيفة أيضا تقول: " وتشب نار بالحطب الجزل من غربي الأرض، رافعة ذيلها، تدعو يا ويلها لرحلة ومثلها؟ فإذا استدار الفلك، قاتم مات أو هلك بأي واد سلك، فيومئذ تأويل هذه الآية: " ثم رددنا لكم الكرة عليهم، وأممدناكم بأموال وبنين، وجعلناكم أكثر نفيرا ". (٣)

(١) الموجود في القرآن: (فإذا) فعل كلمة (حتى) من كلام الراوي.

(٢) البحار ج ٦٠ ص ٢١٦.

(٣) البحار ج ٥٢ ص ٢٧٢ / ٢٧٣. وراجع ج ٥١ ص ٥٧.

فهذه الرواية تشير إلى أن المرة الثالثة وهي علو الإسرائيليين وكرتهم على "عبادا لنا" لسوف تكون بمعونة غربية، تمدهم بالمال والجيوش حتى يصبحوا أكثر نفيرا وجندا. وسوف تكون حربا ضروسا وقاسية، كما يفهم من لحن الرواية المشار إليها، لو صحت.
الحروب الطويلة والصعبة:

وهذه دولة الاسلام قد ظهرت، وهي بقيادة أهل قم، ولكنها تواجه الحروب المدمرة، والمؤامرات الصعبة من قبل قوى الاستكبار العالمي. وقد جاء في الرواية المروية عن: علي بن عيسى، عن أيوب بن يحيى الجندل، عن أبي الحسن الأول "عليه السلام"، أنه قال: "رجل من أهل قم، يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح العواصف، ولا يملون من الحرب، ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون، والعاقبة للمتقين". (١)
ولربما يمكن أن نستفيد من قوله: "لا تزلهم الرياح العواصف": أن دولة الاسلام هذه سوف تواجه مشكلات صعبة، لا يثبت أمامها الرجال العاديون.

ومن قوله: "لا يملون من الحرب": أنهم سوف يواجهون حروبا طويلة، يمل منها الانسان العادي. ولكنهم سوف يصمدون، وفي النهاية سوف ينتصرون إن شاء الله، وذلك لقوله: "والعاقبة للمتقين".

(١) البحار ج ٦٠ ص ٢١٦. ويلاحظ وجود بعض الاختلاف بين هذا النص وبين ما في الترجمة الفارسية لكتاب تاريخ قم. فلعل المترجم قد تصرف في العبارة. ولعل نسخة المجلسي تختلف عن النسخة المتداولة لكتاب تاريخ قم، فليلاحظ ذلك.

الفلسطينيون والأرض:
وبعد كل ما تقدم، فإننا لا بد أن نشير هنا إلى أن الفلسطينيين قد
هبوا للدفاع عن شرفهم وكرامتهم، وتحرير أرضهم، والدفاع عن دينهم
واسلامهم.
وإننا في نفس الوقت الذي نحیی فيه الشعب الفلسطيني المسلم،
ونحیی المقاتلين الشرفاء والغياری من هذا الشعب الأبی.
فإننا نجد بعض المنظمات، التي لا تمثل الشعب الفلسطيني، ولا
أكثرية المناضلين من أجل حقهم ووطنهم، قد أعرضت عن هذا الاسلام
العظیم، ولم تتخذه عقيدة ومنطلقا لها، بل هي لا تعرف منه الا اسمه، بل
هي تحاول الابتعاد عنه، والتبري منه، وتعتبره رجعيا ومتأخرا. وذلك لأنها
تسعى وراء الحصول على مكاسب دنیویة، مادیة. بل لقد اتخذت
الماركسیة وغيرها مذهباً وعقيدة لها؟ فبئس للظالمین بدلاً.
والأنكى من ذلك والأشد مرارة: أننا نشهد من هذه المنظمات
محاولات جادة لاجهاض الثورة الاسلامیة الفلسطينية، وتضییع ثمرة
جهودها وجهادها. فقاتل الله الخونة الأفاكین أنى یؤفكون.
ولكن شذوذ هؤلاء وانحرافهم لا یعني أنه یجب تشویه صورة
الفلسطينیین جميعاً في أذهان الشعوب المسلمة المؤمنة؟ فان ذلك سوف
یكون ظلماً آخر لهذا الشعب، كما أنه سوف یحرم القضية من قوة دافعة
لها أهمیتها. وذلك لان أية قضية إذا أفرغت من محتواها الانسانی؟ فإنها
تفقد زخمها وقوتها، ودافعها العاطفی وذلك لان هذا الانسان العادی ربما
یخطر له: انه لماذا یقاتل ویضحی، ما دام أن الأرض یمكن أن تباع
وتشترى، ویقاىض علیها، والانسان وحده هو الاعلی والاعلی؟ فلماذا إذن
تزهق النفوس والأرواح في سبیل قطعة من الأرض، ما دام یمكن

الاستعاضة عنها بثمانها، ثم الاحتفاظ بهذا الانسان ومواهبه وطاقاته لما هو أهم، ونفعه أعم.

وحتى المسجد أيضا، فليكن لانصاف الحلول فيه مجال، ولن يمانع الإسرائيليون في وصول المسلمين إلى مسجدهم في كل حين، وممارسة عباداتهم فيه بحرية، إذا كانوا هم الحكام، أو كان تحت مظلة الأمم المتحدة.

نعم، يمكن أن يخطر كل هذا في ذهن الانسان العادي. ولربما يؤثر هذا الخاطر على تعامله مع أقدس قضية، فيما إذا فصل الجانب الانساني والعاطفي والإسلامي عن الأرض، فيضعف الدافع لتحريرها. وهناك الكارثة الحقيقية والخيانة والجريمة الكبرى.

إذن، فلا بد وأن تبقى المأسى والمظالم التي تعرض ويتعرض لها الشعب الفلسطيني ماثلة للعيان أمام المقاتل المسلم والمؤمن بعدالة قضيته، ليندفع إلى التضحية والفداء في سبيل قضيته المقدسة، بروح رضية، ونفس أبية، وليمتزج من ثم. الوعي بالعاطفة، وكلاهما بالايمان. مع التأكيد علن أنه ليس للمسؤولين والسياسيين أن يربطوا مصيرهم ومصير أمتهم بأولئك المنحرفين، ولا أن يثقوا بهم، لان أولئك المنحرفين . سوف يدفعونهم في النهاية ثمنا لمصالحهم، ويساومون عليهم وبهم

الباب الثاني:
حتى وفاة أبي طالب

الفصل الأول:
حتى الهجرة إلى الحبشة

أهداف الإسلام:

إن من الواضح: أن أهداف الإسلام القصوى ليست هي مجرد تحقيق العدل، ولو بمفهومه الأوسع، إذ لو كان كذلك لم يبق معنى للأوامر الداعية إلى الجهاد والتضحية بالنفوس في سبيل الله والمستضعفين، إذ لماذا يتخلى هذا الشخص عن نفسه وعن حياته في حين يبقى الآخرون يتمتعون بالحياة، وبمباهجها ولذائدها؟!.

كما أنه لو كان العدل هو الهدف فلا يبقى معنى لمحبوبة الأيثار على النفس ومطلوبيته له تعالى. ثم مدح من يفعل ذلك من الناس كما في قوله لعالي:

(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (١).

كما أنه لا معنى لنهي الإنسان عن الحقد والحسد، وغير ذلك مما لا يمكن تتبعه واسقضاؤه.

فإن ذلك كله وسواه ليدل على أن الهدف ليس هو مجرد تحقيق العدل، وإنما هو فوق، وأهم، وأقدس من ذلك.

إنه تجسيد إنسانية الإنسان، وإظهار كنوزها، والارتفاع بهذا الإنسان إلى مستوى الجدارة الحقيقية لأن يمثل النموذج الذي يريده الله للإنسان

(١) سورة الحشر: ٩.

الكامل، وليس العدل وسواه من كمالات وفضائل، إلا واحدا من تلك المراحل والوسائل الموصلة إلى ذلك الهدف المقدس والأسمى، الذي يستبطن في داخله: كل العدل، وكل الكمالات وكل الفضائل، وأخيرا كل السعادة، والفوز والنجاح.

هذا هو هدف الاسلام، وهذا ما يسعى إليه، ويعمل من أجل الوصول والحصول عليه.

وليس أدل على ذلك من الآية الكريمة التي تحدد مهمة النبي الرسول، بأنه يعلم الناس الحكمة، ويطهرهم، ويزكيهم، بالإضافة إلى تبليغ رسالة الله لهم، قال تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (١).

وليلاحظ: أيضا قوله تعالى: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم. وليتم نعمته عليكم، لعلكم تشكرون) (٢). ومن يراجع الآيات القرآنية يجد الكثير الكثير مما يدل على ذلك دلالة واضحة، حتى إن ذلك لا يحتاج إلى أي بيان أو توضيح، ولا إلى المزيد من الدلالات والشواهد.

الحاجة إلى الوزير والوصي:

وبعد أن عرفنا حقيقة هدف الاسلام، فإننا نعرف: أن مهمته شاقة وعسيرة جدا لأنها تصطدم أولا وبالذات بالانسان الفرد، حيث لا بد له من السيطرة على غرائزه وشهواته وطموحاته، ليوصلها ويستفيد منها في مجال بناء الشخصية الانسانية المثالية والفضلي.

كما أنها تهدف إلى التغيير الجذري في البنية الاجتماعية والسياسية

(١) سورة الجمعة / ٢. (٢) سورة المائدة / ٦.

وغيرها للمجتمع، ليقتلع كل جذور الشر، ويستأصل كل عوامل الانحراف؟ ليغرس عوضا عنها كل معاني الخير والصلاح، والبركة والفلاح.

نعم، إنها مهمة شاقة وعسيرة جدا، ولا أشق ولا أعسر منها، وهي تحتاج لانجازها ثم إلى استمرارها إلى جهد هائل ومستمر، ما دام أن الانسان يحمل في داخله عوامل التغيير والتحول، التي منحها الله إياها لتكون عوامل لبقائه وسعادته ولراحته، وأعطاه أيضا وسائل ضبطها والهيمنة عليها وتوجيهها.

ولكن تلك الوسائل كثيرا ما تضعف عن السيطرة على تلك العوامل. ولسوف يبقى هذا الخطر قائما، ما دام ذلك الصراع قائما. وإذا كان الصراع مستمرا باستمرار وجود الانسان على مدى الزمان، وكان خطر الشذوذ والانحراف مستمرا أيضا: فإن الأنبياء سيكونون بحاجة إلى مواصلة القيام بمهمة التربية والتزكية، وغرس الفضائل الانسانية والأخلاقية في نفوس الناس، بالإضافة إلى الاستمرار في تلاوة الآيات القاهرة للعقل؟ والمرضية للوجدان، وبالإضافة إلى تعليم الشريعة والاحكام، ثم الاشراف على تطبيقها، والرقابة المستمرة على ذلك.

ومن هنا تبرز الحاجة إلى الوزير والوصي، والنصير والأخ والولي، والخليفة للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، فجاء تنصيب علي " عليه السلام " من قبل الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله هو الحركة السليمة والطبيعية في خط الجهاد والدعوة إلى الله سبحانه.

وما يوم الدار، وما جرى من تنصيب علي " عليه السلام " فيه خليفة ووزيرا ووصيا للرسول إلا واحدا من تلك المناسبات الكثيرة التي جرى فيها التأكيد على هذا الامر، وترسيخه بصورة قوية وحاسمة. فإلى حديث الدار في ما يلي من مطالب.

وأندر عشيرتك الأقربين:
إنه بعد السنوات الثلاث الأولى بدأت مرحلة جديدة وخطيرة
وصعبة، هي مرحلة الدعوة العلنية إلى الله تعالى.
وقد بدأت أولاً على نطاق ضيق نسبياً، حيث نزل عليه صلى الله
عليه وآله قوله تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين) (١) فيقول المؤرخون،
(والنص للطبري)، ما ملخصه:
أنه لما نزلت هذه الآية دعا علياً "عليه السلام"؟ فأمره أن يصنع
طعاماً، ويدعو له بني عبد المطلب ليكلمهم، ويبلغهم ما أمر به.
فصنع علي عليه السلام صاعاً من طعام، وجعل عليه رجل شاة،
وملا عساً من لبن، ثم دعاهم، وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً،
أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة والعباس، وأبو لهب.
فان كلوا

قال علي "عليه السلام": فأكل القوم، حتى مالهم بشئ من
حاجة، وما أرى إلا موضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده، وإن
كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم.
ثم قال: إسق القوم؟ فجئتهم بذلك العس؟ فشربوا منه حتى رويوا
منه جميعاً، وأيم الله، إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد
رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال: لقد ما
سحركم صاحبكم، فتفرق القوم، ولم يكلمهم الرسول صلى الله عليه
وآله.

فامر "صلى الله عليه وآله وسلم" علياً في اليوم الثاني: أن يفعل كما
فعل أنفاً، وبعد أن أكلوا وشربوا قال لهم رسول الله "صلى الله عليه وآله
وسلم": يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه

(١) الشعراء / ٢١٤.

بأفضل مما قد جئتمكم به، إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه؟ فأياكم يوازرني على هذا الامر على أن يكون أخي، ووصي، وخليفتي فيكم.

قال: فأحجم القوم عنها جميعا، وقال علي: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال:

إن هذا أخي، ووصمي، وخليفتي فيكم؟ فاسمعوا له وأطيعوا.

قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

وفي بعض نصوص الرواية: أنه لما قام علي " عليه السلام " فأجاب، أجلسه النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ". ثم أعاد الكلام، فاجابه علي، فأجلسه، ثم أعاد عليهم، فلم يجيبوا، وأجاب علي " عليه السلام "، فقال له " صلى الله عليه وآله وسلم " ذلك.

وعلي حسب نص الإسكافي: أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " قال: هذا أخي، ووصيي، وخليفتي من بعدي. وأنهم قالوا لأبي طالب: أطلع ابنك، فقد أمره عليك (١).

(١) راجع هذه القضية في: تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٣، ومختصر تاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ١٤ ط دار الفكر بيروت وشواهد التنزيل ج ١ ص ٣٧٢ و ٤٢١ وكنز العمال الطبعة الثانية ج ١٥ ص ١٦ / ١١٧ و ١١٣ و ١٣٠ عن ابن إسحاق، وابن جرير، وصححه وأحمد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معا في الدلائل، وتاريخ ابن عساکر، ترجمه الإمام علي بتحقيق المحمودي ج ١ ص ٨٧ و ٨٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٤٤ عن الإسكافي، وحياة محمد لهيكل الطبعة الأولى ص ٢٨٦. ومسند أحمد ج ١ ص ١٥٩ وراجع أيضا المصادر التالية: كفاية الطالب ص ٢٠٥ عن الثعلبي ومنهاج السنة ج ٤ ص ٨٠ عن البغوي وابن أبي حاتم والواحدي والثعلبي وابن جرير، ومسند أحمد ج ١ ص ١١١، وفرائد السمطين، بتحقيق المحمودي ج ١ ص ٨٦، وأثبات الوصية للمسعودي ص ٦١٥ / ١١٦، والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٦٠ / ٤٥٩. والغدير ج ٢ ص ٢٧٨ - ٢٨٤ عن بعض من ذكرنا وعن: أنباء نجباء الأبناء ص ٤٦ - ٤٧، وشرح الشفاء للخفاجي ج ٣ ص ٣٧، وتفسير الخازن ج ٣ ص ٣٩٠، وكتاب سليم بن قيس وغيرهم. وخصائص النسائي ص ٨٦ الحديث ٦٣. وراجع: البحار ج ٣٨ والدر المنثور ج ٥ ص ٩٧ عن مصادر كنز العمال لكنه حرف فيه ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٣٠٢ عن عدد من الحفاظ باسقاط منه أيضا، وينابيع المودة ص ١٠٥ وغاية المرام ص ٣٢٠ وابن بطريق في العمدة، وتفسير الثعلبي، وتفسير الطبري ج ١٩ ص ٧٥، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠، وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٠ و ٣٥١.



(61)

التعصب الأعمى:
ولا بد أن نشير هنا: إلى أن الطبري، قد ذكر هذا الحديث في تاريخه على النحو المتقدم. ولكنه ندم على ذلك - على ما يظهر - فذكر نفس هذا الحديث في تفسيره برمته حرفيا، متنا وسندا، ولكنه غير فيه عبارة واحدة، فذكرها على النحو التالي:
" فأيكم يوازرنني على هذا الامر، على أن يكون أخي، وكذا وكذا. إلى أن قال: ثم قال: إن هذا أخي وكذا وكذا (١)!!"
وقد تبعه على هذا ابن كثير الشامي أيضا؟ فلم تسمح نفسه بذكر ما في تاريخ الطبري. بل نقل خصوصا ما في التفسير، مع أن تاريخ الطبري هو مصدره ومعتمده في تاريخه (٢)!!
كما أن محمد حسنين هيكل بعد أن ذكر في كتابه حياة محمد، في الطبعة الأولى ص ١٠٤ نص الطبري في التاريخ. عاد فحذف من الطبعة

(١) راجع تفسير الطبري ج ١٩ ص ٧٥.
(٢) راجع: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥١، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٥٩.

الثانية ص ١٣٩ ط سنة ١٣٥٤ هـ. قوله: " وخليفتي فيكم " واقتصر على قوله: " ويكون أخي ووصيي " وذلك لقاء خمسمائة جنيه، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه (١).

ابن تيمية، وحديث الدار:

أما ابن تيمية، فقد أنكر - على عادته - في إنكار فضائل سيد الأوصياء أمير المؤمنين " عليه السلام " - حديث الدار، وأورد عليه بما ملخصه:

أولاً: إن في سند رواية الطبري أبو مريم الكوفي، وهو مجمع على تركه، وقال أحمد: ليس بثقه، واتهمه ابن المديني بوضع الحديث الخ. وثانياً: تنص الرواية على أنه قد جمع بني عبد المطلب وهم أربعون رجلاً. ومن الواضح: أنه حين نزول الآية لم يكن بنو عبد المطلب بهذه الكثرة. وثالثاً: قول الرواية إن الرجل منهم ليأكل الجذعة، ويشرب الفرق من اللبن، كذب، إذ ليس في بني هاشم من يعرف بأنه يأكل جذعا، ولشرب فرقا.

ورابعاً: إن مجرد الإجابة للمعاونة على هذا الأمر لا يوجب أن يكون المجيب وصياً وخليفة بعده صلى الله عليه وآله؟ فإن جميع المؤمنين أجابوا إلى الإسلام، وأعانوه على هذا الأمر، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيله. كما أنه لو أجابه الأربعون؟ أو جماعة منهم فهل يمكن أن يكون الكل خليفة له؟

وخامساً: إن حمزة، وجعفر، وعبيدة بن الحرث قد أجابوا إلى ما

(١) راجع: فلسفة التوحيد والولاية ص ١٧٩ و ١٣٢ وسيرة المصطفى ص ١٣١ و ١٣٠.

أجاب إليه علي، بل حمزة أسلم قبل أن يصير المؤمنون أربعين رجلا (١).
الرد على ابن تميمية:
ولكن كل ما ذكره ابن تيمية لا يصح، ولا يلتفت إليه، وذلك لما يلي:
ألف - فأما بالنسبة لما ذكره أولا عن أبي مریم، فقد قال ابن عدي:
سمعت ابن عقدة يثني على أبي مریم ويطريه، وتجاوز الحد في مدحه (٢)
وأثنى عليه شعبة (٣).
وقال عنه الذهبي: كان ذا اعتناء بالعلم وبالرجال (٤).
وعدا عن ذلك فقد صرحوا بسبب تضعيفهم له، وهو كونه شيعيا.
ونحن نرى أن ذلك لا يضره؟ فقد روى أصحاب الصحاح، ولا سيما
البخاري ومسلم عن عشرات الشيعة (٥).
ومع غض النظر عن ذلك؟ فإن المتقى الهندي قد نقل عن الطبري:
أنه قد صحح هذا الحديث (٦).
كما وصححه الإسكافي المعتزلي (٧) وصححه أيضا: الخفاجي في
شرح الشفاء (٨).
وقد رواه أحمد بسند جميع رجاله رجال الصحاح بلا كلام، وهم:

-
- (١) منهاج السنة ج ٤ ص ٨١ - ٨٣.
(٢) راجع: الغدير ج ٢ ص ٢٨٠، ولسان الميزان ج ٤ ص ٤٣.
(٣) لسان الميزان ج ٤ ص ٤٢.
(٤) و (٥) ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٦٣١ و ٦٤٠، ولسان الميزان ج ٤ ص ٤٢.
(٦) كنز العمال ج ١٥ ص ١١٣.
(٧) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٤٤.
(٨) راجع: الغدير ج ٢ ص ٢٨٠.

شريك، والأعمش، والمنهال، وعباد، وعلي " عليه السلام " (١).
ولو سلم كل ذلك؟ فإن طرق الحديث مستفيضة، يقوى بعضها
بعضاً؟ فلا يضر ضعف بعض الرجال في بعض الأسانيد.
وأعجب من ذلك دعوى أن لا تكون قضية الخلافة بعده صلى الله
عليه وآله مذكورة في المسانيد، فإن من راجع المصادر التي ذكرناها
للحديث آنفاً؟ يعرف أنها موجودة في عشرات المصادر والمسانيد.
وأما الطعن في رواية ابن أبي حاتم باشتمال سندها على عبد الله بن
عبد القدوس. وقد ضعفه الدارقطني، وقال النسائي: ليس بثقة. وقال
ابن معين: ليس بشيء، رافضي خبيث.
أما هذا - فقد قال الشيخ المظفر: " رحمه الله " تعالى في جوابه:
" وفيه: أن تضعيفهم معارض بما في تقريب ابن حجر: أنه صدوق.
وفي تهذيب التهذيب: قال محمد بن عيسى: ثقة.
وذكره ابن حبان في الثقات.
وقال البخاري: هو في الأصل صدوق، إلا أنه يروي عن أقوام
ضعاف. مع أنه أيضاً من رجال سنن الترمذي.
ومدح هؤلاء مقدم؟ لعدم العبرة في قدح أحد المتخالفين في الدين
في الآخر، ويقبل مدحه فيه. وهم قذوفه بذلك؟ لانهم رموه بالتشيع، ولا
نعرفه في رجالهم.
لكن قد ذكر ابن عدي: أن عامة ما يرويه في فضائل أهل البيت.
ولعل هذا هو سر تهمتهم له (٢).

(١) راجع: المصدر السابق، ومسنند أحمد ج ١ ص ١١١.

(٢) دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٤.

٢ - وأما ذكره ابن تيمية ثانيا: فإن الظاهر هو أن كلمة (عبد) زيادة من الرواة، بدليل: أن عددا من الروايات يصرح بأنه قد دعا بني هاشم (١) وجاء في روايات أخرى: انه دعا بني عبد المطلب، ونفرا من بني المطلب (٢) فلعل الامر قد اشتبه على الراوي وأضاف كلمة " عبد "، وهذا كثير. وعليه فلا يلزم من ذلك كذب أصل الواقعة المتفق عليها إجمالا. كما أن أبناء عبد المطلب إذا كانوا عشرة، وكان أصغرهم يصل عمره حينئذ إلى ستين عاما؟ فلماذا لا يكون لهم من الولد ما لو انضموا إليهم لبلغوا أربعين رجلا، بل أكثر من ذلك بكثير، وما وجه الاستبعاد لذلك؟

٣ - وأما ما ذكره ثالثا: فقد أجاب عنه الشيخ المظفر: بأن عدم معرفتهم بالاكل لا تدل على عدم كونهم كذلك، فلعلمهم كذلك في الواقع.

ولو سلم؟ فإنه يلزم منه مبالغة الراوي في إظهار معجزة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " في إطعامهم رجل الشاة، وعس اللبن الواحد (٣).

٤ - وأما ما ذكره ابن تيمية رابعا: فجوابه ما ذكره الشيخ المظفر من أن قوله هذا ليس علة تامة للخلافة، ولم يدع ذلك النبي صلى الله عليه وآله، ليشمل حتى من لم يكن من عشيرته، بل أمره الله بإنذار عشيرته؟

(١) كما في السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٥٩ عن ابن أبي حاتم وكذا في البداية

والنهاية ج ٣ ص ٤٠، راجع كنز العمال ج ١٥ ص ١١٣، ومسند أحمد ج ١ ص ١١١ وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٠ وابن عساكر ترجمة الإمام علي بتحقيق المحمودي ج ١ ص ٨٧، وأثبات الوصية للمسعودي ص ١١٥، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٧، ومسند البزار مخطوط في مكتبة مراد رقم ٥٧٨.

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٦٢ ط صادر.

(٣) دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٥.

لأنهم أولى بالدفع عنه ونصره؟ فلم يجعل هذه المنزلة إلا لهم، وليعلم من أول الأمر: أن هذه المنزلة لعلي " عليه السلام " لأن الله ورسوله يعلمان: أنه لا يجيب النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " ويوازره غير علي " عليه السلام "؟ فكان ذلك من باب تثبيت إمامته، بإقامة الحججة عليهم. ومع فرض تعدد المجيبين يعين الرسول الأحق بها منهم (١).

وقد أوضح ذلك المحقق البحاثة السيد مهدي الروحاني: بأن الخطاب إنما هو للجميع، لكن النبي صلى الله عليه وآله كان يعلم من خلقهم وعلاقاتهم، وطبائعهم: أنهم سوف لا يجيبون إلا علي " عليه السلام "، هذا بالإضافة إلى إعلام الله له بذلك.

ونقول نحن: ويؤيد ذلك النص الذي سوف يأتي نقله عن البحار، عن ابن طاووس، تحت عنوان: " ماذا قال النبي صلى الله عليه وآله يوم الانذار ". وقد قلنا هناك: إن ذلك النص هو المنسجم مع الآية الكريمة، وقد جاء فيه: " إن الله لم يبعث رسولا إلا جعل له أخا، ووزيرا، ووصيا، ووارثا من أهله، وقد جعل لي وزيرا كما جعل للأنبياء من قبلي إلى أن قال: وقد والله أنبأني به، وسماه لي، ولكن أمرني أن أدعوكم وأنصح لكم، وأعرض عليكم لثلاث تكون لكم الحججة فيما بعد " (٢).

واحتمل صديقنا المحقق الروحاني: أن يكون الخطاب لواحد منهم على سبيل البدل، ولذا قال لهم: أيكم يؤازرنى الخ.. فالمجيب أولا هو الذي يستحق ما وعد به " صلى الله عليه وآله وسلم "، وإجابة أكثر من واحد بعيدة الوقوع جدا، ولا يعتنى باحتمالها عرفا. لا سيما وأن الذي يضر هو التقارن في الإجابة، وذلك أبعد وأبعد. هذا مع علمه صلى الله عليه وآله بأنه لا يجيب سوى واحد منهم.

(١) دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٦.

(٢) البحار ج ١٨ ص ٢١٥ / ٢١٦، عن: سعد السعود ص ١٠٦.

ولكن قد ذكر بعض الاعلام: أن كون المراد هو المؤازرة في الجملة بعيد؟ لكون المسلمين على اختلاف مراتبهم قد وازروه في الجملة. فالمراد هو المؤازرة في جميع الأمور والأحوال. والموازرة الكاملة في الدين تحتاج إلى أعلى درجات الوعي، والعلم، والسمو الروحي إلى درجة العصمة. الامر الذي يعني: أن شخصا كهذا هو الذي يستحق الإمامة، ولا يستحقها سواه؟ ممن تلبس بالظلم، كما قال تعالى: " لا ينال عهدي الظالمين ". وليس ذلك سوى علي " عليه السلام ".

أضف إلى ذلك: أن إمامة وخلافة علي " عليه السلام "، إنما هي بجعل من الله سبحانه وتعالى، لا يجعل من النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لتترتب على المؤازرة المنشودة، والمرغب بها، مع علم النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بعدم إجابة غير علي " عليه السلام "، فيكون ما جرى في يوم الانذار لأجل إقامة الحجة، وقطع كل عذر. فكلام المظفر هو الأولى والأقرب انتهى.

وأما ما ذكره ابن تيمية خامسا، وأخيرا فهو لا يصح أيضا بأي وجه: أولا: لان وجود حمزة إنما يضر، لو كان قد أسلم قبل نزول آية الانذار، ونحن لم نستطع: أن نحتمل ذلك، فضلا عن أن نجزم به؟ إذ من القريب جدا، بل هو ظاهر، إن لم يكن صريح ما ورد في كيفية إسلام حمزة: أن يكون إسلامه بعد الاعلان بالدعوة، وبعد وقوع المواجهة بين النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " وقريش، وبعد مفاوضاتها لأبي طالب. وثانيا: لو سلم فإن إنذار عشيرته يمكن أن يكون أثناء الدعوة السرية، وقبل إسلام حمزة، حتى لو كان قد أسلم في الثانية من البعثة، ويكون ما جرى بين حمزة وأبي جهل، بمثابة إعلان جزئي للدعوة. وتكون قريش قد بدأت تتعرض لشخص النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " حتى في الدعوة السرية، وأما بالنسبة لسائر من أسلم فقد كان ثمة محدودية في

التعامل معهم، وسرية بالنسبة لمن يدخل في الاسلام منهم. ويدل على ما ذكرناه: أنهم يذكرون: أن قوله تعالى: " فاصدع بما تؤمر " كان هو السبب في إخراج الدعوة من السر إلى العلن. ولا ريب أن إنذار العشيرة كان قبل ذلك.

وثالثا إن وجود حمزة، إن كان قد أسلم آنئذ، كوجود أبي طالب بينهم، فلعلهما كانا يريان أنهما غير مقصودين بهذه الدعوة. ولا سيما إذا كانا يدركان: أن بقاءهما إلى ما بعد وفاة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أبعد احتمالا؟ فإن سن حمزة كان يقارب سن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، كما يدعون، ولكننا نعتقد: أنه كان أكبر من النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " وأكثر من عشرين سنة، لأنه كان أكبر من عبد الله، والد النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " والذي كان أصغر أولاد عبد المطلب.

وهكذا يقال بالنسبة للعباس أيضا. وأما أبو طالب؟ فإنه كان شيخا هرما لا يحتمل البقاء إلى ما بعد وفاته صلى الله عليه وآله، فلا معنى لان يقدم أي منهما نفسه على أنه خليفته من بعده، أو على الأقل هكذا فكرا آنئذ.

وهكذا يتضح: أن جميع ما جاء به ابن تيمية إنما كان كسراب بقيعة، أو كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف. نقاط هامة في حديث الانذار

الف - روايات لا يمكن أن تصح:

هذا، وقد حاول ابن تيمية أن يقوي جانب روايات أخرى تبعد عليا وأهل البيت عن الانظار، بل وتستبعد الهاشميين منه عموما أيضا كتلك الروايات التي في الصحيحين، والتي تقول: إنه " صلى الله عليه وآله وسلم "

وسلم " جمع قريشا - حين نزل قوله تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين) فاجتمعوا، فخص وعم، فقال: يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار الخ (١).

وفي رواية أخرى: إنه " صلى الله عليه وآله وسلم " جمع بني هاشم وأجلسهم على الباب، وجمع نساءه فأجلسهم في البيت. ثم كلم بني هاشم، وبعد ذلك أقبل على أهل بيته؟ فقال: يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا أم سلمة، ويا فاطمة بنت محمد، ويا أم الزبير عمة رسول الله، اشترىوا أنفسكم في الله، واسعوا في فكاك رقابكم؟ فاني لا أملك لكم من الله شيئا، ولا أغني؟ فبكت عائشة وقالت.. ثم تذكر الرواية محاوراة لها معه " صلى الله عليه وآله وسلم " (٢).
وثمة نصوص أخرى كلها تؤكد على دعوته قريشا وإنذاره لها. وهذه الروايات لا يمكن أن تصح.
فأولا: لقد تقدم: أن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها لم تكن حينئذ قد ولدت.

(١) راجع: منها ج السنة ج ٤ ص ٨٣، والدر المنثور ج ٥ ص ٩٥ و ٩٦ عن: أحمد،

وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي

حاتم، وابن مردويه والبيهقي عن عائشة، وأنس، وعروة بن الزبير، والبراء، وقتادة، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٧.

(٢) الدر المنثور ج ٥ ص ٩٦ عن: الطبراني، وابن مردويه، عن أبي أمامة، وهذه

الروايات موجودة في مصادر كثيرة أخرى ولا سيما تلك التي ذكرناها في أوائل هذا

البحث كمصادر للنص الأول.

وثانيا: إن عائشة (١) وحفصة، وأم سلمة لم يكن من أزواجه حينئذ، ولاكن من أهله، وإنما صرن من أهله في المدينة بعد ذلك بسنين كثيرة..
وثالثا: إن هذه الروايات تناقض ما ورد من أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " إنما دعا قريشا وبادءها حين نزل قوله تعالى: فاصدع بما تؤمر. وليس حين نزل قوله تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين).
ورابعا: ان هذه الروايات تناقض نص الآية نفسها، فإنها تأمره بانذار العشيرة الأقربين، لا مطلق عشيرته، ولا مطلق الناس، وعشيرته الأقربون إما هم بنو هاشم، أو بنو عبد المطلب، والمطلب.
والقول بتعدد الانذار: لا يدفع الاشكال، بعد تصريح الروايات: بان مفادها قد وقع حين نزول الآية عليه " صلى الله عليه وآله وسلم ".
وهذا كله مع غض النظر عما في أسانيد هذه الروايات، فإن جميع رواياتها - كما يقولون - لم يدركوا زمان إنذار عشيرته " صلى الله عليه وآله وسلم " .

ب - ما المراد بكونه خليفته في أهله:

وقد ذكر الشيخ المظفر (ره): أن من الواضح: أن قوله: خليفتي فيكم، أو في أهلي لا يضر، ما دام أن ثمة إجماعا على عدم جواز وجود خليفتين: خاص، وعام. فخلافته الخاصة تقتضي خلافته المطلقة. ولعل الأصح هو: أنه قال - كما في الروايات الأخرى - : " من بعدي "، أو أنه قال: " فيكم "، باعتبار أنهم من المسلمين.

(١) والغريب في الامر: أنهم يعتقدون: أن عائشة إنما ولدت في الخامسة من البعثة، والانذار للعشيرة كان في الخامسة، فهم يناقضون أنفسهم مناقضة صريحة، وإن كنا نحن نعتقد: أن عائشة قد ولدت قبل البعثة بسنوات، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى.

وأما القول بان المقصود: هو أنه القائم بشؤونهم الدنيوية؟ فيكذبه الواقع؟ فإن عليا " عليه السلام " لم يكن كذلك بالنسبة لأي من الهاشميين. ولو كان المقصود هو خصوص الحسنين عليهما السلام، وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما، فإن من الواضح أنهما وكذلك أمهما ما كانوا قد ولدوا بعد. كما أن نفقة هؤلاء واجبة عليه بالأصالة لا بالخلافة، وأما غيرهم فلم يكن " عليه السلام " مكففا بالانفاق عليه، ولا كان يفعل ذلك (١).

أضف إلى ذلك كله: أنه بعد أن يصبح الانسان رجلا عاقلا وكاملا، فإنه لا يبقى بحاجة إلى ولي يدبر شؤونه، بل يستقل هو نفسه في ذلك. وعلى هذا، فلا يبقى للولي وللخليفة معنى. إذا كان هذا هو المراد. ونشير هنا إلى أن الدواعي كانت متوفرة لتحريف هذه الواقعة، وجعلها خاصة بالخلافة على الأهل، ولا تشمل الخلافة العامة التي هي موضع الاخذ والمراد كما هو معلوم.

ج - لماذا تخصيص العشيرة بالدعوة؟!:

هذا ولا يخفى أن الاهتمام بدعوة عشيرته الأقربين كان خير وسيلة لتثبيت دعائم دعوته، ونشر رسالته؟ لان الاصلاح يجب أن يبدأ من الداخل، حتى إذا ما استجاب له أهله وقومه، اتجه إلى غيرهم بقدم ثابتة، وعزم راسخ ومطمئن.

كما أن دعوته لهم سوف تمنحه الفرصة لاكتشاف عوامل الضعف والقوة في البنية الداخلية، من حيث ارتباطاته وعلاقاته الطبيعية، وليعرف مقدار الدعم الذي سوف يلاقه؟ فيقدر مواقفه، وإقدامه، وإحجامه على أساسه.

(١) راجع: دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٣٩.

أضف إلى ذلك: أنه حين يبدأ بالأقربين من عشيرته، ولا يبدو أنه على استعداد لتقديم أي تنازل أو مساومة حتى بالنسبة إلى هؤلاء، فإن معنى ذلك هو أن على الآخرين أن يقتنعوا بأنه منسجم مع نفسه، ومقتنع بصحة ما جاء به، ويريد لأحب الناس إليه، الذين لا يريد لهم إلا الخير، أن يكونوا في طليعة المؤمنين الذين يضحون بكل غال ونفيس في سبيل هذا الدين. وقد رأينا: أن النصارى قد تنبهوا إلى ذلك في قضية المباحلة. فراجع.

ومن الجهة الأخرى: فإنه يعيش في مجتمع يقيم علاقاته على أساس قبلي؟ - فحين يريد أن يقدم على مواقف أساسية ومصيرية - وحين لا يكون هو نفسه يرضى بالاعتماد على القبلية كعنصر فعال في حماية مواقفه، وتحقيق أهدافه؟ فإن من اللازم: أن يتخذ من ذوي قرباه موقفا صريحا، ويضعهم في الصورة الواضحة؟ وأن يهئ لهم الفرصة ليحددوا مسؤولياتهم، بحرية، وصراحة، وصفاء، بعيدا عن أي ضغط، وابتزاز ولو كان هذا الضغط من قبيل العرف القبلي في ما بينهم؟ لأنه عرف مرفوض إسلاميا.

وهنا تبرز واقعية الاسلام في تعامله مع الأمور، وفي معالجته للقضايا، الاسلام الذي لا يرضى أن يستغل جهل الناس وبساطتهم، وحتى أعرافهم - الخاطئة - التي ارتضوها لأنفسهم في سبيل منفعه، وتحقيق أهدافه.

نعم، إن الاسلام يعتبر الوسيلة جزءا من الهدف، فلا بد أن تنسجم وتتلاءم معه - كما لا بد أن تنال من الطهر والقداسة بالمقدار الذي يناله الهدف نفسه.

وقفنا الله للسير على هدى الاسلام، والالتزام بتعاليمه؟ إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول.

وعلى كل حال، فقد خرج " صلى الله عليه وآله وسلم " من ذلك الاجتماع بوعد أكيد من شيخ الأبطح، أبي طالب (ره) بالنصر والعون؟ فإنه لما رأى موقف أبي لهب اللا إنساني، واللا معقول، قال له: " يا عورة، والله لننصرنه، ثم لنعيننه. يا ابن أخي، إذا أردت أن تدعو إلى ربك فاعلمنا، حتى نخرج معك بالسلاح (١) ".

د - علي " عليه السلام " في يوم الانذار:
ونجد في يوم الانذار: أن اختيار النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " يقع على أمير المؤمنين " عليه السلام "، ليكون المضيف لجماعة يناهز عددها الأربعين رجلا، فيأمره بأن يصنع طعاما، ويدعوهم إليه والظاهر: أن ذلك قد كان في بيت النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " نفسه، لان عليا " عليه السلام " كان عند رسول الله صلوات الله عليه وآله في بيته على ما يظهر - وقد كان بإمكانه " صلى الله عليه وآله وسلم " أن يطلب من خديجة أن تصنع لهم الطعام. هذا، مع وجود آخرين، أكثر وجاهة ومعروفية من علي " عليه السلام "، كابي طالب، وكجعفر، الذي كان يكبر عليا في العمر، وغيرهما ممن يمكن أن يستفيد من نفوذه وشخصيته في التأثير على الحاضرين.

ولكنه قد اختار عليا بالذات ليتفادى أي إحراج يبعد القضية عن مجالها الطبيعي، الذي يركز على القناعة الفكرية والوجدانية بالدرجة الأولى، ولان عليا - وإن كان حينئذ صغير السن، إلا أنه كان في الواقع كبيرا في عقله، وفي فضائله وملكاته، كبيرا في روحه ونفسه، كبيرا في آماله وأهدافه. - ولا أدل على ذلك من كونه هو المجيب للرسول، دون كل من حضر، ليؤازره ويعاونه على هذا الامر. وقد رآه النبي " صلى الله

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٨ / ٢٧ ط صادر.

عليه وآله وسلم " منذئذ أهلا لان يكون أخاه، ووصيه، وخليفته من بعده. وهي الدرجة التي قصرت همم الرجال عن أن تنالها، بل وحتى عن أن يدخل في وهمها: أن تصل ولو في يوم ما إليها، وتحصل عليها. ولكن عليا كان منذ نعومة أظفاره هو السباق إليها دون كل أحد؟ لأنه عاش في كنف الرسول، وكان " صلى الله عليه وآله وسلم " كفيله ومربيه، وكان يبرد له الطعام، ويشمه عرفه، وكان يتبع الرسول اتباع الفصيل أثر أمه، وكان كأنه ولده (١). وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ه - موقف أبي لهب:

ولقد أدرك أبو لهب مغزى تلك الدعوة، ورأى أن الامر قد بلغ مرحلة الجد. وها هو يرى بام عينيه معجزة أخرى، تضاف إلى الكثير مما رآه من معاجز وكرامات للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، طيلة السنوات الكثيرة التي عرف فيها النبي وأحواله - فيرى أن فخذ شاة، وعسا من لبن، يكفي أربعين رجلا.

وأبو لهب هو ذلك الرجل الذي يعرف طبيعة وأهداف هذا الدين الذي يبشر فيه محمد " صلى الله عليه وآله وسلم ". وأنه لا يقيم وزنا لأي امتياز أو مكسب شخصي حصل عليه الانسان من طريق الابتزاز والظلم، وسائر أنواع التعدي والانحراف. إذن، فلا بد لأبي لهب، بحسب منطقته

(١) وليس في كفالة النبي " صلى الله عليه وآله " لعلي غضاضة على أبي طالب شيخ الأبطح - كما يقول البعض - لان عبد الله وأبا طالب كانا من أم واحدة بخلاف سائر أبناء عبد المطلب، وقد ربي النبي " صلى الله عليه وآله " في حجر أبي طالب وكان " صلى الله عليه وآله " يخاطب فاطمة بنت أسد بيا أماه، وكانت عناية أبي طالب وزوجته به " صلى الله عليه وآله " فائقة جدا. وكان علي " عليه السلام " كأنه ابن لرسول الله " صلى الله عليه وآله "، مع ملاحظة التفاوت في السن فيما بينهما.

اللا منطقي: أن يقف في وجه هذا الدين، ويمنعه من تحقيق أهدافه بكل وسيلة ممكنة. ولا بد من تضييع الفرصة على النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وذلك حفاظا على ما يراه أنه مصلحته أولا، وليرضي حقه وحسده الذي يعتمل في صدره ثانيا؟ ذلك الحقد الذي لا مبرر له إلا أنه: يرى في شخصية النبي الأكرم " صلى الله عليه وآله وسلم " الصفات الحميدة، والأخلاق الرضية الكريمة، والسجايا الفاضلة، فإن ذلك يعتبر عنده ذنبا، وأي ذنب.

فبادر إلى المواجهة الصريحة، والوقحة والقييحة، حيث استغل معجزة الطعام التي يراها الجميع بأم أعينهم، فرمى النبي الأكرم بالسحر وقال: لقد ما سحركم صاحبكم. فتفرق الجمع في اليوم الأول، ولم يستطع الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " أن يقول كلمته حتى اليوم التالي؟ حيث استطاع النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أن يصدع بما أمره الله تعالى، ويقيم عليهم الحجة، كما تقدم بيانه.

و - الانذار أولا:

وما دمنا في الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين؟ فإننا نسجل هنا: أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " قد أمر من قبل الله تعالى بالانذار أولا لعشيرته، فقال تعالى: (وأنذر عشيرتک الأقربين) (١). وكذلك الحال بالنسبة لغيرهم من سائر الناس، فإنه تعالى قد قال لنبيه، كما في سورة المدثر، التي هي من العنائق النازلة في أوائل البعثة: (قم فأنذر) (٢). فقد جاء الانذار أولا، مع أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " قد أرسل مبشرا ونذيرا، ومع أن القرآن هدى وبشرى أيضا.

(١) الشعراء / ٢١٤.

(٢) المدثر / ٢.

وسر ذلك واضح؟ فإن الناس كانوا في أول البعثة كفارا، ومنغمسين في الظلم والانحراف إلى أبعد مدى. فلا بد من إنذارهم أولا؟ ليلتفتوا إلى الواقع السيئ الذي يعيشونه، وإلى العواقب المدمرة والمرعبة، التي تنتظرهم نتيجة لذلك. والتفاتهم هذا لسوف يؤثر فيهم التطلع، ثم الحركة نحو الخروج من ذلك الواقع، والتخلص منه.

ثم يأتي بعد ذلك دور تخليص المجتمع من رواسبه، ومن حركاته، وأعماله، ومواقفه السيئة، على مستوى الفرد، وعلى مستوى الجماعة، وتطهيره من كل غريب ومريض.

ومعه جنبا إلى جنب تكون عملية وضع الأسس المتينة والسليمة لبناء الهيكل العام للمجتمع المسلم في عواطفه، وفي علاقاته، وفي روابطه. والاهم من ذلك؟ في فكره وثقافته، وإعطائه المفهوم الحقيقي والواقعي عن الكون، وعن الحياة، وبالذات عن هذا الانسان القوي الضعيف، وليطرد قدما في عملية بناء الانسان من الداخل، وتربيته وتزكيته، كما هو وظيفة النبي والامام، وكل داعية إسلامي على الاطلاق.

وقد أشرنا في أول هذا الفصل إلى هذا، مستفيدين من قوله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة).

وهذا الذي ذكرناه عن أسلوب الاسلام في دعوته، هو التحرك الطبيعي لأية دعوة، تستهدف الاصلاح الجذري، والتغلب على مشاكل الحياة. والتخطيط لمستقبل مشرق سعيد.

ز - ماذا قال النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " في يوم الانذار: وقد جاء في بعض النصوص أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " قال لهم: " يا بني عبد المطلب، إني لكم نذير من الله عز وجل، إني أتيتكم

بما لم يأت به أحد من العرب، فإن تطيعوني ترشدوا، وتفلحوا،
وتنجحوا، إن هذه مائدة أمرني الله بها؟ فصنعتها لكم، كما صنع
عيسى بن مريم " عليه السلام " لقومه؟ فن كفر بعد ذلك منكم، فإن الله
يعذبه عذابا شديدا، لا يعذبه أحدا من العالمين، واتقوا الله، واسمعوا ما
أقول لكم، واعلموا يا بني عبد المطلب: أن الله لم يبعث رسولا إلا جعل
له أخا، ووزيرا، ووصيا، ووارثا من أهله. وقد جعل لي وزيرا كما جعل
للأنبياء من قبلي، وإن الله قد أرسلني إلى الناس كافة، وأنزل علي:
(وأندر عشيرتك الأقربين) ورهطك المخلصين (١)، وقد والله أنبأني به،
وسماه لي. ولكن أدعوكم، وأنصح لكم، وأعرض عليكم؟ لئلا يكون
لكم الحجة فيما بعد، وأنتم عشيرتي وخالص رهطي، فأيكم يسبق إليها
على أن يؤاخيني في الله، ويوازرني "، إلى آخر كلامه " صلى الله عليه وآله
وسلم "، الذي ينسجم مع النص الذي ذكرناه في أوائل هذا الفصل
فرا جعه (٢).

وهذا النص هو الأوفق والأنسب لموقف كهذا، وهو ينسجم تماما مع
أمر الآية بالانذار، فإن الانذار أولا هو الخطوة الطبيعية لأية دعوة، كما
ذكرنا آنفا.

ح - التبشير والانذار:

ويقول المحقق الباحثة المرحوم الشيخ مرتضى المطهري: إن من
يريد إقناع إنسان ما بعمل ما، فله طريقان: أحدهما: التبشير، بمعنى
تشويقه، وبيان فوائد ذلك العمل. الثاني: إنذاره ببيان ما يترتب على تركه
من مضار، وعواقب سيئة.

(١) هذا توضيح منه " صلى الله عليه وآله " وتفسير للمراد من الآية.
(٢) البحار: ج ١٨ ص ٢١٥ / ٢١٦ عن سعد السعود لابن طاووس: ص ١٠٦.

ولذلك قيل: الانذار سائق، والتبشير قائد.
والقرآن والاسلام يرى: أن الانسان يحتاج إلى هذين العنصرين
معاً، وليس - كغيره - يكفيه أحدهما.
بل ويرى الاسلام: أنه لا بد وأن ترجح كفة التبشير على كفة
الانذار. ولذلك قدم الأول على الثاني في أكثر الآيات القرآنية.
ومن هنا، فقد قال " صلى الله عليه وآله وسلم " لمعاذ بن جبل، حين
أرسله إلى اليمن: " يسر ولا تعسر، وبشر ولا تنفر ".
فهو هنا لم يستبعد الانذار، بل هو جزء من خطته. وإنما اهتم
بجانب التبشير إذ يمكن بواسطته إدراك مزايا الاسلام وخصائصه الرائعة،
وليكون إسلامهم من ثم عن قناعة حقيقية، وقبول تام.
وأما قوله " صلى الله عليه وآله وسلم ": " ولا تنفر، فهو واضح
المأخذ، فإن روح هذا الانسان شفاقة جدا، وتبادر إلى ردة الفعل بسرعة،
ومن هنا فإننا نجد النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " يأمر بالعبادة ما دامت
النفس مقبلة، ولا يقبل بالضغط عليها، وتحميلها مالا تطيق. ولهذا شواهد
كثيرة في الشريعة السهلة السمحاء (١).
ومما تقدم نستطيع أن ندرك: لماذا اشتملت دعوته " صلى الله عليه
وآله وسلم " لعشيرته على التبشير أيضا؟ بان من يؤازره سوف يكون خليفة
بعده، وأنه قد جاءهم بخير الدنيا والآخرة، تماما كما بدأت بالانذار، فإن
ذلك ينسجم مع ما تشنق إليه نفوسهم، ويتلاءم مع رغباتهم. ويأتي من
قبل من لا يمكن اتهامه لديهم بأي وجه.

(١) راجع: جريدة جمهوري اسلامي الفارسية رقم ٢٥٤ سنة ١٣٥٩ هـ. ش في
مقالات للمطهرى رحمه الله تعالى.

ط - أخي ووصيبي:

ويلفت نظرنا هنا قوله " صلى الله عليه وآله وسلم ": على أن يكون أخي الخ. فإن ذلك يؤكد لهم على مدى التلاحم والمحبة بينه وبين ذلك الذي يؤازره ويعاونه، إلى حد أنه يعتبره أحبا له، فليست العلاقة بينهما علاقة رئيس ومرؤوس، وأمر ومأمور، ولا عال بدان، وإنما هي علاقة بين متكافئين في الانسانية، كما أنها علاقة تعاون وتعاضد على العمل البناء والمثمر، وعلاقة أخ مع أخيه، تغمرها المحبة، والثقة والصفاء، بكل ما لهذه الكلمات من معنى.

أضف إلى ذلك، ما في ذلك من دلالة على المستوى السامي الذي كان قد بلغه أمير المؤمنين " عليه السلام " حتى يستحق وسام الاخوة فيما بينه وبين سيد البشر، من مضى منهم، ومن غير.

فاصدع بما تؤمر:

وبعد أن أندر " صلى الله عليه وآله وسلم " عشيرته الأقربين. وبعد أن انتشر أمر نبوته " صلى الله عليه وآله وسلم " في مكة، بدأت قريش تتعرض لشخص النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بالاستهزاء والسخرية، وأنواع التهم، كما يظهر؟ إذ أنهم قد عرفوا جدية القضية، وأدركوا أبعادها. فبادروا إلى تلك الأساليب بهدف الحط منه " صلى الله عليه وآله وسلم " أمام الرأي العام، وابتدال شخصيته. على الرغم من أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " لم يطلب منهم بعد أن يؤمنوا بما جاء به، كل ذلك حسدا وبغيا منهم، وتخوفا من المستقبل، ليس إلا.

وكان لذلك الاستهزاء تأثير على إقبال الناس على الدخول في الاسلام؟ فاعتم النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لذلك جدا، واعتبر ذلك عائقا في سبيل انتشار دعوته، وأداء مهمته؟ فأنزل الله عليه يأمره بإظهار

الدعوة، والطلب حتى من قريش: أن تسلم لربها، مشفوعا ذلك بوعده أكد. بأن الله سوف يكفيه المستهزئين؟ فيجب أن لا يهتم لهم، وأن يتجاهلهم.

وذلك حين نزل قوله تعالى:

(فاصدع بما تؤمر، وأعرض عن المشركين. إنا كفيناك المستهزئين) (١).

هذا إذا كان المقصود أنه سوف يكفيه أولئك الذين صدر منهم فعل الاستهزاء. أما إذا كان المراد: من سوف يصدر منهم هذا الامر، فإن الآية لا تكون ناظرة إلى ما سبق كما هو ظاهر لا يخفى. وقد بين الله تعالى له: خطة العمل المستقبلية، فأمره أن يأخذ بالصفح الجميل، وبالاعراض عن المشركين، وأن لا يحزن عليهم، ولا يضيق صدره بما يقولون؟ فإن جزاءهم على الله المطلع على كل صغيرة وكبيرة.

فامتثل النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أمر الله، وأظهر دعوته، وطلب من الناس جميعا: أن يسلموا لربهم.

ويقولون: إنه قام على الحجر، فقال: يا معشر قريش، يا معشر العرب أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وآمركم بخلع الأنداد والأصنام؟ فأجيبوني تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكا في الجنة.

فاستهزؤا به، وقالوا: جن محمد بن عبد الله، ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب (٢).

(١) ١ الحجر / ٩٤ - ٩٥.

(٢) راجع: تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣٤ عن تفسير القمي.

وجاء أيضا: أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " قام على الصفا، ونادى قريشا؟ فاجتمعوا له، فقال لهم: أرأيتم لو أخبرتكم: أن خيلا في سفح هذا الجبل قد طلعت عليكم، أكنتم مصدقي؟
قالوا: نعم، أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذبا قط.
فقال: إني نذير لكم من عذاب شديد. إلى أن قال: فنهض أبو لهب، وصاح به: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعت الناس؟ وتفرقوا عنه.
فأنزل الله تعالى: تبت يدا أبي لهب وتب إلى آخر السورة (١).
المفاوضات الفاشلة:

قال ابن إسحاق وغيره: فلما بادي رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " قومه بالاسلام، وصدع به، كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه - فيما بلغني - حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا على خلافه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام، وهم قليل مستخفون.

وحدب على رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " عمه أبو طالب، ومنعه، وقام دونه. ومضى رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " على أمر الله مظهرا لا يرده شئ.

فلما رأت قريش: أن رسول الله لا يعاتبهم من شئ أنكروه عليه، من فراقهم، وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه، وقام دونه، فلم يسلمه لهم، حاولوا مفاوضة أبي طالب. وهذه المفاوضات

(١) هذا الحديث يرويه المفسرون والسيوطي في الدر المنثور، وكذلك المؤرخون من غير الشيعة حين الحديث عن إنذار عشيرته الأقربين، ولكن قد بينا: أن المقصود ليس هو مطلق غيرته في الآية بل عشيرته الأقربون ليس إلا؟ فالرواية تناسب قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فقط.

- كما يرى ابن إسحاق وغيره - قد مرت بثلاثة مراحل، إنتهت كلها بالفشل الذريع.

الأولى: إنه مشى رجال من إشراف قريش إلى أبي طالب. ذكر المؤرخون أسماءهم، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه.

الثانية: إنهم حين رأوا أن رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " قد استمر على ما هو عليه، يظهر دينه، ويدعو إليه، حتى شرى الأمر بينه وبينهم، وحتى تباعد الرجال، وتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم "، بينها، ذهبوا إلى أبي طالب، فتهددوه: إن لم يكف ابن أخيه عن شتم آبائهم، وتسفيه أحلامهم، وشتم آلهتهم، فلسوف ينازلونه وإياه حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا.

فأرسل أبو طالب إلى رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " فأخبره، وطلب إليه أن يبقي على نفسه وعليه، ولا يحمله ما لا يطيق، فظن أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام دونه، فقال له " صلى الله عليه وآله وسلم ": يا عم، والله، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته. فوعده أبو طالب النصر.

الثالثة: عرضوا على أبي طالب: أن يتخذ عمارة بن الوليد ولداً له، ويسلمهم النبي، الذي فارق دين أبي طالب ودين آباءه، وفرق جماعتهم وسفه أحلامهم ليقتلوه. وإنما هو رجل برجل.

فقال أبو طالب: والله، لبئس ما تسومونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيتكم ابني تقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبداً.

فقال المطعم بن عدي: والله يا أبا طالب، لقد أنصفك، قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه؟ فما أراك تريد ان تقبل منهم شيئاً. فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت على خذلاني، ومظاهرة القوم علي؟ فاصنع ما بدالك؟. أو كما قال. فحقب الامر، وحميت الحرب، وتناذ القوم، وبادى بعضهم بعضاً (١).

وربما تكون هذه المراحل متداخلة، أو مترتبة. فإن ما ذكرناه لا يعدو عن أن يكون فهماً منا للسير الطبيعي للاحداث، - لا أكثر ولا أقل - وقبل المضي في الحديث؟ نسجل النقاط التالية:

الف: قریش لم تصل إلى نتيجة:
لقد رأينا: أن مشركي مكة ما كانوا يرغبون بادئ ذي بدء: في توريط أنفسهم في مواجهة أبي طالب والهاشميين؟ فحاولوا: أن يحملوا أبا طالب نفسه على حسم الموقف، والقضاء على ما يعتبرونه مادة متاعبهم، ومصدر مخاوفهم، وحاولوا أن يثيروا هذا الرجل، ويشحنوه نفسياً ضد ابن أخيه، على اعتبار أن ابن أخيه قد جاء بما يضر بمصالح، ويجرح كرامة وعاطفة عمه نفسه، فضلاً عن غيره، ولذا، فإن من الطبيعي أن يبادر أبو طالب نفسه لوضع حد لتصرفات ابن أخيه، ويكفيهم مؤونة ذلك. ولكنهم حينما وجدوا: أن أبا طالب لم يستجب لأي من أباطيلهم، ولم يحرك ساكناً في سبيل وضع حد لمصدر الخطر عليهم وعلى مصالحهم، لجأوا إلى التهديد والوعيد، ثم إلى أسلوب المكر والخداع كما في قضية عرض عمارة على أبي طالب ليتخذه ولداً، ويسلمهم محمداً

(١) راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٢ - ٢٨٦، والبدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٧ - ١٤٩ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٥ - ٦٨.

ليقتلوه. الامر الذي كشف عن حقيقة ما يكونه في صدورهم، وتشتمل عليه نفوسهم واتضح لأبي طالب ولغيره أن هدفهم ليس إلا القضاء على الدين الحق، وإطفاء نور الله، الامر الذي زاد في تصلب أبي طالب في الدفاع عن الحق والدين، وعن نبي الاسلام الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم " .

ب: سر استكبار قريش:

ولعل سر استكبار مشركي مكة، ومحاولاتهم اطفاء نور الله تعالى يرجع إلى:

١ - انهم كانوا يستغلون أولئك الفقراء، والعيبد، والضعفاء في مكة وغيرها في مصالحتهم؟ فجاء الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم "، وبحث في هؤلاء الفقراء روحا جديدة، وبدأ يؤكد لهم مفهوم كرامة الانسان، وحرية. ثم هو يناصرهم، ويعيش قضيتهم وآلامهم، ويفتح أعينهم على واقعهم. ويث فيه تعاليم الاسلام، وفي مقدمتها وجوب تحررهم من سيطرة وغطرسة أولئك الطغاة المتجبرين.

٢ - لقد أدرك أولئك المتجبرون، مما عرفوه من طبيعة الدعوة وأهدافها: أنهم سوف لن يتمكنوا في ظلها من الاحتفاظ بتلك الامتيازات الظالمة، التي جعلوها لأنفسهم؟ والتي كان يرفضها النبي الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم "، ويؤكد على أن الناس كلهم سواسية أمام عدالة السماء، وفي ميزان الحكم والقضاء.

وسوف لن يتمكنوا أيضا في ظل هذا الدين الجديد، الذي جاء ليتمم مكارم الأخلاق؟ من الاستمرار في ممارساتهم اللا أخلاقية، واللا إنسانية أيضا، والتي كانوا يحرصون عليها كل الحرص، أكثر من حرصهم على آلهتهم التي كانوا يدعون أنهم يحافظون عليها، مع أننا رأينا

بعض العرب يأكل إلهه الذي صنعه من الحيس حين جاع!! (١).
٣ - ما أشارت إليه الآية الكريمة: (وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) (٢) أي أنهم اعتذروا عن عدم إيمانهم أنهم: إن آمنوا فإن العرب المشركين سوف لا يرضون بإيمانهم، ورفض أوثانهم، فرد عليهم القرآن، فقال: (أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجيب إليه ثمرات كل شيء، رزقا من لدنا) (٣)، فلا موجب إذن لخوفهم هذا.
مع أن اختيارهم الشرك خوفاً من ذلك، لا يمنع ذلك؟ فكم أهلك الله من قرية بطرت معيشتها، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم. بل ربما كان ذلك هو سبب هلاكهم في الدنيا، حيث ينشأ عنه المنازعات والاستكبار، وغير ذلك من انحرافات مدمرة للمجتمعات وللأمم، إن لم يكن ثمة ضوابط وروادع معينة تجعل كل تلك الامكانيات في مجراها الصحيح، وفي الجهة النافعة للفرد والمجتمع، حاضرا ومستقبلا.
على أن الامر لله تعالى فليس لأحد أن يتمرد عليه، ويخرج على أوامره، فإنه يعرض نفسه والحالة هذه إلى الهلاك الدنيوي والأخروي، ثم ضرب لهم مثالا بقارون، الذي كان لديه من الكنوز ما إن مفاتحه لتتؤ بالعصبة أولي القوة، فلما استكبر وطغى، وتمرد على أوامر الله، خسف الله به وبداره الأرض.
وفي آيات السورة - سورة القصص - دقائق عجيبة ومعان رائعة في هذا المجال، تحتاج إلى دراسة مستقلة ومعقدة، لا مجال لها هنا. ونكتفي هنا بهذه الإشارة الاجمالية إليها. والله هو الموفق والمعين.

(١) الاعلاق النفيسة: ص ٢١٧، والحيس هو تمر ينزع نواه ويدق مع أقط وجنان

بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثرید. مجمع البحرين: ج ٤ ص ٦٤.

(٢) القصص / ٥٧.

(٣) القصص / ٥٧.

ماذا بعد فشل المفاوضات؟

وبعد فشل المفاوضات، فقد ظهر لأبي طالب:

أن السيل قد بلغ الزبي، وأنه على وشك الدخول في صراع مكشوف مع المشركين. فلا بد من الحذر والاحتياط للامر؟ فجمع بني هاشم، وبني المطلب، ودعاهم إلى منع الرسول، والقيام دونه، فأجابوه، وقاموا معه، باستثناء أبي لهب لعنه الله تعالى.

ومنع الله عز وجل رسوله، فلم يكن لهم إلى أن يضروه في شعره وبشره سبيل، غير أنهم يرمونه بالجنون، والسحر، والكهانة، والشعر، والقرآن ينزل عليه " عليه السلام " بتكذيبهم. ورسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " قائم بالحق، ما يثنيه ذلك عن الدعاء إلى الله عز وجل سرا وجها.

وذلك لان المشركين بعد أن أدركوا:

أن الاعتداء على شخصه " صلى الله عليه وآله وسلم " سوف يتسبب في صراع مسلح لم يعدوا له عدته، وليسوا على يقين من أن تكون نتائجه لصالحهم، خصوصا مع ما كان لبني هاشم من علاقات، ومن أحلاف مع القبائل، كحلف المصبيين، وحلف عبد المطلب مع خزاعة التي كانت تقطن خارج مكة. بل قد توجب هذه الحرب - لو نشبت - التمكين لمحمد " صلى الله عليه وآله وسلم " من نشر دعوته (١). فمن أجل كل ذلك أثر المشركون أن يتعدوا عن الحرب، ويتبعوا أساليب أخرى لتضعيف أمر محمد " صلى الله عليه وآله وسلم "، والوقوف في وجه دعوته؟ فنجدهم: ألف: ينهون الناس عن الالتقاء بالنبي " صلى الله عليه وآله وسلم "،

(١) ويرى بعض المحققين: ان من المحتمل: أن أبا طالب كان يستعمل أسلوب اللين تارة والشدّة أخرى؟ بهدف إثارة حرب كهذه، تهدف إلى تمكين النبي من نشر دعوته، كما أشير إليه.

وعن أن يسمعوا ما جاء به من قرآن، قال تعالى: (وهم ينهون عنه،
وينأون عنه) (١). وقال تعالى: (وقال الذين كفروا: لا تسمعوا لهذا
القرآن، والغوا فيه، لعلكم تغلبون) (٢).
ب: يتبعون أسلوب السخرية والاستهزاء، وإصاق التهم الباطلة،
بهدف:

١ - التأثير على شخص النبي الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم "
عنه ينهزم نفسياً، وجعله يعيش عقدة الحقد والحقد، فلربما يتخلى عن
هذا الأمر، ويكذب نفسه.

٢ - الحط من كرامة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وابتدال
شخصيته، بهدف تنفير أصحاب النفوس الضعيفة من متابعته، وصرْفهم
عن الدخول فيما جاء به. ولهذا نجدهم: يغرون سفهاءهم بايذائه
وتكذيبه، وأحياناً كان يتولى ذلك منه سادتهم وكبرائهم. بل لقد رأيناهم
يأمرون غلاماً منهم بأن يلقي عليه سلاً جزوراً وفرثه، وهو قائم يصلي،
فيلقيه بين كتفيه، فيغضب أبو طالب، ويأتي فيمر السلاً على سبالهم
جميعاً. وقد ألقى الله الرعب في قلوبهم (٣).
وكانوا أيضاً يلقون عليه التراب (٤)، ورحم الشاة (٥)، وغير ذلك.

(١) الانعام / ٢٦.

(٢) فصلت / ٢٦.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٤٩ نشر مكتبة الصدوق، ومنية الراغب: ص ٧٥. وراجع:
الغدِير: ج ٧ ص ٣٥٩ و ٣٨٨. و أبو طالب مؤمن قريش: ص ٧٣
عن مصادر كثيرة.

(٤) راجع: السيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٢، والسيرة النبوية لدحلان (بهامش
الحلبية): ج ١ ص ٢٠٨ و ٢٠٢ و ٢٣١.

(٥) راجع: البداية والنهاية: ج ٣ ص ١٣٤.

وقد أثر ذلك إلى حد ما في صرف الناس، وإبعادهم عن الدخول في الاسلام، حتى ليقول عروة بن الزبير وغيره: " .. وكرهوا ما قال لهم، وأغروا به من أطاعهم؟ فانصفق عنه عامة الناس (١) ".
المعذبون في مكة:

كما أنهم قد تذا مروا بينهم على من في القبائل منهم، من أصحاب رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم، ويفتنونهم عن دينهم، يعذبونهم بالحبس، والضرب، والجوع، وبرمضاء مكة، وبغير ذلك من الأساليب الوحشية، والانسانية.

مع المعذبين أيضا:

وقد عذب المشركون عددا من المسلمين؟ فعذب عمر بن الخطاب جارية بني مؤمل - حي من بني عدي - وكانت مسلمة؟ فكان يضربها، حتى إذا مل، قال: إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا ملالة (٢). ولعل بني مؤمل كانوا قد سمحوا لعمر بن الخطاب أن يتولى تعذيب جارياتهم، وإلا فإن وضعه الاجتماعي لم يكن يسمح له بأمر من هذا القبيل.

وعذب المشركون أيضا خباب بن الأرت، وأم شريك، ومصعب بن عمير، وغيرهم ممن لا مجال لذكرهم، وبيان ما جرى عليهم.

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٦٨.

(٢) سيرة ابن هشام: ج ١ ص ٣٤١، والسيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٠٠، وراجع:

السيرة النبوية لابن كثير: ج ١ ص ٤٩٣، والمحبر: ص ١٨٤.

وقد ضرب هؤلاء لنا المثل الاعلى في الصمود والجهاد من أجل المبدأ والعقيدة، مع معرفتهم بأنهم لا يملكون قوة تستطيع أن ترد عنهم، غير إرادة الله تعالى، وأنهم إنما يتحدثون بإسلامهم العالم كله، الذي كان بكل ما فيه ضدهم. وهنا تكمن عظمتهم، وهذا هو سر امتيازهم على غيرهم.

المعذبون الذين أعتقهم أبو بكر: وممن عذب في سبيل الله بلال الحبشي، وعامر بن فهيرة، ويقولون: إن أبا بكر قد اشتراهما وأعتقهما، فكانت نجاتهما من العذاب بسببه.

ولكننا نشك في أن يكون أبو بكر هو الذي اشتراهما، وذلك: أولاً: لما ذكره الإسكافي، الذي قال: " أما بلال، وعامر بن فهيرة، فإنما أعتقهما رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم "، روى ذلك الواقدي، وابن إسحاق (١) ".

وعد ابن شهر آشوب بلالا من موالي النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " (٢).

وثانياً: إنهم يروون روايات متناقضة في هذا المجال، حتى لا تكاد تلتقي رواية مع أخرى، ويكفي أن نذكر اختلافها في الثمن الذي أعطاه أبو بكر.

فرواية تقول: إنه أعطى ثمنه غلاماً له أجلد منه.

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي: ج ١٣ ص ٢٧٣، وقاموس الرجال: ج ٥ ص ١٩٦ و ج ٢ ص ٢٣٨.
(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ج ١ ص ١٧١.

وأخرى: إنه أعطى غلاما وزوجته، وابنته، ومائتي دينار.
وثالثة: اشتراه بسبع أواق.
ورابعة: بتسع.
وخامسة: بخمس.
وسادسة: برطل من ذهب.
وسابعة: إنه اشتراه بعده قسطاص، الذي كان صاحب عشرة آلاف
دينار، وجوار، وغلمان، ومواش.
وثامنة: ببردة، وعشر أواق من فضة، إلى غير ذلك من وجوه
الاختلاف والتناقض (١).
وثالثا: إنهم يقولون: إن قوله تعالى: (فاما من أعطى واتقى.
وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى) (٢) نزل في أبي بكر بهذه
المناسبة (٣).
ونقول:
١ - لقد رد الإسكافي على ذلك: بان هناك من يقول: إن هذه الآية
نزلت في مصعب بن عمير (٤).

-
- (١) راجع ما تقدم في: السيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٩٨ / ٢٩٩، وقاموس الرجال:
ج ١ ص ٢١٦، وسير أعلام النبلاء: ج ١ ص ٣٥٣، والسيرة النبوية لابن هشام:
ج ١ ص ٣٤٠، وحلية الأولياء: ج ١ ص ١٤٨، وغير ذلك كثير.
(٢) سورة الليل ٥ - ٧.
(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٨ - ٣٩٠ عن عدد من المصادر والسيرة الحلبية ج ١
ص ٢٩٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧٣ عن الجاحظ والعثمانية ص ٣٥.
(٤) شرح النهج ج ١٣ ص ٢٧٣.

ويروي الشيعة: أن الآية نزلت في علي " عليه السلام ".
ويورد الحلبي عليهم: بان عليا كان للنبي " صلى الله عليه وآله
وسلم " عليه نعمة تجزى، وهي تربيته له، والآية تقول: (وما لاحد عنده من
نعمة تجزى) وبمثل ذلك أورد الرازي عليهم أيضا (١).
ولكن قد فات الرازي والحلبي: أن المقصود هو أن هذا المال الذي
ينفقه لا يريد أن يجازي بانفاقه له نعمة من أحد عليه، وإنما ينفقه لوجه
الله، ولوجه الله فقط.

لا أنه تعالى يريد وصف الأتقى بأنه ليس لأحد عليه نعمة.
٢ - قد ورد: عن ابن عباس وغيره، وحتى عن النبي " صلى الله
عليه وآله وسلم " نفسه، تفسيرها بمعنى عام لا يختص بأحد فراجع كتب
التفسير للاطلاع على ذلك.

٣ - وأخرج ابن أبي حاتم ما ملخصه: أن هذه السورة قد نزلت في
رجل (هو سمرة بن جندب) الذي كان له نخلة فرعها في دار رجل، فكان
إذا جاء ليأخذ عنها الثمر، وصعد عليها ربما تقع ثمرة، فيأخذها صبيان
الفقير؟ فينزل من نخلته؟ فيأخذ الثمرة من أيديهم، وإن وجدها في فم
أحدهم أدخل إصبعه، حتى يخرج الثمرة من فيه؟ فشكاه الفقير إلى
رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم "، ثم لقي الرسول صاحب النخلة؟
فطلب منه أن يعطيه النخلة وله مثلها في الجنة، فقال. لقد أعطيت، وإن
لي لنخلا كثيرا؟ وما فيه نخل أعجب إلي ثمرة منها.

فسمع رجل ما دار بين النبي وبينه؟ فجاء إلى الرسول " صلى الله
عليه وآله وسلم " فقال: أعطني ما أعطيت الرجل إن أنا أخذتها، قال:
نعم، فذهب الرجل، ولقي صاحب النخلة، وفاوضه واشتراها منه بأربعين
نخلة. ثم ذهب إلى النبي، فوهبها له، فذهب رسول الله " صلى الله عليه

(١) السيرة الحلبي ج ١ ص ٢٩٩.

وآله وسلم " إلى صاحب الدار، فقال: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله: والليل إذا يغشى إلى آخر السورة (١).
ولأجل هذا نجد السيوطي يقول عن: " سورة الليل: الأشهر أنها مكية؟ وقيل: مدنية لما ورد في سبب نزولها من قصة النخلة، كما أخرجناه في أسباب النزول " (٢).

وهذه القضية هي المناسبة للآيات؟ لأنها تذكر أن بعضهم أعطى واتقى، وبعضهم بخل واستغنى.

إلا أن يكونوا - والعياذ بالله - يقصدون بمن بخل، النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " نفسه. مع أن فرض عدم مال له ينافي صدق البخل عليه. ويشير إلى عدم المال عنده قولهم: إنه " صلى الله عليه وآله وسلم " هو الذي قال: لو كان عنده مال لاشتري بلالا.

أو يقصدون بمن بخل، العباس، الذي تقول الروايات: إنه ذهب فاشترى بلالا، فأرسله إلى أبي بكر، فاعتقه.

٤ - لسوف يأتي إن شاء الله في حديث الغار، قول عائشة: إنه لم ينزل في آل أبي بكر شيء من القرآن، إلا أن الله أنزل عذرها. يعني الآيات المرتبطة بالإفك، والتي هي في سورة النور. وحتى عذرها هذا؟ فإنه لم ينزل فيها، كما حققناه في كتابنا: حديث الإفك فراجع.
ورابعا: لم نفهم معنى قوله " صلى الله عليه وآله وسلم " إنه لو كان عنده مال لاشتري بلالا، وكيف نوفق بين هذا وبين قولهم: إنه " صلى الله

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٥٧ عن ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وتفسير البرهان ج ٤ ص ٤٧٠ عن علي بن إبراهيم، باختلاف مع ما عن الدر المنثور. وستأتي بقية المصادر في حرب أحد في فصل: قبل نشوب الحرب، حين الكلام حول إرجاع الصغار، والريب فيما ينقل عن سمرة.

(٢) الاتقان: ج ١ ص ١٤.

عليه وآله وسلم " طلب من أبي بكر الشركة في بلال فأخبره أنه أعتقه (١)؟! .

ثم أو ليست أموال خديجة تحت تصرفه " صلى الله عليه وآله وسلم "؟! ألم يكن هو الذي ينفق على المسلمين في مكة، كما قالت أسماء بنت عميس لعمر حينما غيرها بأنها لا هجرة لها، حيث قالت له: إنه ومن معه من المسلمين كانوا مع رسول الله يطعم جائعهم، ويعلم جاهلهم؟! (٢). وستأتي هذه القضية في موضعها إن شاء الله. واحتمال أن تكون قصة بلال في أواخر سني ما قبل الهجرة، لا يقبل به المؤرخون؟ فإن النووي يذكر: أنه أسلم أول النبوة، وهو من أول من أظهر إسلامه (٣).

إلا أن يقال: إن إسلامه، وإن كان متقدما، لكن شراؤه وعتقه يمكن أن يتأخرا لعدة سنوات.

هذا كله عدا عما تذكره بعض الروايات من أن العباس هو الذي ذهب فاشتراه، ثم أرسله إلى أبي بكر فاعتقه (٤)! وروايات أخرى تقول: بل اشتراه نفس أبي بكر مباشرة، وأعتقه.

وفي بعض الروايات: أنه لما توفي رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " قال بلال لأبي بكر: إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن

(١) طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ١٦٥.

(٢) تقدمت من المصادر لذلك في الجزء السابق من هذا الكتاب في آخر فصل: بحوث تسبق السيرة.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: ج ١ ص ١٣٦.

(٤) السيرة النبوية لدحلان: ج ١ ص ١٢٦، والسيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٩٩، وراجع: المصنف: ج ١ ص ٢٣٤ وغيره.

كنت إنما اشتريتني لله فذرني (١).
وهذا يشير إلى أنه لم يكن قد أعتقه حتى وفاته " صلى الله عليه وآله وسلم "!!

وبالنسبة لشراء العباس له؟ فإن العباس إن كان قد اشتراه لنفسه، فلماذا لم يعتقه هو نفسه؟ وإن كان إنما اشتراه لأبي بكر فلا ندري: متى كان العباس وكيلا لأبي بكر؟ ومتى كان العباس يهتم بأمور كهذه، وهو الذي لم يسلم إلا عام الفتح، أو في بدر، كما يقولون؟. وحاول بعضهم أن يدعي: أن العباس فاوض أمية بن خلف، ثم جاء أبو بكر فاشتراه (٢)! وهذا أعجب!! وما عشت أراك الدهر عجبا!! وأيضاً، فإن حالة أبي بكر الاقتصادية لم تكن تسمح له بان يدفع تلك المئات من الدنانير، فضلاً عن أن يكون أحد مواليه يملك عشرة آلاف دينار، وجوار، ومواش، وغير ذلك، لو فرض أن العرب كانوا يملكون عبيدهم الأموال.

حيث إن أبا بكر لم يكن تاجراً، وإنما كان معلماً، فمن أين تأتيه تلك الآلاف أو حتى المئات من الدراهم والدنانير لشراء سبعة أو تسعة وإعتاقهم؟! ولسوف يأتي إن شاء الله البحث عن ثروة أبي بكر حين الكلام حول قضية الغار. بل لقد شك البعض في أن يكون كثير ممن ذكروا في مواليه شخصية حقيقية أو خيالية، ولا سيما مثل " زنيرة "، التي قال السهيلي عنها: " ولا تعرف زنيرة في النساء (٣) " .

(١) طبقات ابن سعد: ج ٣ ص ١٧٠.
(٢) السيرة النبوية لدحلان: ج ١ ص ١٢٦، والسيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٩٩، وراجع المصنف للصنعاني ج ١ ص ٢٣٤، وغيره.
(٣) الروض الأنف ج ٢ ص ٧٨.

ويقول العلامة السيد الحسنى:؟ إن قريشا كانت تعذب من آمن؟
من أجل أن لا ينتشر الاسلام، وكانت تود أن تبذل لمحمد كل غال
ونفيس، ليتراجع عما جاء به، ودعا إليه؟ فكيف تنازل قريش عن ملكيتهم
لأبي بكر، وتترك تعذيبهم بهذه السهولة (١)؟! " .
إلا أن يقال: إن حبها للمال، ثم اليأس من محمد " صلى الله عليه
وآله وسلم " هو الذي يدفعها إلى ذلك كما يقوله البعض.
هل عذب المشركون أبا بكر؟!
هذا ويذكرون: أن أبا بكر قد تعرض للعذاب في سبيل الاسلام
حيث إن عمر بن عثمان أخذه وقرنه مع طلحة بن عبيد الله التيمي في جبل
حين أسلما، وعذبهما نوفل بن خويلد، وفتنهما عن دينهما، فلذلك سمي
أبو بكر وطلحة ب " القرينين " .
ويرى البعض أن الذي قرنهما وعذبهما هو نوفل فقط، وليس
لعمر بن عثمان ذكر في شئ (٢).
ونحن نسجل هنا ما يلي:
١ - إنهم يقولون: إن أبا بكر قد منعه الله بقومه (٣)، وهذا يتناقض

-
- (١) سيرة المصطفى ص ١٤٩ .
(٢) راجع في ذلك: العثمانية للجاحظ ص ٢٧ / ٢٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣
ص ٢٥٣، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٠١، ونسب قريش لمصعب الزبيرى
ص ٢٣٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩، والبيهقي، ومستدرك الحاكم ج ٣
ص ٣٦٩ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٢ .
(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٨، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٨٤، وصححه هو
والذهبي في تلخيصه بهامشه، وحلية الأولياء ج ١ ص ١٤٩، والاستيعاب ج ١
ص ١٤١ وأحمد، وابن ماجه، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٢٦، والسيرة
النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٣٦ وعن كنز العمال ج ٧ ص ١٤ عن ابن أبي شيبه،
والطبقات الكبرى لابن سعد ط صادر ج ٣ ص ٢٣٣ .

تماما مع قولهم: إنه قد عذب. كما أنه يناقض قوله الآتي لابن الدغنة: إن قومه قد أخرجوه.

٢ - إنه يظهر من مراجعة كتب السيرة: أن كل قبيلة كانت تتولى تعذيب من يدخل في الاسلام منها، ولم يكن منهم من يجرؤ على تعذيب من كان من قبيلة أخرى، كما سنرى.

٣ - لقد قال الإسكافي: "إنا لا نعلم: أن العذاب كان واقعا إلا بعدد أو عسيف. (وهو الأجير)، ولمن لا عشيرة له تمنعه (١)".
مع أنهم يقولون: إن أبا بكر كان رئيسا متبعا، وكبيراً مطاعاً (٢) ينتظره عظماء قريش ولا يقطعون أمراً دونه، حتى يأتيهم لبيتوا في أمر محمد صلى الله عليه وآله، (كما تقدم في حديث إسلام أبي بكر). وعلى حسب تعبيراتهم: كان ذا مكانة عليّة، وصدراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً (٣) فكيف يعذب أبو بكر من قبل جماعة ليسوا من قبيلته؟ وكيف يترك قومه رئيسهم، وصاحب مجدهم الباذخ؟ يتعرض للمهانة من قبل هؤلاء؟. وعلى حد تعبير ابن هشام وغيره: كان "مألفاً لقومه، محبباً، سهلاً. إلى أن قال: وكان رجال قومه يأتونه، ويألفونه لغير واحد من الأمر" (٤).
وعلى حد التعبير المزعوم لابن الدغنة: "لا يخرج مثله. أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف،

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٥.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٥، والسيرة النبوية لدحلان ج ١

ص ١٢٣، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٧٣.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٣٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦.

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ص ٤٣٧.

ولمجين على نوائب الحق؟ (١) ".
ويلاحظ: أن هذه الكلمات هي - تقريبا - نفس الكلمات التي
تنسب إلى خديجة في وصف النبي صلى الله عليه وآله حين بعثته، قالها
ابن الدغنة حين هجرة أبي بكر إلى الحبشة - وسيأتي عدم صحتها - فاقراً،
واسمع، واعجب ما بذلك!!
ملاحظة: هل كان أبو بكر رئيساً؟!:
إننا إنما ذكرنا هذا الذي سبق آنفاً، لبيان تناقض كلماتهم، إذ لو
صح هذا لم يمكن أن يصح ذلك، وإلا فنحن نشك في أن يكون أبو بكر
رئيساً، معظماً، وكبيراً مطاعاً، ويدل على ذلك:
١ - إن أبا بكر حج، ومعه أبو سفيان، فرفع صوته عليه، فقال أبو
قحافة: إخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب، فقال أبو بكر: يا أبا
قحافة، إن الله بنى في الإسلام بيوتا كانت غير مبنية، وهدم بيوتا كانت في
الجاهلية مبنية، وبيت أبي سفيان مما هدم (٢).
٢ - وحين بويع أبو بكر نادى أبو سفيان: " غلبكم على هذا الامر أذل
أهل بيت في قريش "،
وفي نص الحاكم: " ما بال هذا الامر في أقل قريش قلة، وأذلها
ذلة، يعني أبا بكر (٣) ".

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠١. وسيأتي العديد من المصادر لذلك حين الكلام عن
هجرة أبي بكر إن شاء الله.
(٢) راجع: النزاع والتخاصم للمقريزي ص ١٩ والغدير ج ٣ ص ٣٥٣ عنه.
(٣) راجع المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٤٥١، ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٧٨، عن
ابن عساكر، وأبي أحمد الدهقان، وراجع الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٦،
وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٩٤٤. والنزاع والتخاصم: ص ١٩، وكنز العمال: ج ٥
ص ٣٨٣ و ٣٨٥، عن ابن عساكر وعن أبي أحمد الدهقان في حديثه.

وعلى حد تعبير البلاذري: إن أبا سفيان جاء إلى علي " عليه السلام " فقال: يا علي، بايعتم رجلا من أذل قبيلة من قريش؟ (١).
٣ - ويقول عوف بن عطية:

وأما الالامان بنو عدي * وتيم حين تزحم الأمور
فلا تشهد بهم فتیان حرب * ولكن أدن من حلب وعير
إذا رهنوا رماحهم بزبد * فان رماح تيم لا تضير (٢).
ملاحظة أخيرة:

وأخيرا، فإن ما يذكرونه: من أن أبا بكر هو أول من أظهر إسلامه، فمنعه قومه. أو أنه ضرب حتى كاد يموت (٣).
يكذبه الكثير مما قدمناه، ونزيد هنا: أن النبي كان أول من أعلن الدعوة. وليس أبا بكر.
هذا عدا عن أنهم يذكرون تارة: أن ابن مسعود هو أول من أعلن، وأخرى عمر بن الخطاب، وهنا يذكرون: أبا بكر.
كما أن الرواية تنص على أن إظهار أبي بكر للإسلام قد كان حينما كان المسلمون ثمانية وثلاثين رجلا والنبي صلى الله عليه وآله في دار الأرقم.

(١) أنساب الأشراف للبلاذري (قسم حياة النبي " صلى الله عليه وآله " ص ٥٨٨.
(٢) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٣٨.
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٣٩ / ٤٤٩ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠،
وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٤ والغدير ج ٧ ص ٣٢٢ عنه وعن الرياض النضرة
ج ١ ص ٤٦.

وقد تقدم: أن أبا بكر لم يكن قد أسلم بعد. لأنه إنما أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً.
إلا أن يكون المقصود هو بلوغ المسلمين الذين أسلموا بعد الهجرة إلى الحبشة ثمانية وثلاثين رجلاً.
لكن ذلك لا يتلاءم مع تصريح الرواية بأن ذلك قد كان يوم إسلام حمزة، حينما كان النبي صلى الله عليه وآله في دار الأرقم.
أول شهيد في الإسلام من آل ياسر:
وعلى كل حال؟ فلقد عذب آل ياسر أشد العذاب، واستشهدت سمية أم عمار على يد فرعون قريش أبي جهل لعنه الله، فكانت أول شهيدة في الإسلام (١) ثم استشهد ياسر رحمه الله تعالى.
ولكنهم ذكروا: أن أول قتيل في الإسلام هو الحارث بن أبي هالة، حيث إنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصدع بما يؤمر، قام صلى الله عليه وآله في المسجد، فقال: قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا؟ فوثبت إليه قريش؟ فأتى الصريخ أهله؟ فكان أول من أتاه الحارث هذا؟ فضرب في القوم فصرههم عنه وعطفوا عليه حتى قتلوه (٢).
وهذا لا يصح؟ لما تقدم؟ من أن الله قد منع النبي صلى الله عليه وآله وآله طالب وقومه، ولم يجرأوا على أن ينالوه بسوء في شعره وبشره.

(١) الاستيعاب هامش الصابة ج ٤ ص ٣٣١ و ٣٣٠ و ٣٣٣، والإصابة ج ٤ ص ٣٣٥ و ٣٣٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٤٩٥، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٨١، وتاريخ يعقوبي ج ٢ مر ٢٨.
(٢) نور القبس ص ٢٧٥ عن الشرقي ابن القطامي، والإصابة ج ١ ص ٢٩٣ عن الكلبي، وابن حزم وعن العسكري والأوائل ج ١ ص ٣١١ / ٣١٢.

وكذلك الحال بالنسبة إلى من أسلم من بني هاشم، حيث لم يعذب جعفر، ولا علي ولا غيرهما، وذلك لمكان أبي طالب رحمه الله، كما قلنا.

وأيضاً فإن كلمة المؤرخين تكاد تكون متفقة على أن أول شهيد في الإسلام كان سمية وزوجها.

أضف إلى ذلك: أن كل ما يقال في كيفية إعلانه بالدعوة يتنافى ويتناقض مع ما ذكره هنا (راجع ما تقدم تحت عنوان: فاصدع بما تؤمر). والذي يمكن أن نفهمه: هو أنه ربما يكون الهدف من وضع هذه القضية هو أن يثبتوا أن خديجة قد تزوجت قبل النبي صلى الله عليه وآله برجل أو أكثر، وولد لها منهما. وقد تقدم ما يوجب الشك في ذلك، حين الكلام على زواجها بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله...
عمار بن ياسر:

وعذب عمار أيضاً عذاباً شديداً من قبل بني مخزوم، حتى أكره على التفوه بما يعجب المشركين، فتركوه؟ فاتى النبي " صلى الله عليه وآله " باكياً، وقال له: لم أترك يا رسول الله، وقد أكرهوني حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير.

فقال له النبي " صلى الله عليه وآله ": كيف تجد قلبك يا عمار؟

قال: إنه مطمئن بالايمن يا رسول الله

قال: لا عليك، فإن عادوا إليك فعد لما يريدون؟ فقد أنزل الله

فيك: " إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمن (١) ".

(١) النحل / ١٠٦ راجع: حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٠ وتفسير الطبري ج ٤ ص ١١٢
وتفسير النيسابوري بهامشه وغير ذلك كثير جدا.

التقية في الكتاب والسنة:
ونقول:

- ١ - إن ما جرى لعمار ونزول الآية فيه دليل على مشروعية التقية، إذا خاف الانسان على نفسه وماله.
وقد صرحوا بجواز التقية وإظهار الموالاة حتى للكفار، إذا خيف على النفس التلف، أو تلف بعض الأعضاء، أو خيف من ضرر كبير يلحق الانسان في نفسه (١).
- بل لقد قال محمد بن عقيل: " التقية مما أجمع المسلمون على جوازه، وإن اختلفت تسميتهم لها، فسامها بعضهم بالكذب لأجل الضرورة أو المصلحة، وقد عمل بها الصالحون، فهي من دين المتقين الأبرار. وعكس القول فيها كذب ظاهر " (٢).
- ٢ - ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى: (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء، إلا أن تتقوا منهم تقاة " (٣).
- ٣ - قال تعالى: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم. قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض.. إلى قوله: واجعل لنا من لدنك نصيرا).
- قال البخاري: " فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما أمر الله، والمكره لا يكون إلا مستضعفا غير ممتنع من فعل ما أمر به " (٤)

(١) راجع على سبيل المثال: احكام القرآن للحصاص ج ٢ ص ٩.

(٢) تقوية الايمان ص ٣٨.

(٣) آل عمران / ٢٨.

(٤) صحيح البخاري ط اليمينية ج ٤ ص ١٢٨.

ملاحظة:

الآية موجودة كما في سورة النساء الآية ٩٧ ولكن الفقرة الأخيرة غير موجودة فيها ولا في الآيات بعدها لكن البخاري قد ذكرها كذلك. فذكرناها حسبما هي فيه رعاية لأمانة النقل عنه.

٤ - وقال تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) (١).

والقول بأن هذه الآية قد نسخت لا مثبت له، بل لقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام ما يدل على خلاف ذلك، فقد روى الكليني عن عبد الله بن سليمان، قال: "سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول - وعنده رجل من أهل البصرة، يقال له: عثمان الأعمى، وهو يقول: إن الحسن البصري يزعم: أن الذين يكتمون العلم يؤذي ربح بطونهم أهل النار. فقال أبو جعفر عليه السلام: فهلك إذا مؤمن من آل فرعون، ما زال العلم مكتوما منذ بعث الله نوحا عليه السلام؟ فليذهب الحسن يمينا وشمالا؟ فوالله ما يوجد العلم إلا هاهنا (٢) ".

فاستدلال الإمام بالآية يدل على أن عدم كونها منسوخة كان متسالما عليه لدى العلماء آنئذ.

وأما من السنة، فنذكر:

١ - عن أبي ذر، عنه صلى الله عليه وآله: ستكون عليكم أئمة يميئون الصلاة، فإن م دركتموهم فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم

(١) غافر / ٢٨.

(٢) الكافي (الأصول) ج ٢ ص ٤٠ - ٤١ منشورات المكتبة الإسلامية، والوسائل

ج ١٨ ص ٨.

- معهم نافلة (١) وثمة حديث آخر بهذا المعنى فليراجع (٢).
- ٢ - ما جاء: أن مسيلمة الكذاب أتى برجلين، فقال لأحدهما: تعلم أفي رسول الله؟ قال بل محمد رسول الله. فقتله. وقال للآخر ذلك، فقال: أنت ومحمد رسول الله؟ فخلى سبيله. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أما الأول فمضى على عزمه ويقينه. وأما الآخر، فأخذ برخصة الله فلا تبعة عليه (٣).
- ٣ - ما رواه السهمي عنه صلى الله عليه وآله: لا دين لمن لا ثقة له (٤). وهو تصحيف على الظاهر، والصحيح: " لا تقية " كما يدل عليه ما رواه شيعة أهل البيت عنهم عليهم السلام (٥).
- ٤ - قصة عمار بن ياسر المعروفة، وقول النبي صلى الله عليه وآله له: إن عادوا فعد. وهي مروية في مختلف كتب الحديث والتفسير. وفي هذه المناسبة نزل قوله تعالى: " من كفر بالله بعد إيمانه، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان " (٦).
- ٥ - استعمال النبي صلى الله عليه وآله نفسه للتقية، حيث بقي ثلاث أو خمس سنوات يدعو إلى الله سرا، وهذا مجمع عليه، ولا يرتاب فيه أحد، وإن كنا قد ذكرنا: أن الحقيقة ليست هي ذلك.

- (١) مشد أحمد ج ٥ ص ١٥٩.
- (٢) مسند أحمد ج ٥ ص ١٦٠ و ١٦٨.
- (٣) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني: ج ٤ ص ٤٠٨ - ٤٠٩ واحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٠ وسعد السعود ١٣٧.
- (٤) تاريخ جرجان: ص ٢٠١.
- (٥) راجع: الكافي (الأصول): ج ٢ ص ٢١٧ ط الآخندي، ووسائل الشيعة: ج ١١ ص ٤٦٥. وراجع: ميزان الحكمة: ج ١٠ ص ٦٦٦ و ٦٦٧.
- (٦) النحل / ١٠٦. وراجع: فتح الباري: ج ١٢ ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

٦ - إن الاسلام يخير الكفار في ظروف معينة بين الاسلام والجزية، والسيف. وواضح: أن ذلك إغراء بالتقية، لان دخولهم في الاسلام في ظروف كهذه لن يكون إلا لحقن دمائهم، وليس عن قناعة راسخة.

وهذا نظير قبول المنافقين في المجتمع الاسلامي، وتآلفهم على الاسلام، على أمل أن يتفاعلوا مع هذا الدين، ويستقر الايمان في قلوبهم.

٧ - وحين فتح خبير قال حجاج بن علاط للنبي " صلى الله عليه وآله " : ان لي بمكة مالا وان لي أهلا واني أريد أن آتيهم فانا في حل إن أنا نلت منك وقلت شيئاً؟! فاذن له رسول الله أن يقول ما شاء (١).

وأما التقية في التاريخ:

فذكر على سبيل المثال:

١ - إن رجلا سأل ابن عمر فقال: " أدفع الزكاة إلى الامراء؟ فقال ابن عمر: ضعها في الفقراء والمساكين. قال: فقال لي الحسن: ألم أقل لك: إن ابن عمر إذا أمن الرجل قال: ضعها في الفقراء والمساكين؟؟ (٢) "

٢ - وقد ادعوا: أن أنس بن مالك قد روى حديث القنوت قبل الركوع تقية من بعض أمراء عصره (٣).

٣ - وحين شاور العباس بن الحسن كتابه وخواصه فيمن يولون الخلافة بعد موت المكتفي، أشار عليه ابن الفرات بان ينفرد بكل واحد منهم فيعرف رأيه وما عنده فأما أن يقول كل واحد رأيه بحضرة الباقيين

(١) دراسات في الكافي والصحيح ص ٣٣٨ عن السيرة الحلبية.

(٢) المصنف للصنعاني ج ٤ ص ٤٨.

(٣) راجع: المحلى ج ٤ ص ١٤١.

- فربما كان عنده ما يسلك سبيل التقية في كتمانها وطيه.
قال: صدقت. ثم فعل ما أشار به عليه (١) ".
٤ - تقية النبي " صلى الله عليه وآله " والحمزة في بيعة العقبة.
وستأتي نصوصها في فصل مستقل.
٥ - عن أيوب قال: ما سألت الحسن عن شيء قط ما سألته
عنها (أي عن الزكاة). قال: فيقول لي مرة: أدها إليهم. ويقول لي مرة:
لا تؤدها إليهم (٢) أي للأمرء.
إلا أن يقال: إن هذا التردد من الحسن، إنما هو لأجل عدم وضوح
الحكم الشرعي له، جوازا أو منعا.
٦ - وفي خطبة لمحمد بن الحنفية: " لا تفارق الأمة، اتق هؤلاء
القوم (يعني الأمويين) بتقيتهم. ولا تقاتل معهم. قال: قلت: وما تقيتهم؟
قال: تحضرهم وجهك عند دعوتهم؟ فيدفع الله بذلك عنك، وعن دمك
ودينك وتصيب من مال الله الذي أنت أحق به. (٣) "
٧ - استفتي مالك بالخروج مع محمد بن عبد الله بن الحسن، وقيل
له: في أعناقنا بيعة لأبي جعفر المنصور. فقال: إنما بايعتم مكرهين.
وليس على مكره يمين (٤).
٨ - ونقل القرطبي، عن الشافعي، والكوفيين: القول بالتقية عند
الخوف من القتل، وقال: " أجمع أهل العلم على ذلك (٥) ".

(١) الوزراء للصابي ص ١٣٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٧.
(٤) مقاتل الطالبين ص ٢٨٣، والطبري ط اورپا ج ٣ ص ٢٠٠.
(٥) تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١٨١.

٩ - عن حذيفة قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: احصوا لي كم يلفظ الاسلام. قال: فقلنا: يا رسول الله، أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟ قال: إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا.

قال: فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سرا (١).
وحذيفة قد مات بعد البيعة لعلي " عليه السلام " بأربعين يوما، فهذا النص يدل على أن الناس المؤمنين كانوا قبل ذلك يعيشون في ضغط شديد، وأن الذين يسيطرون على الشارع هم الناس الذين كانوا يحقدون على الدين والمتدينين، ويهزؤون ويحاربون كل شيء يمت إلى الدين بصلة.

١٠ - لقد اتقى عامة أهل الحديث، وكبار العلماء وأجابوا إلى القول بخلق القرآن، وهم يعتقدون بقدمه، ولم يمتنع منهم الا أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح (٢).

وحتى أحمد؟ فإنه قد تاقى في ذلك، فكان إذا وصل إلى المخنق قال: ليس أنا بمتكلم. كما أنه حين قال له الوالي: ما تقول في القرآن أجاب: هو كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله لا أزيد عليها (٣).

بل قال اليعقوبي: إنه لما سئل أحمد عن ذلك قال: " أنا رجل علمت علماء ولم أعلم فيه بهذا. وبعد المناظرة وضربه عدة سياط، عاد

(١) صحيح مسلم: ج ١ ص ٩١، وصحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ هـ. ق: ج ٢ ص ١١٦ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٤.

(٢) تجارب الأمم المطبوع مع العيون والحداثق ص ٤٦٥.

(٣) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٢٠١ وراجع: آثار الجاحظ ص ٢٧٤، ومذكرات الرمانى ص ٤٧.

إليه إسحاق بن إبراهيم فناظره، قال له: فيبقى عليك شيء لم تعلمه
قال: بقي علي

قال: فهذا مما لم تعلمه؟ وقد علمك أمير المؤمنين.

قال: فإني أقول بقول أمير المؤمنين.

قال: في خلق القرآن؟ قال: في خلق القرآن. قال: فأشهد عليه،

وخلع عليه، ومن طلقه إلى منزله (١).

مع أنه هو نفسه يقول: إن من قال: القرآن كلام الله، ووقف؟ فهو

من الواقعة الملعونة (٢).

وقد عمل ابن الزبير بالتقية في مواجهة الخوارج (٣).

واتقى أيضا الشعبي ومطرف بن عبد الله من الحجاج.

واتقى عرباض بن سارية ومؤمن الطاق من الخوارج وصعصعة بن

صوحان من معاوية (٤).

وممن استعمل التقية في قضية خلق القرآن إسماعيل بن حماد،

وابن المديني، وكان ابن المديني يلزم مجلس القاضي أبي دؤاد

المعتزلي، ويقتدي به في الصلاة، ويجانب أحمد بن حنبل وأصحابه (٥).

١١ - ويقولون: إن إبراهيم عليه السلام عندما سأله ذلك الحاكم

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٤٧٢.

(٢) بحوث مع أهل السنة والسلفية ص ١٨٣ و ١٨٤ عن: الرد على الجهمية لابن

حنبل في كتاب الدومي ص ٨٢.

(٣) راجع العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢، " ٣٩٣،

(٤) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٥) راجع لسان الميزان ج ١ ص ٣٣٩ - ٤ متنا وهامشا.

الجبار عن امرأته قال: " هذه أختي " وذلك في الله (١) فراجع.
١٢ - وعن عبيد الله بن معاذ العنبري، عن أبيه قال: " كتبت إلى
شعبة أسأله عن أبي شيبه، قاضي واسط، فكتب إلي: لا تكتب عنه،
ومزق كتابي (٢) ".

١٣ - وقد عمل صعصعة بالتقية في خطبته في قصة خروج
المستورد أيام معاوية (٣).

١٤ - وفي غارة بسر بن أبي أرطاة على المدينة، وشكوى جابر بن
عبد الله الأنصاري لام سلمة زوج النبي: أنه خشى أن يقتل، وهذه بيعة
ضلال، قالت: إذن، فبايع؟ فإن التقية حملت أصحاب الكهف على أن
كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم (٤).

١٥ - وقد خطب الإمام الحسين عليه السلام مؤبنا أخاه الحسن
السيبط عليه السلام حينما توفي، فكان مما تمدحه به: انه قد آثر الله عند
مداحض الباطل، في مكان التقية بحسن الروية (٥).

١٦ - والإمام الحسين عليه السلام لم يستجب لأهل الكوفة حينما
طلبوا منه القيام ضد معاوية بعد سم الإمام الحسن عليه السلام.
وله موقف آخر عليه السلام يؤيد فيه موقف أخيه القاضي بعدم الثورة

(١) صحيح البخاري ط اليمينية: ج ٤ ص ٢٩١ ومسنند أحمد ج ٢ ص ٣٠٤ وأخرجه
أبو داود والترمذي، وقصص الأنبياء للنجار: ص ٩٨ - ٩٩ ومسنند أبي يعلى ج ١٠
ص ٤٢٧.

(٢) ، صحيح مسلم: ج ١ ص ١٨ ومعرفة علوم الحديث ص ١٣٦.

(٣) راجع: بهج الصباغة: ج ٧ ص ١٢١.

(٤) تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ١٩٨.

(٥) راجع: تهذيب تاريخ دمشق: ج ٤ ص ٢٣٠ وعيون الاخبار لابن قتيبة: ج ٢
ص ٣١٤، وحياة الإمام الحسن " عليه السلام) للقرشي: ج ١ ص ٤٣٩.

الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٣
على معاوية ما دام حيا. فراجع (١).
١٧ - قال الحسن (البصري): التقية إلى يوم القيامة (٢).
١٨ - وقال البخاري: ا (وقال ابن عباس: في من يكرهه اللصوص،
فيطلق، ليس بشيء. وبه قال ابن عمر، وابن الزبير، والشعبي،
والحسن" (٣).
١٩ - وقال البخاري أيضا: يمين الرجل لصاحبه: أنه أخوه، إذا
خاف عليه القتل أو نحوه، وكذلك كل مكروه يخاف، فإنه يذب عنه
الظالم، ويقاتل دونه ولا يخذله، وإن قاتل دون المظلوم فلا قود عليه ولا
قصاص. وإن قيل له: لتشربن الخمر، أو لتأكلن الميتة، أو لتبيعن عبدك،
أو تقر بدين، أو تهب هبة أو تحل عقدة، أو لتقتلن أباك، أو أخاك في
الاسلام وسعه ذلك إلى أن قال: قال النخعي: إذا كان المستحلف
ظالما فنية الحالف، وإن كان مظلوما؟ فنية المستحلف ا. (٤)
ولا بأس بمراجعة الشروح على صحيح البخاري على كتاب
الاكراه، ففيها توضيحات ومطالب مفيدة في هذا المجال (٥).
٢٠ - حتى المغيرة بن شعبة فإنه يدعي أنه في عيبه عليا يعمل بالتقية
فهو يقول لصعصعة: " هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا باظهار عيبه
للناس، فنحن ندع كثيرا مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدا

(١) راجع: الاخبار الطوال: ص ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢.

(٢) صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٢٨ / ط اليمينية.

(٣) صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٢٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) راجع: عمدة القاري: ج ٢٤ ص ٩٥ - ١٠٨، وفتح

ص ٢٧٧ - ٢٨٩، لارشاد الساري: ج ١٠ ص ٩٣ - ١٠٢.

ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية فإن كنت ذاكرا فضله فاذكره بينك وبين أصحابك وفي منازلكم سرا. الخ (١)

٢١ - وفي حرب الجمل حمل محمد بن الحنفية على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: انا على دين أبي طالب فلما عرفت الذي أراد كفت عنه (٢)

٢٣ - ويقول ابن سلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمره أن يصلي الصلاة لوقتها ثم يصلي مع الامراء الذين يؤخرون الصلاة نافلة (٣).

٢٤ - وقد صرح الخدري بأنه يعمل بالتقية في ما يرتبط بموقفه من علي عليه السلام ليحقق دمه من بني أمية واستدل بآية ادفع بالتي ير أحسن السيئة (٤).

وقد ذكر في الصراط المستقيم للبياضي ج ٣ ص ٧٢ - ٧٣ موارد عديدة أخرى فراجع.

التقية ضرورة فطرية عقلية دينية اصلاحية:

إن تشريع التقية لهو خير دليل على شمولية الاسلام ومرونته، واتساعه لكل الظروف والأحوال. إذ لو كانت الرسالة جافة وقاسية، ولا تلاحظ الظروف الطارئة، والأحوال العارضة، فلا بد أن تصطدم مع الواقع، وتنهار أمامه، دون أن تتمكن من تجاوزه في حركتها الاصلاحية والتكاملية.

فهو بتشريعه للتقية، إنما يحافظ على الرسالة من خلال حفاظه على

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٦٧.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٠٥.

(٤) سليم بن قيس ص ٥٣، مؤسسة البعثة - قم - إيران.

رائدها، وحافظها، وحاملها في ذلك الظرف العصيب. وخير شاهد على ذلك هو تلك الفترة التي مر بها النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون في أول البعثة حيث كانوا يتحاشون فيها الصدام مع المشركين. وإن المحافظة على حامل الرسالة من خلال مرونة الرسالة، تكون ضرورية جدا حينما لا يكون للتضحية به فائدة، ولا عائدة. إن لم يكن في ذلك ضرر على الرسالة نفسها حينما تفقد جنديا أمينا من جنودها، ربما تكون في وقت ما بأمس الحاجة إليه.

فكثيرا ما يكون الحفاظ على الاسلام من خلال الحفاظ على جنوده الأبرار الأوفياء، والذين يكونون دائما على استعداد للتضحية في سبيله كلما اقتضى الامر ذلك. فالتقية إنما شرعت للحفاظ على هؤلاء. أما الآخرون، الذين لا يفكرون إلا في أنفسهم، فلا ينفعهم تشريع التقية، ولا عدمه.

ومما يدلنا على أن تشريع التقية إنما هو للحفاظ على الرسالة من خلال الحفاظ على جنودها، وليس ذلك نفاقا، ولا انهزاما. لان هؤلاء المخلصين الذين يراد الحفاظ عليهم هم دائما على استعداد للبذل والعطاء: أن الإمام الحسين عليه السلام الساكت في زمان معاوية هو نفسه الحسين الثائر على يزيد، تحت شعار:

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خديني (١)
فسكوته هناك كان حفاظا على الدين والحق؟ تماما كما كانت ثورته هنا حفاظا على الحق والدين. وقد تكلمنا على هذه النقطة في حلف الفضول.

ولأجل ذلك نجد: أنه إذا توقف الحفاظ على الحق على الفداء والتضحية؟ فإن الاسلام يأمر به، ولا يتسامح مع من يمتنع عنه. وأيضا، فلو كان في الاسلام جفاف وقسوة؟ فربما يبعث ذلك الفصل الأول: حتى الهجرة إلى الحبشة.

الكثيرين على التحلي عنه، أو بالأحرى على عدم الاقدام عليه. ولسوف يأتي في إسلام وحشي وغيره: أن البعض كان يسلم؟ لأنه يعرف أن محمدا لا يقتل أصحابه.

فمرونة الاسلام هذه هي التي أعطته قوة الدفع هذه، ومكنته من أن يشق طريقه رغم كل التحديات الكبيرة، والمصاعب الخطيرة، التي واجهته عبر التاريخ.

وواضح: أن مرونة الاسلام هذه لا يجوز أن تفسر على أنها نوع من التساهل في الاحكام؟ ليهون على البعض اعتناق الاسلام، بل هي من قبيل الحفاظ على الاسلام والمسلمين، حيث لا ضرر على المبدأ والرسالة. وحيث يكون في عدم التقية هدر للطاقات والامكانيات، حيث لا جدوى من هدرها. وليكن ذلك هو الفرق بين التقية وبين النفاق الذي يحلو للبعض أن يبنز به - ظلما وعدوانا - من يعتقد بمشروعية التقية. وقد رأينا: أنه صلى الله عليه وآله، حينما جاءته بعض القبائل وهي قبيلة ثقيف، وطلبوا منه أن يعطيهم فرصة لعبادة أصنامهم، وأن لا يفرض عليهم الصلاة لأنها صبة عليهم، وأن لا يكسروا صنمهم بيدهم، شرى أنه صلى الله عليه وآله قبل بهذا الأخير، ورفض الأولين (١).

(١) تاريخ الخميس: ج ٢ ص ١٣٥، والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية): ج ٣ ص ١١، والكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٨٤، والسيرة النبوية لابن كثير: ج ٤ ص ٥٥، والسيرة النبوية لابن هشام: ج ٤ ص ١٨٤ و ١٨٥، والبداية والنهاية: ج ٥ ص ٣٠، والمواهب اللدنية: ج ١ ص ٢٣٦. وبهذا يلاحظ: أن عمر بن الخطاب لم يكن مرفقا حين أصر على الاقتصاص من جيلة بن الأيهم الذي دخل في الاسلام جديدا. وكان ملكا في قومه، ولم يتعرف بعد بعمق على عظمة وخصائص الاسلام ومميزاته الفريدة، إذ قد كان عليه أن يراعي الموقف، ويحل المشكلة بأسلوب مرن آخر.

الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) / ج ٣
كما أنهم قد طلبوا منه أن يسمح لهم بالزنا، وشرب الخمر،
والربا، وترك الصلاة (١). نعم فرفض ذلك، ولم يأخذ بنظر الاعتبار أن هذه
قبيلة تريد أن تسلم، فيتقوى بها الاسلام، ويضعف بذلك جانب أعدائه
ومناوئيه.

وهي في خلال هذه السنة تكون قد تعرفت على الاسلام وتدربت
عليه. نعم، لقد رفض السماح لها بعبادة صنمها، الذي عبدته عشرات
الأعوام، ولو لمدة سنة واحدة أيضا. بل هو يرفضه ولو كان لساعة واحدة،
لأنه لا يريد أن يستفيد من أية وسيلة من أجل الوصول إلى أهدافه، لأنه
يعتبر الوسيلة جزءا من الهدف، ومنه تستمد قدسيته، كما سبق.
ولكنه في مقابل ذلك: لو أساء إليه أحد الناس مثلاً؟ فإنه على
استعداد لان يعفو عنه، ولكن شرط: أن يعرف المعفو عنه أنه قد أذنب، وأن
هذا عفو عنه، أما إذا فهم من ذلك مشروعية الامر الذي ارتكبه، فإن ذلك
العفو يكون مرفوضا جملة وتفصيلا.

وخلاصة الامر (٢): إنه إذا كان المسلم ضعيفا، فإنه لا مبرر لان
يدخل في صراع عنيف مع الآخرين، ينتهي بالقضاء عليه، أو عليه وعلى
عقيدته؟ لان المبدأ لا يستفيد من صراع كهذا، بل ربما يلحق به
الضرر. وكذا إذا كان الحفاظ على الحق يحتاج إلى غطاء واق من

(١) السير النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية): ج ٣ ص ١١، والمواهب اللدنية:
ج ١ ص ٢٣٦، وتاريخ الخميس: ج ٢ مر ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧. وراجع بالنسبة
لترك الصلاة المصادر التالية: الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٨٤، وكذا في السيرة
النبوية لابن هشام: ج ٤ ص ١٨٥، والسيرة النبوية لابن كثير: ج ٤ ص ٥٦،
والبداية والنهاية: ج ٥ ص ٣٠.
(٢) هذه الخلاصة مقتبسة من كلمات للعلامة الجليل السيد محمد حسين فضل الله في:
مفاهيم اسلامية عامة الحلقة ٨ ص ١٢٧.

الاضطهاد، الذي يحاول القضاء عليه جملة وتفصيلاً، بالأساليب الوحشية التي لا تخضع للفكر، ولا تستجيب لشروط الصراع المبدئي وظروفه. وليكن هذا دليلاً آخر على عظمة الإسلام، وعلى شموليته، وانسجامه مع واقع الحياة، ومع كل ظروفها ومناخاتها.

الفصل الثاني:
الحبشة

لا بد في حل:

لقد استمرت قريش في تعذيب من يدخل في دين الاسلام ممن لم يكن لهم عشيرة تمنعهم. وكان الاستمرار في هذا الوضع غير ممكن. فقد كان وأصبح لا بد لهؤلاء المعذبين من العثور على موضع أمل لهم، يساعدهم على تحمل المشاق، ومواجهة الصعاب، ويجعلهم أقدر على مقاومة الضغوط التي يتعرضون لها من قبل من رفضوا أن يعترفوا بألوهية وحاكمة فوق ألوهيتهم وحاكمتهم، وآثروا الاستكبار والعناد على الرضوخ والانقياد.

ومن جهة ثانية: فإن استمرار هذا الوضع الذي يواجهه المسلمون، المملئ بالآلام والمشاق، لسوف يقلل من إقبال الناس على الدخول في الاسلام، ما دام أن هذا الدخول لا حصاد له سوى الرعب، والتعذيب والمصائب.

ومن جهة ثالثة: فقد كان لا بد من تسديد ضربة لكبرياء قريش وجبروتها - ولو نفسيا - لتدرك: أن قضية الدين تتجاوز حدود تصوراتها وقدراتها - وأن عليها: أن تفكر بموضوعية وعقلانية أكثر. فكان أن اختار رسول لله " صلى الله عليه وآله وسلم " للمسلمين الهجرة

إلى الحبشة. وكانت هجرتهم إليها في السنة الخامسة من البعثة.
سر اختيار الحبشة:

وأما عن سر اختيار رسول الله صلى الله عليه وآله الحبشة مهاجرا للمسلمين، فقد أشار إليه صلى الله عليه وآله بقوله: " إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي ارض صدق " و " إنه يحسن الجوار ".
وقد كان من الواضح أنه:

- ١ - كان لا بد لقريش، من أن تبذل محاولاتها لاسترجاع المسلمين، لتبقى هي المهيمنة، وصاحبة الاختيار الأول والأخير في مصير هذا الدين، الذي تراه يتهدد كبرياءها وشركها، وانحرافها.
 - ٢ - لقد كان لقريش نفوذ في بلاد الروم والشام، لما كان لها من علاقات تجارية واقتصادية معها، فالهجرة إلى هذه البلاد إذن سوف تسهل على قريش استرجاع المهاجرين، أو على الأقل إلحاق الأذى بهم. ولا سيما إذا كان ملوك تلك البلاد لا يلتزمون بأي من الأصول الأخلاقية والانسانية، ولم يكن لديهم مانع من ممارسة أي نوع من أنواع الظلم والجور، وعلى الأخص بالنسبة لمن ينتسب إلى دعوة يرون أنها تضر بمصالحهم الشخصية، وتهدد كيانهم وجبروتهم.
- وأما بلاد اليمن، وبعض المناطق العربية والقبلية الأخرى فقد كانت تحت نفوذ النظام الفارسي، المتجبر والظالم. ويذكر هنا: ان بعض القبائل عندما عرض عليها النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " دعوته وطلب منها حمايتها له، قبلت بذلك، ولكن مما دون كسرى (١)، واما من كسرى، فلا.

(١) السير الحلبية: ج ٢ ص ٥ و ص ٦ ١، والسيرة النبوية لابن كثير: ج ٢ ص ١٦٨.

وواضح: أن الالتجاء إلى كسرى لا يقل خطرا عن الالتجاء إلى بلاد الروم، خصوصا إذا رأى: ان هذا العربي - وهو بطبعه كان يحتقر العرب، ولا يرى لهم حرمة، ولا شأنا يذكر - لسوف يخرج في منطقة قريبة من بلاده، وقد تسري دعوته إلى بلاده نفسها، ويؤثر ذلك على الامتيازات الظالمة التي يجعلها لنفسه، كما يظهر من دراسة طبيعة دعوة ذلك النبي، وأهدافها.

٣ - قد كان لقريش نفوذ قوي في مختلف القبائل العربية، حتى ما كان منها تحت نفوذ الفرس والروم. كما ربما يتضح مما ذكرناه في أوائل هذا الكتاب، فلا نعيد.

٤ - ما ذكره النبي " صلى الله عليه وآله " من أن بها ملكا لا يظلم عنده أحد:

فإن كل ذلك:

يجعلنا نضع أيدينا على السر الحقيقي لاختيار بلاد الحبشة، البعيدة عن النفوذ الفارسي والرومي والقريشي، والتي لا يمكن لقريش أن تصل إليها على ظهر جواد أو راحلة، وإنما بالسفن عبر البحار. ولم تكن قريش تعرف حرب السفن، فاختار الرسول " صلى الله عليه وآله " هذه البلاد بالذات لتكون أرضا لهجرة المسلمين، الذين لا يزالون ضعافا أمام قوة قريش وجبروتها.

ثم اننا نستفيد من قوله " صلى الله عليه وآله وسلم " عن ارض الحبشة: إنها أرض صدق: أنه قد كان فيها شعب يعيش على الفطرة، ويتعامل بالصدق والصفاء، فيمكن لهؤلاء الثلاثة من المسلمين المهاجرين ان يعيشوا مع هؤلاء الناس، وأن يتعاملوا معهم، لا سيما وأنها بلاد لم يكن فيها من الانحرافات والأفكار والشبهات ما كان في بلاد الروم والفرس، التي كانت قد لوثتها المفاهيم والنظريات اللاإنسانية، والأديان

المنحرفة إلى حد بعيد، ولم تتعرض بلاد الحبشة لمثل ذلك، فلم تنشأ فيها أديان، ولا كان فيها علماء وفلاسفة بالمستوى الذي كان في دولتي الروم والفرس فكانت أقرب إلى الفطرة، واسق من غيرها. ولكن هيمنة الفطرة على بلاد الحبشة ليس معناه خلوتك البلاد عن أي انحراف، فإن وجود الانحراف فيها أمر طبيعي، بل إن ذلك على حد قولهم: أهل البلد الفلاني مؤمنون، أو شجعان، أو كرماء، فإن ذلك لا يمنع وجود البخيل والكافر أو الفاسق والجبان فيها. ومن الواضح: ان المسلمين لو هاجروا إلى بلاد لا تهيمن عليها الفطرة، وكان لها ملك لا يأبى عن الظلم فسوف تصعب عليهم الحياة والاستمرار فيها، ولم يكن لهجرتهم من بلادهم كبير فائدة، ولا جليل أثر. الهجرة إلى الحبشة:

وهاجر المسلمون بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الحبشة، ذهبوا إليها رسالاً على حسب رواية أم سلمة، (١) ويقال: إنه سافر أولاً عشرة رجال وأربع نساء عليهم عثمان بن مظعون (٢)، ثم خرج آخرون حتى تكاملوا في الحبشة اثنين أو ثلاثاً وثمانين رجلاً، إن قلنا إن عمار بن ياسر كان معهم. وتسعة عشر امرأة عدا الأطفال. وقد كانت هذه الهجرة في السنة الخامسة من البعثة كما نص عليه عامة المؤرخين.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٧، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠ عن الصفوة والمنتقى.

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٦٧، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٤٣٢، قال: وبه جزم ابن المحدث في سيرته، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٨.

ولكن عند الحكم: أن هجرة الحبشة قد كانت بعد وفاة أبي طالب (١)، وهو إنما توفي في السنة العاشرة من البعثة. إلا إذا كان الحاكم يتحدث عن هجرة جديدة قام بها بعض المسلمين في هذا الوقت، لعلها عودة الراجعين إلى مكة بعد سماعهم بالهدنة، ففوجئوا بالعكس فعادوا أدراجهم. ولكننا لا نملك شواهد تؤيد أن ذلك كان في تلك السنة بالذات. وكيف كاد فإننا نقول:

إننا نرجح: أنه لم يكن سوى هجرة واحدة للجميع، عليها جعفر بن أبي طالب "عليه السلام"، الذي لم يكن غيره من بني هاشم فلم يكن ثمة هجرتان، عشرة أولاً، ثم الباكون ثانياً، وإن كان خروجهم إنما كان ارسالاً حفاً، طاعاً على عنصر السرية، وذلك بدليل الرسالة التي وجهها الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" إلى ملك الحبشة مع عمرو بن أمية الضمري، والتي جاء فيها:

"قد بعثت إليكم ابن عمي جعفر بن أبي طالب، معه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم إلخ." (٢). وهذا هو الظاهر من رواية أخرى عن أبي موسى، قال: "أمرنا رسول الله "صلى الله عليه وآله وسلم" أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي إلخ." (٣). وإن كانت هجرة أبي موسى هذه محل شك كما سنرى.

(١) مستدرك الحاكم: ج ٢ ص ٦٢٢.
(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٣، والبحار ج ١٨ ص ١٨، وإعلام الوری ص ٤٦ - ٤٥ عن قصص الأنبياء.
(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٠ عن أبي نعيم في الدلائل، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١١.

أمير الهجرة جعفر:

ونعتقد: إن هجرة جعفر إلى الحبشة، لم تكن بسبب تعرضه للتعذيب من قبل قريش، فقد كانت قريش تخشى مكانة أبي طالب، وتراعي جانبه، وجانب بني هاشم بصورة عامة. وإنما أرسله النبي صلى الله عليه وآله مع المهاجرين ليكون أميرا عليهم، ومديرا لأموارهم، ومشرفا على شؤونهم ومصالحهم، وحافظا لهم من أن يذوبوا في هذا المجتمع الجديد، كما كان الحال بالنسبة إلى ابن جحش الذي تنصر في الحبشة. من هو أول مهاجر إلى الحبشة؟:

ويقولون: إن عثمان بن عفان كان أول من هاجر إلى الحبشة بأهله، وأن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " قد قال عنه بهذه المناسبة: إنه أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام (١). وقيل إنه كان أول خارج أيضا (٢). ونحن نشك في ذلك، لأنه إن أريد أنه أول من هاجر بأهله، فإن أبا سلمة - كما يقولون - هو أول من هاجر بأهله (٣). وإن أريد أنه أول خارج بنفسه، فإننا نجد أنهم يقولون: أن أول خارج كان حاطب بن أبي

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٦٦ عن ابن إسحاق، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٩ و ٢٧٥.

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٤ والبدية والنهاية ج ٣ ص ٦٦ عن البيهقي، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٢٣.

(٣) الإصابة ج ٢ ص ٣٣٥، وراجع ج ٤ ص ٤٥٩ / ٤٥٨ والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٣٣٨ عن: مصعب الزبيري، وتهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢، وأسد الغابة ج ٣ ص ١٩٦ عن أبي عمر، وابن مندة، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣، وذخائر العقبى: ص ٢٥٣.

عمر (١)، أو سليط بن عمرو (٢). كما أنهم يقولون: مثل ذلك عن أبي سلمة فراجع، وستأتي الإشارة إلى هذا إن شاء الله تعالى.
هجرة أبي موسى إلى الحبشة لا تصح:
روى الإمام أحمد بسند حسن، وغيره: أن أبا موسى الأشعري كان في جملة من هاجر إلى الحبشة في الهجرة الأولى (٣).
ولكن الظاهر هو أن هذا وهم أو إدراج عمدي من الراوي، فإن أبا موسى لم يسلم إلا في المدينة في السنة السابعة من الهجرة، وقيل: إنه خرج في جماعة إلى النبي فألقتهم سفينتهم إلى الحبشة، فجاؤوا مع مهاجري الحبشة إلى المدينة، في سنة سبع من الهجرة (٤).
ويظهر: أن ذلك قد حدث بعد الهجرة إلى المدينة، إذ لم يكونوا ليقدموا على قصده " صلى الله عليه وآله وسلم " إلى مكة، ولا ليقيموا هذه السنوات الطويلة في الحبشة.
والظاهر أنه التقى بمهاجرة الحبشة في الطريق، فقد قال العسقلاني: " صادفت سفينته سفينة جعفر بن أبي طالب، فقدموا جميعاً " (٥).

-
- (١) الإصابة ج ١ ص ٣٠١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣.
(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣.
(٣) راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٧٣٤، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٦٧ و ٦٩ و ٧٠ عن ابن إسحاق وأحمد وعن أبي نعيم في الدلائل والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٧ و ٩، وفتح الباري، ج ٧ ص ١٤٣ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٤ عن الطبراني وحلية الأولياء ج ١ ص ١١٤.
(٤) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٤ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧١.
(٥) الإصابة: ج ٢ ص ٣٥٩.

رقة عمر للمهاجرين
ويقولون: إن عمر رأى المهاجرين، وهم يتهيأون للخروج إلى
الحبشة، فرق لهم، وأحزنه ذلك (١).
وذلك لا يصح، لان خروجهم كان سرا، متسللين، منهم الراكب،
ومنهم الماشي، حتى انتهوا إلى البحر فوجدوا سفينة فأقلتهم فخرجت
قريش في آثارهم حتى جاؤوا البحر، فلم يجدوا أحدا منهم (٢).
هذا كله، عدا عن شدة عمر وغلظته، التي تدعى له قبل وبعد
الهجرة إلى الحبشة على من أسلم، وتعذيبه لمن قدر عليه منهم، فإن ذلك
لا يتناسب مع ما يقال عنه هنا.
هجرة أبي بكر لا تصح:

ويقولون: إنه حين اشتد البلاء على بقية من بمكة من المسلمين، وضافت
مكة على أبي بكر، وأصابه فيها الأذى، خرج حين حصر المسلمين في الشعب
مهاجرا إلى الحبشة، فلما وصل إلى برك الغماد - موضع على خمس ليال
من مكة إلى جهة اليمن - لقيه ابن الدغنة، سيد قبيلة " القارة "، وكانوا
حلفاء لبني زهرة من قريش، فقال له: أين تريد يا أبا بكر، فقال: أخرجني
قومي؟ فأريد أن أسبح في الأرض، وأعبد ربي، فقال ابن الدغنة: مثلك
يا أبا بكر لا يخرج؟ إنك تكسب المعدوم إلى أن قال: فارجع فأنا لك جار

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٩ عن ابن إسحاق، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٤،
ومستدرک الحاكم ج ٤ ص ٥٨ والطبراني، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٣ / ٣٢٤.
(٢) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٨ / ٢٨٩ عن المنتقى
والطبري ج ٢ ص ٦٩ وراجع البدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٩، وإعلام الوری
ص ٤٣ واليعقوبي ج ٢ ص ٢٩ وزاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ٤٤.

فرجع، ورجع معه ابن الدغنة، فطاف عشية في أشراف قریش، وأعلمهم بأنه أجاره، فأجازوا جواره بشرط: أن يعبد ربه في داره، ولا يستعلن. ولكن أبا بكر ابتنى بعد مدة، مسجدا في بني جمح، بجوار داره يصلي فيه، ويقرأ القرآن، وجعل نساء المشركين، وأبنائهم يجتمعون لسماع قراءته، حتى يسقط بعضهم على بعض. وكان له صوت رقيق، ووجه عتيق أي جميل. فراجع المشركون ابن الدغنة في ذلك، فاتاه فطالبه، فرد عليه أبو بكر جواره (١).

ونحن نشك في ذلك، إذ مع غض النظر عن:

١ - أن إخراج قوم أبي بكر له لا يعني أنه قد هاجر مختارا مع أن ظاهر الكلام هو ذلك.

٢ - ومع غض النظر عن أن هذا الحديث مروى عن عائشة فقط - وهو عجيب!! - فهم يدعون:

أنها كانت حينئذ صغيرة السن جدا لا يمكن ان تعي كل تلك الأمور والخصوصيات، وإن كنا نعتقد: أن عمرها كان أكثر مما يقولونه بكثير، كما سنشير إليه.

٣ - أضف إلى ذلك: أنها لم توضح لنا عن روت ذلك.

ودعوى البعض: أن إرسال الصحابي لا يضر، لأنه يروي عن صحابي مثله؟ وهم عدول كلهم.

(١) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٢٧ / ١٢٨، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢ - ١٣، وشرح النهج ج ١٣ ص ٢٦٧، والمصنف ج ٥ ص ٣٨٦ / ٣٨٥ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٩٤ و ٩٥، وفي تاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٩ / ٣٢٠ ان ذلك كان في الثالثة عشرة من البعثة، وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٧٦ و ٢٧٧ عن البخاري ص ٥٥٢.

لا تصح، فأما بالنسبة لعدالتهم جميعا، فقد أثبتنا عدم صحة ذلك فراجع مقالنا: الصحابة في الكتاب والسنة، في كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام، الجزء الثاني. وأما دعوى: أن إرسال الصحابي إنما هو عن صحابي مثله، فهي أيضا غير صحيحة، لجواز أن يكون الصحابي قد روى عن غير صحابي، كما كان أبو هريرة يروي عن كعب الأحبار (١). نعم، إننا مع غض النظر عن ذلك كله، نسجل هنا الأمور التالية: أولا: إن الرواية تنص على أن ابن الدغنة كان حليفا لبني زهرة من قريش، فكيف أجار على قريش مع أن الحليف لا يجير؟! كما اعتذر به الأحنس بن شريق، حينما طلب منه النبي أن يجيره ليدخل مكة، حسبما يدعون (٢). وثانيا: لماذا بعد أن رد جوار ابن الدغنة لم تؤذ قريش ولم تخرجه، وإذا كانت قبيلته قد منعتة الآن؟ فلماذا لم تمنعه أولا. وإذا كانت قد أقنعتهم تقریضات ابن الدغنة لأبي بكر، فلماذا لم تقنعهم أولا، حتى احتاج أبو بكر إلى جواره؟! وثالثا: لقد رد الإسكافي على الجاحظ المدعي لهذه القضية بقوله: " كيف كانت بنو جمح تؤذي عثمان بن مظعون وتضربه، وهو عندهم ذو سطوة وقدر، وتترك أبا بكر يبنی مسجدا يفعل فيه ما ذكرتم؟ وأنتم الذين

(١) راجع: شيخ المضيرة للشيخ محمود أبي رية، وأبو هريرة للسيد شرف الدين رحمهما الله تعالى، وراجع ترجمة كعب الأحبار في: سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٤٩٠ وغيره.

(٢) إعلام الوری ص ٥٥ والبحار ج ١٩ ص ٧ عن القمي، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٧، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٦٠، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٤٢، وبهجة المحافل ج ١ ص ١٢٦.

رويتم عن ابن مسعود: أنه قال: ما صلينا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب. والذي تذكرونه من بناء المسجد كان قبل إسلام عمر. وأما ما ذكرتم من رقة صوته، وعتاق وجهه، فكيف يكون ذلك، وقد روى الواقدي، وغيره: أن عائشة رأت رجلا من العرب، خفيف العارضين، معروق الخدين، غائر العينين أجنأ (يعني مائل الظهر)، لا يمسك إزاره، فقالت: ما رأيت أشبه بأبي بكر من هذا. فلا أراها دلت على شيء من الجمال في صفته (١).

ويدل على صحة ما ذكره الإسكافي حول جمال أبي بكر: أن المقدسي، بعد أن ذكر: أنه لقب بعتيق لحسن وجهه وعتقه، يقول: " كان أبيض البشرة، مشربا حمرة، نحيف الجسم، خفيف العارضين، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عاري الأشجاع، أحنى لا يستمسك إزاره، ويسترخي عن حقويه، وكان الخ... " وكذا قال غيره (٢). هذا كله عدا عن قولهم: إنه لقب ب " عتيق " لان الرسول قال له: " هذا عتيق من النار " فيومئذ سمي عتيقا، وكان اسمه قبل ذلك: عبد الله بن عثمان (٣) وذلك ينافي قولهم: إنه عتيق لجمال وجهه.

ورابعا: لقد نصت الرواية على أن أبا بكر قد ابتنى مسجدا في بني جمح. ولكننا نجدهم يقولون: إن مسجدا قباء كان أول مسجدا بني في الاسلام (٤). ويقولون أيضا: إن عمارا كان أول من بني مسجدا في

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٨ عن الإسكافي.

(٢) البدء والتاريخ ج ٥ ص ٧٦ / ٧٧، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٩، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٦١٥.

(٣) كشف الأستار عن مسند البزار: ج ٣ ص ١٦٣، ومجمع الزوائد: ج ٩ ص ٤٠.

(٤) وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥.

الاسلام (١).

وحاول البعض الإجابة. عن هذا بأن المقصود: هو أن مسجد قباء كان أول مسجد بني في المدينة. وأن عمارا كان أول من بني مسجدا لعموم المسلمين (٢).

وقد فاتته: أن إطلاق قوله: في الاسلام يدفع الأول، وإطلاق كون عمار أول من بني مسجدا؟ يدفع الثاني، كما أن ثمة تصريحاً بأنه أول من بني في بيته مسجدا يتعبد فيه (٣).

وخامسا: نحن بحاجة إلى إجابات على الأسئلة التالية: لماذا يترك أبو بكر يبني مسجدا في بني جمح؟ وكيف لم يعترض الجمحيون على هذا التحدي؟ ولماذا لم يدرك التيميون صفات أبي بكر النبيلة تلك، ويدعونه يخرج، ثم يدركها ابن الدغنة؟!

ولماذا لم تلاحظ قريش تلك الصفات النبيلة التي أقرت بها، وتركته يخرج؟! بل ولماذا عذبتة أشد العذاب؟! مع علمها بما ذكره ابن الدغنة عنه!!.

فضيلة عثمان بن مظعون تجعل لغيره:

والذي نظنه قويا هو أنهم أرادوا: أن يجعلوا له فضيلة سبق إليها عثمان بن

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٧٩ و ١٧٨ والأعلاق النفيسة ص ١٩٦ وتاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣١١، والغدير ج ٩ ص ٢٠ عنهما. والأوائل للطبراني ص ١٠٩ والروض الانف ج ٣ ص ٢٤٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٤٣.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٠.

(٣) طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ١٧٨ وذكره في البداية والنهاية ج ٧ ص ١ ٣١، وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥ فإنه صرح بان هذا المسجد كان خاصا بالذي بناه.

مظعون؟ فإنه كما يذكره المؤرخون: لما رجع من الحبشة مع من رجع، بعد شهرين من الهجرة، وفوجئ بأن الأمر بين المشركين والنبى صلى الله عليه وآله لا يزال على حاله، دخل مكة بجوار الوليد بن المغيرة. ولكنه لما رأى ما فيه المسلمون من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان. صب عليه ذلك، فمشى إلى الوليد فرد عليه جواره؟ فقال: يا بن أخي، لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، ولكني أرى بجوار الله عز وجل، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد، فاردد علي جوارى علانية، كما أجرتك علانية. فانصرف معه، ورد عليه جواره علانية في المسجد (١).

محاولة قريش اليائسة:

وبعد أن صحا مشركوا مكة من عنف الصدمة. " ورأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم "، على حد تعبير البعض (٢) ائتمرت فيما بينها، وقررت إرسال رجلين من قبلها إلى الحبشة لاسترداد المهاجرين. ووقع اختيارهم على عمرو بن العاص، ويقال: وعلى عمارة بن الوليد أيضا، فأرسلوهما إلى النجاشي بهدايا له ولبطارقتة. (و جرى بين عمارة وعمرو بن العاص في الطريق شئ مثير، يرتبط بالعلاقة بين عمارة وزوجة عمرو فاحتملها له عمرو ليكيده في الوقت المناسب).. وادعيا أمام النجاشي: أنه " قد ضوي إلى بلدك منا غلمان

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٩٢، وقد ذكرت هذه القضية في مختلف المصادر التاريخية فلا حاجة إلى تعدادها.
(٢) سيرة مغلطاي ص ٢٢.

سفهاء، فارقوا دينهم، ولم يدخلوا في دينك. وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت. وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم، وأعمامهم، وعشائرتهم لتردهم إليهم الخ."

فرفض تسليمهم إليهم حتى يسألهم عن صحة ما جاء به عمرو وعمارة، فجاء المسلمون؟ فسألهم فقال جعفر: "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل، منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته، وعفافه؟ فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلية الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا: أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام الخ.. (١) "

وقرأ عليه جعفر بعض سورة الكهف: فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وكذلك أسأفته؟ ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا، فوالله لا أسلمهم اليكما، ولا يكادون. ثم غدا عمرو في اليوم التالي؟ ليخبر النجاشي، بأن المسلمين يقولون: إن عيسى بن مريم عبد؟ فأرسل إليهم؟ فسألهم؟ فقال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا " صلى الله عليه وآله وسلم ": هو عبد الله

(١) ذكرت الزكاة والصيام في مختلف المصادر؟ فراجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٠، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢١، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٨٠ (ولم يذكر الزكاة) وإعلام الوري ص ٤٤ ولم يذكر الصيام والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠، وحلية الأولياء ج ١ ص ١١٤، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٠. وستأتي بقية المصادر حين الكلام عن أن تشريع الصلاة والزكاة كان في مكة، وذلك قبيل الكلام عن غزوة بدر إن شاء الله تعالى.

ورسوله، وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فتناول النجاشي عودا، وقال: والله، ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود. فتناخرت بطارقتة، فقال: وان نخرتم، إذهبوا فأنتم شيوم: أي آمنون، من سبكم غرم - قالها ثلاثا - ما أحب ان لي دبرا - أي جبلا - من ذهب وأني أذيت رجلا منكم.

ثم رد هدايا قريش (١).

وقد روي عن الإمام الحسين عليه السلام: أن ابن العاص قد ذهب إلى الحبشة مرتين ليؤكد المسلمين، فرد الله تعالى كيده إلى نحره، وباء بغضب من الله تعالى. (٢)

ملاحظة:

قد شكك البعض في صحة هذه الرواية، وذلك لذكر الصيام فيها، وهو انما شرع في المدينة (٣).

ولكنه كلام باطل؟ فإن الصيام، والزكاة، وغير ذلك، كله قد شرع في مكة، ولسوف يأتي إن شاء الله بيان ذلك في هذا، الكتاب حين الحديث على ما بعد الهجرة.

ويرى بعض الاعلام: أن منشأ هذه التحقيقات الرشيقة لأحمد أمين، ومن هم على شاكلته، هو التشكيك في موقف يظهر بطولة جعفر، وجراءته وحكمته، وعقله، ودرايته.

(١) راجع المصادر المتقدمة.

(٢) راجع: الاحتجاج: ج ١ ص ٤١١ / ٤١٢، والسيرة النبوية لابن كثير: ج ٢

ص ٢٧، والبداية والنهاية: ج ٣ ص ٧٦.

(٣) هذا ما ذكره أحمد أمين في كتاب فجر الاسلام ص ٧٦ ولعله اقتبس من السيرة

الحلبية: ج ١ ص ٣٣٩.

وقد ابتلي جعفر أيضا بمثل هذا الاجحاف في حقه في مورد آخر، وهو كونه الأمير الأول في غزوة مؤتة، فإن لهم اهتماما خاصا في إبعاد جعفر عن هذا المقام والتأكيد على أن الأمير الأول هو زيد بن حارثة رحمه الله كل ذلك من أجل اخوته لعلي وقرابته منه. (١)

قريش، وخططها المستقبلية:

حقا لقد كانت هجرة المسلمين إلى الحبشة ضربة قاسية لقريش، أفقدتها صوابها، وزعزعت وجودها وكيانها؟ فحاولت أن تتدارك الامر، فلحقت بهم بهدف إرجاعهم، وإبقائهم تحت سلطتها، ولكن بعد فوات الاوان. وكان أن اضطرت قريش للمرة الأولى لمراجعة حساباتها من جديد، بعد أن أدركت: أن زمام المبادرة لم يعد بيدها؟ وذلك لأنها:

١ - أدركت أن الاستمرار في تعذيب المسلمين، الذين أصبحوا متفرقين في مختلف القبائل، لم يعد له كبير جدوى ولا جليل اثر، إن لم يكن سببا في إثارة حرب داخلية، تكون عواقبها السيئة على سمعتها وكرامتها كبيرة وخطيرة، حينما لا توافق كل قبيلة على التصفية الجسدية للمنتميين إليها، للمنطق القبلي. الذي ما زالوا يتعاملون على أساسه، حتى في مواقفهم من هذا الدين الجديد، ومناهضتهم لمحمد " صلى الله عليه وآله وسلم "، ودعوته، رغم إجماعهم على العداء له ولها. ويكفي أن نشير هنا إلى أنهم قد قرروا: أن تتولى كل قبيلة تعذيب الذين ينتسبون إليها!!.

٢ - لقد رأت قريش: أن محمدا صلى الله عليه وآله يريد أن تكون دعوته انسانية عالمية، لا تختص بعرب مكة والحجاز وأدركت أن هجرة

(١) راجع كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام، الجزء الأول، بحث: من هو الأمير الأول في غزوة مؤتة.

هؤلاء إلى الحبشة لم تكن متمحضة في الهروب من التعذيب، لان الكثيرين من أولئك المهاجرين لم يكن ممن يعذب. هذا عدا عن أنهم يمثلون مختلف القبائل المكية أيضا.

ويمثلون رصيذا يملكه الاسلام والمسلمون، ويذخرونه للوقت المناسب، وأصبح واضحا لكل أحد: أن القضاء على مسلمي مكة لا يعني القضاء على الاسلام.

٣ - وترى كذلك: أن معنى هجرة المسلمين هذه، وخروجهم من تحت سلطتها، هو أنها سوف تكون امام مواجهة شاملة، وان مصالحتها في معرض التهديد والبوار.

وقد رأت أن أبا ذر بإقامته بعسفان على طريق القوافل، وكلما أقبلت غير لقريش احتجاجها حتى يقولوا: لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم ". وظل على ذلك إلى ما بعد حرب أحد، قد ضايقها تلك المضايقة الشديدة مع العلم بأن القضاء على حركته ربما يكون أسهل وأيسر، لأنه في منطقتها، ويمكن تطويقه، والحد من نشاطه بسرعة؟ لأنه بين أمة كلها تدين لقريش بالولاء، وتقول بمقاتلتها، كما أنهم ينظرون إليه على أنه غريب ومعتد.

إذن فإن وجود المسلمين - وهم من قريش في الصميم في منطقة بعيدة عن نفوذ القرشيين وسلطانهم، وفي ملجأ أمين، ومنطلق مطمئن. ليشكل أعظم الاخطار على قريش ومصالحتها، الامر الذي يحتم عليها التريث والصبر، وإحكام التدبير، لا سيما وأنها لا تجد إلى تصفية النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " جسديا حيلة، ولا إلى إسكاته سبيلا، ما دام /.../؟؟ في حماية ش * إ شيخ الأبطح، أبي طالب " عليه السلام " والهاشميين، باستثناء أبي لهب لعنه الله فأرسلت إلى النجاشي ممثلين عنها لاسترداد المهاجرين، فرجعا

إليها بالفشل الذريع والخيبة القاتلة، فأفقدتها ذلك صوابها وأصبحت تتصرف بدون وعي، ولا تدبر، فعدت من جديد علي من تبقى من المسلمين بالعذاب والتنكيل. وجعلت تتعرض للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بالسخرية، والاستهزاء، والاتهام أبا لجنون والسحر، والكهانة، وبأنواع مختلفة من الحرب النفسية والأذى.

الثورة على النجاشي:

وكان وجود المسلمين في الحبشة، قد تسبب للنجاشي ببعض المتاعب؟ حيث اتهمه أهل بلاده بأنه خرج من دينهم فثاروا عليه. ولكنه استطاع أن يخمد الثورة بحسن إدراكه ووعيه، واستمر المسلمون عنده في خير منزل، وخير جار، حتى رجعوا إلى المدينة، بعد هجرة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " إليها كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

فيروي محمد بن إسحاق، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال:

اجتمعت الحبشة، فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا، وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيا لهم سفنا، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم؟ فان هزمت؟ فاذهبوا حيث تلحقوا بحيث شئتم. وان ظفرت فاثبتوا، ثم خرج إليهم فجادلهم في الامر، فانصرفوا عنه (١)

وكان ذلك قبل إيفاد قريش عمرو وعمارة، بدليل قول النجاشي لهما " فوالله " ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، ولا أطاع الناس في، فأطيع الناس فيه، ردوا عليهم هداياهم؟ فلا حاجة لي بها، وأخرجنا من بلادنا، فخرجنا مقبوحين (٢) "

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٥، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٧، والسيرة الحلبية

ج ٢ ص ٢٠٢.

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٥ عن ابن إسحاق، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٢.

وقد كانت هذه الفترة التي أعقبت هجرة المسلمين إلى الحبشة قد تميزت بهدوء نسبي، ولعله استمر إلى عودة عمرو بن العاص من الحبشة إلى مكة بالخيبة والخسران.

عودة بعض المهاجرين:

وتسربت أنباء الهدنة القصيرة والعفوية غير المعلنة التي حصلت في مكة إلى مسامع المسلمين في الحبشة. ورأى المسلمون ما جرى للنجاشي بسببهم، فارتأى فريق منهم العودة إلى مكة، بعد شهرين، أو ثلاثة أشهر، وعاد منهم أكثر من ثلاثين رجلا، ودخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة، وكان ما كان من رده جوراه، ورضاه بجوار الله تعالى، حسبما تقدم.

نعم هذا هو السر في رجوع بعض المهاجرين من الحبشة، وليس ما ذكره أعداء الإسلام في قصة الغرانيق التي لا شك في كذبها كما سنرى. قصة الغرانيق

وملخص هذه القضية المكذوبة: أنه بعد أن هاجر المسلمون إلى الحبشة بحوالي شهرين؟ جلس رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " مع المشركين، فأنزل الله تعالى عليه سورة النجم؟ فقرأها، حتى إذا بلغ قوله تعالى: أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، وسوس إليه الشيطان بكلمتين، فتكلم بهما، ظانا انهما في جملة الوحي وهما: " تلك الغرانيق (١) العلى، وان شفاعتهن لترتجي "، ثم مضى في السورة، حتى إذا

(١) الغرانيق، جمع غرنوق بكسر الغين: طيور الماء. شبهت الأصنام بها لارتفاعها في السماء فتكون الأصنام مثلها في رفعة القدر، والغرنوق أيضا: الشاب الأبيض الناعم.

بلغ السجدة، سجد وسجد معه المسلمون والمشركون. لكن الوليد بن المغيرة لم يتمكن من السجود، لشيخوخته، أو لتكبره - على الخلاف - فرفع ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وقيل: إن الذي فعل ذلك هو سعيد بن العاص، وقيل كلاهما، وقيل: أمية بن خلف، وصحح، وقيل: أبو لهب، وقيل: المطلب.

وأضاف البخاري سجود الإنس والجن، إلى مجموع المسلمين. والمشركين وطار الخبر في مكة، وفرح المشركون، بل ويقال: انهم حملوا الرسول، وطاروا به في مكة من أسفلها إلى أعلاها. ولما أمسى جاءه جبرائيل فعرض عليه السورة، وذكر الكلمتين فيها؟ فانكرهما جبرئيل؟ فقال " صلى الله عليه وآله وسلم " : قلت على الله ما لم يقل؟ فأوحى الله إليه: (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك، لتفتري علينا غيره، واذن لاتخذوك خليلا، ولولا أن ثبتناك، لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا، إذن لأذقناك ضعف الحياة، وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) (١).

وقد استدلووا على صحة هذه الرواية بالآية التي يدعون: انها نزلت بهذه المناسبة وهي قوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض الخ). وعدد من أسانيد هذه الروايات صحيح عند بعض الفرق (٢).

(١) الاسراء / ٧٣ - ٧٥.

(٢) راجع: الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ و ٣٦٦ - ٣٦٨ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٥ - ٣٢٦، وتفسير الطبري ج ١٧ ص ١٣١ - ١٣٤، وفتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣.

ويقولون: إنه لما سمع المسلمون في الحبشة بالاسلام والوئام بين النبي وقريش عادت طائفة منهم إلى مكة، فوجدوا الامر على خلاف ذلك.

ونحن نعتقد جازمين بكذب هذه الروايات، وافتعالها. ويشار كنا في هذا الاعتقاد جمع من العلماء، فقد قال محمد بن إسحاق حين ما سئل عنها: " هذا من وضع الزنادقة ". وصنف في تفنيدها كتابا (١). وقال القاضي عبد الجبار عن هذا الخبر: " لا أصل له، ومثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحدة " (٢). وقال أبو حيان: إنه نزه كتابه عن ذكر هذه القصة فيه. (٣) وأنكرها البيضاوي، طاعنا في أسانيدها، وكذا البيهقي، والنووي والرازي، والنسفي، وابن العربي، والسيد المرتضى، وفي تفسير الخازن: أهل العلم وهنوا هذه القصة (٤). وقال عياض: " إن هذا الحديث لم يخرج له أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به، وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، والمتلقفون من الصحف كل صحيح

وأشار إلى أصلها البخاري أيضا في غير موضع من صحيحه، كما في البداية والنهاية ج ٣ ص ٩٠، وقد صرح السيوطي في دره المنتور بصحة أسانيد عدد منها، وراجع لباب النقول، وتفسير الطبري، وهي موجودة في مختلف التفاسير، عند تفسير الآيات، ولذا فلا حاجة إلى تعداد مصادرها.

- (١) راجع: البحر المحيط لأبي حيان ج ٦ ص ٣٨١.
- (٢) تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٢٤٣.
- (٣) عن تفسير البحر المحيط ج ٦ ص ٣٨١.
- (٤) السيرة الحلبية ج ١ ص ١١، والهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٣٥، والرحلة المدرسية مر ٣٨. وفتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣، وتفسير الرازي ج ٢٣ ص ٥٠.

وسقيم. وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي، حيث قال: لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون، مع ضعف نقلته واضطراب رواياته، وانقطاع أسناده واختلاف كلماته (١) " ونحن نؤيد ما قاله:

فأولاً: إن جميع روايات هذه القصة سوى طريق سعيد بن جبير، إما ضعيف، أو منقطع (٢) وحديث سعيد مرسل، والمرسل عند جمهور المحدثين من قسم الضعيف، لاحتمال أن يكون قد رواه عن غير الثقة (٣). وأيضا فإن الاحتجاج بالمرسل لو سلم؟ فإنما يكون في الفرعيات وما نحن فيه يرتبط بالعقائد، التي تحتاج إلى القطع. هذا والملاحظ لأسانيدنا يراها تنتهي: إما إلى تابعي أو إلى صحابي لم يولد إلا بعد هذه القضية.

بل إن هذه الرواية يجب ردها والقطم بكذبها، ولو كان سندها متصلاً، لأنها مصادمة لحكم العقل كما سنرى وبهذا رد على القسطلاني، والعسقلاني، وآخرين حيث قد حكموا بصحتها، وبأن لها أصلاً لكثرة طرقها (٤).

وثانياً: تناقض رواياتها، وقد تقدم التناقض فيمن لم يسجد، ونزید هنا: أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " قرأها وهو يصلي. أو وهو جالس في نادي قومه.

(١) الشفاء ج ٢ ص ١٢٦ ط العثمانية والمواهب اللدنية ج ١ ص ٥٣.

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣.

(٣) راجع: مقدمة ابن الصلاح ص ٢٦.

(٤) فتح الباري ج ٨ ص ٣٣٣، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٦ وراجع سيرة مغلطاي

ص ٢٤ المواهب اللدنية ج ١ ص ٥٣.

حدث نفسه بها أو جرت على لسانه.
الشیطان أخبرهم: أنه (ص) قالها. أو قرأها المشركون.
تنبه " صلى الله عليه وآله وسلم " حين قراءتها.

أولم يتنبه إلى المساء.
بل ذكر الكلاعي: أن الأمر لم ينكشف بهذه السرعة، بل فشا الأمر
حتى بلغ الحبشة: أن المسلمين قد آمنوا في مكة، فقدم مسلموها، ونزل
نسخ ما ألقاه الشيطان، فلما بين الله قضاءه اشتد المشركون على
المسلمين (١). إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف.
ويقولون: لا حافظة للكذب.

وثالثا: إن هذه الرواية ليس فقط تنافي ما هو مقطوع به من
عصمته " صلى الله عليه وآله وسلم " عن الخطأ والسهو. وعلى الأخص في
أمر التبليغ، وهو ما قام عليه إجماع الأمة، والأدلة القطعية. وإنما هي
ثبت الارتداد له " صلى الله عليه وآله وسلم " نعوذ بالله من الغواية، عن
طريق الحق والهداية.

ورابعا: إن هذه الرواية تنافي قوله تعالى: (إن عبادي ليس لك
عليهم سلطان) (٢) وقوله: (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون) (٣) إلا أن يفرض هؤلاء - والعياذ بالله - أنه " صلى الله عليه وآله
وسلم " لم يكن من عباد الله، ولا من الذين آمنوا، ولا من المتوكلين.
وليس هذا القول إلا الكفر بعد الإيمان، كما هو ظاهر للعيان.

(١) راجع: الاكتفاء للكلاعي ج ١ ص ٣٥٣ / ٣٥٢.

(٢) الاسراء الآية ٦٥.

(٣) النمل الآية ٩٩.

وخامسا: ينص الكلاعي على أن المشركين والمسلمين قد سجدوا جميعا لما بلغ النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " آخر السورة. وأن المسلمين قد عجبوا لسجود المشركين؟ لان المسلمين لم يكونوا قد سمعوا الذي ألقى الشيطان على ألسنة المشركين مع أنه يصرح قبل ذلك بأسطر: ان الشيطان قد ألقى تلك الكلمات على لسان النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " نفسه (١)!!

فيرد سؤال: إنه كيف سمع المشركون ما ألقاه الشيطان على لسانه " صلى الله عليه وآله وسلم "، ولم يسمعه المسلمون، وهم معهم، ولا بد أنهم كانوا أقرب إليه " صلى الله عليه وآله وسلم " منهم؟! .
وسادسا: إن جميع الآيات المذكورة لا يمكن أن تكون ناظرة إلى مناسبة هذه الروايات إطلاقا؟ فاما:

١ - آيات سورة النجم؟ فإنه تعالى قد قال عن أصنام المشركين: مناة، واللات، والعزى: (إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآبؤكم، ما أنزل الله بها من سلطان. إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى) (٢).

فكيف رضي المشركون بان يذم آلهتهم بهذا النحو الحاد، ثم فرحوا بقوله المزعوم ذاك وسجدوا معه؟! وكيف لم يدركوا أو كيف فسروا هذا التناقض الظاهر في كلامه، حتى حملوه - كما زعم - وطاروا به في مكة من أسفلها إلى أعلاها وهم يقولون: نبي بني عبد مناف؟! .
والنبي " صلى الله عليه وآله وسلم " نفسه، لماذا لم يلتفت إلى هذا التناقض الظاهر، وبقي غافلا عنه إلى الليل، حتى جاء جبرئيل فنبهه

(١) المصدر السابق ص ٣٥٢.

(٢) النجم الآية ٢٣.

إليه؟! فهل كان " صلى الله عليه وآله وسلم " في غيبوبة طيلة تلك الفترة؟! أم أنه كان سقيم الذهن - والعياذ بالله - إلى هذا الحد؟! ثم، أليست هذه الرواية تناقض تماما قوله تعالى في سورة النجم نفسها، وبالذات في أول السورة بعد القسم: " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؟! " فهذا هو في نفس السورة ينطق عن الهوى، بل هو يردد ما يلقيه إليه الشيطان. على أنه آيات قرآنية إلهية. مع أن الله تعالى يقول: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين) (١) فهذا هو يتقول عليه ولا يفعل به شيئا (٢).

وإذا كانت هذه الآية قد نزلت بعد سورة النجم، فإن ذلك لا يضر ما دامت الآية تعطي قاعدة كلية، ولا تشير إلى قضية خارجية خاصة.

٢ - وأما آية التمني، فهي في سورة الحج، التي هي مدنية بالاتفاق، ولا سيما وأنه قد ورد فيها الأمر بالاذان في الناس بالحج والأمر بالقتال، والأمر بالجهاد، وذكر فيها الصد عن المسجد الحرام، وكل ذلك إنما كان بعد الهجرة، وبعضه بعدها بعدة سنوات. هذا بالإضافة إلى أن الضحاك، وابن عباس، وقتادة، وابن الزبير وغيرهم، قد ذكروا أنها مدنية.

وإذا كانت مدنية، فهذا يعني: أن هذه الآية قد نزلت بعد قصة الغرانيق بسنوات عديدة، لأن قصة الغرانيق قد حصلت!! في السنة الخامسة من البعثة، فكيف أحر الله تسليية وتهدئة خاطر الرسول هذه السنين الطويلة؟! على أن معنى الآية لا ينسجم مع مفاد الرواية، فإن التمني هو

(١) الحاقة الآيات ٤٤ - ٤٦.

(٢) هذا إن لم نقل إن الآية ناظرة إلى صورة تعمد الكذب على الله، لأنه عبر بالتقول، الذي هو تعمد القول.

تشهيه حصول أمر محبوب ومرغوب فيه، فالرسول انما يتشهى ويتمنى ما يتناسب مع وظيفته كرسول، وأعظم أمنية لانسان كهذا هي ظهور الحق والهدى، وطمس الباطل وكلمة الهوى فيلقى الشيطان بغوايته للناس ما يشوش هذه الأمنية، ويكون فتنة للذين في قلوبهم مرض، كما ألقى فيما بين أمة موسى من الغواية ما القى، فينسخ الله بنور الهدى غواية الشيطان، ويظهر الحق للعقول السليمة.

وأما لو أردنا تطبيق الآية على ما يقولون. فإن المراد بالتمنى يكون هو القراءة والتلاوة وهو معنى شاذ غريب، يخالف الوضع اللغوي وظاهر اللفظ، ولا نشك في أنه تفسير موضوع ومفتعل ليوافق الرواية المزعومة. أما الشعر المنقول عن حسان بن ثابت، كشاهد على ذلك (١) فنعتقد: أنه مصنوع ومنسوب إليه للغرض نفسه، وما أكثر ما نجده من ذلك في كتب التاريخ:

وحتى لو قبلنا ان المراد بالتمنى هو التلاوة، فإن من الممكن ان يكون معناه ما قاله المرتضى رحمه الله، وهو: انه إذا تلا النبي على قومه الآيات حرفوها، وزادوا ونقصوا فيها، كما فعلت اليهود بالكذب على نبيهم فإضافة ذلك إلى الشيطان إنما هو لأنه هو الموسوس لهم بذلك ثم يدحض الله ذلك ويزيله بظهور حجته (٢). ٣ - وأما بالنسبة لآيات سورة الإسراء التي يقولون: إنها نزلت في هذه المناسبة، وهي قوله تعالى: (وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا

(١) ففي تنزيه الأنبياء ص ١٠٧: أن حسان بن ثابت قال: على أن من الممكن أن يكون المقصود بالتمنى هنا حب ذلك والشوق إليه.
(٢) تنزيه الأنبياء ص ١٠٧ وص ١٠٨.

إليك لتفتري علينا غيره الخ) فإنها تناقض وتنافي هذه القضية فكيف تكون قد نزلت من أجلها.

وذلك لان هذ الآيات تقول: إنه " صلى الله عليه وآله وسلم " لم يركن إليهم، بل لم يقرب إلى الركون إليهم، وأن الله قد ثبته، وأنه لو ركن لعوقب، وقضية الغرائيق تقول: إنه قد زاد على الركون، فاستجاب، وافترى، وأدخل في القرآن ما ليس منه.

ومعنى الآية: أن المشركين قد أصروا على أن يتركهم وشأنهم، وتفاوضوا معه، ومع أبي طالب كثيرا، فلربما يكون النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " قد فكر في أن يمهلهم قليلا، لعلهم يفكرون ويرجعون؟ فجاءت الآية لتقول له: إن الصلاح في عدم الامهال، بل في الشدة.

هذا كله. عدا عن أنهم يقولون: إن آيات سورة الإسراء قد نزلت في تقيف، حينما اشترطوا لاسلامهم شروطا تزيد في شرفهم، وقيل: نزلت في قریش حينما منعتهم من استلام الحجر، وقيل: نزلت في يهود المدينة، عندما طلبوا منه ان يلحق بالشام. (١) وقد اقتصر القاضي البيضاوي على هذه الوجوه

وسادسا: وأخيرا كيف سجد المشركون عند نهاية السورة لقوله تعالى: (فاسجدوا لله واعبدوا) مع أنهم يرفضون السجود لله؟ قال تعالى: (وإذ قيل لهم: اسجدوا للرحمان قالوا: وما الرحمان؟ أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا)

ثم كيف. لا يرتد أحد من المسلمين، أو يتزلزل إيمانه حينما يعلم أن رسول الله قد مدح الأصنام، وجعل لها شفاعة (٢)؟!.

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٦، والدر المنثور، وتفسير الخازن، وسائر كتب التفسير.

(٢) راجع هامش: الاكتفاء للكلاعي ج ١ ص ٣٥٤ / ٣٥٣.

تساؤلات حائرة..

وأخيرا فلا ندري كيف يمكن فهم وتعقل ما ذكرته بعض الروايات من أنه إنما حدث " صلى الله عليه وآله وسلم " نفسه بتلك الفقرات؟ فكيف علم قومه بذلك حتى فعلوا ما فعلوا، ثم بلغ الخبر إلى المسلمين في الحبشة، فجاؤوا.

وكذا قولهم: إن المشركين قد حملوا رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " وطاروا به في مكة من أسفلها إلى أعلاها، فكيف لم يتسأل النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " عن سر هذا التبدل العظيم في موقف قومه؟!

وقولهم: إن هذه القضية قد كانت بعد شهرين من الهجرة إلى الحبشة، نقول فيه، إنهم يقولون: إن عودة مهاجري الحبشة قد كانت بعد شهرين أيضا. فهل وصل إليهم الخبر بالتلكس، أو بالتلفون، وهل جاؤوا بالطائرة، أم بالصواريخ؟!

إلا أن يكون المراد أنهم بدأوا بالتوجه نحو مكة بعد شهرين من هجرتهم، وإن كان هذا بعيدا عن ظاهر اللفظ.

وكذا قولهم: إنه لما عرض " صلى الله عليه وآله وسلم " السورة على جبرائيل، وقرأ الفقرتين، أنكرهما جبرائيل فقال " صلى الله عليه وآله وسلم ": قلت على الله ما لم يقل؟ فأنزل الله، وإن كادوا ليفتنونك.

نقول فيه: إن الخطاب في الآية للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم ": أن الناس كادوا يفتنونه، مع أن الرواية تنص على أن الشيطان هو الذي كاد ان يفتنه.

إلى غير ذلك من موارد الضعف والوهن والتناقض التي يمكن تلمسها في هذا المجال.

حقيقة الامر:

والظاهر هو ان حقيقة ما جرى هو ما قيل من: ان الكفار كانوا يكثرون اللغو واللغظ حين قراءته " صلى الله عليه وآله وسلم " حتى لا يسمع أحد ما يقرأ قال تعالى: (وقال الذين كفروا: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، لعلكم تغلبون) (١) فحينما قرأ النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " سورة النجم، وانتهى إلى هذا المورد، قال المشركون تلك الغرائق العلى الخ (٢).

نعم، ثم جاء القصاصون والحاقدون، ولعل منهم مسلمة أهل الكتاب، الذين ادخلوا الكثير من إسرائيلياتهم في الاسلام - جاؤوا - ونسجوا حولها ما يتلاءم مع مصالحهم وأهدافهم الشريرة، من الطعن بعصمته " صلى الله عليه وآله وسلم "، ثم التشكيك بكل ما في القرآن، بحيث يتهياً الجو لتطرق احتمالات من هذا النوع في كل سورة وآية، ثم التدليل على مدى جهل النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " وعدم إدراكه حتى المتناقضات الواضحة.

ثم خضوعه لسلطان الشيطان، وعدم قدرته على تمييز ما هو منه عما هو من غيره.

ولكننا نجدهم يقولون في مقابل ذلك، كما تقدم: ان الشيطان يفر من حس عمر (٣) أو لم يلق الشيطان عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه (٤)، أو ما

(١) فصلت الآية ٢٦.

(٢) السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٢٨ وتنزيه الأنبياء ص ١٠٧ وليراجع هامش الاكتفاء للكلاعي ج ١ ص ٣٥٤ عن السيدي، وقد نقل الكلبي في كتاب الأصنام: أن قريشا كانت تقول هذه الكلمات في مدحها لأصنامها حول الكعبة - كما نقل.

(٣) الرياض النضرة ج ٢ ص ٣٠١.

(٤) عمدة القارئ ج ١٦ ص ١٩٦ وراجع تاريخ عمر ص ٦٢.

سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا آخر (١) ولعلمهم أرادوا: ان يقولوا:
ان للنبي شيطانا يعتريه كما كان لأبي بكر... وقد تقدم الحديث عن كل
ذلك في بحوث سابقة.

ثم جاء المستشرقون الحاقدون، أعداء الاسلام، فحاولوا الاستفادة
من هذه الأباطيل والأساطير للطعن في نبينا الأعظم " صلى الله عليه وآله
وسلم " (٢).

فاحبط الله سعيهم، ورد كيدهم في نحورهم. فان الحق
كالصبح أبلج، وسيرة نبينا في النبل والصفاء والطهر من كل عيب وشين
كذكاء في كبد السماء تتوهج.

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٥ وفي تاريخ عمر ص ٣٥ ما يقرب من ذلك وكذلك
ص ٦٢ والغدير ج ٨ ص ٩٤ ومسنند أحمد ج ١ ص ١٧١ و ١٨٢ و ١٨٧ وصحيح
البخاري ج ٢ ص ٤٤ و ١٨٨ وعمدة القارئ ج ١٦ ص ١٩٦.
(٢) راجع: تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٣٤ لبروكلمان وكتاب الاسلام ص ٣٦ / ٣٥
لألفريد هيوم.

الفصل الثالث
حتى الشعب

(١٤٩)

تناقضات في تاريخ اسلام حمزة عليه السلام:
ويقولون: إن إسلام حمزة بن عبد المطلب عليه السلام كان في
الثانية من البعثة. ثم يقولون: إنه أسلم بعد دخوله " صلى الله عليه وآله
وسلم " دار الأرقم. وهذا متناقض؟ لأنه إنما دخل دار الأرقم في أواخر
السنة الثالثة، كما يدعون.
وتناقض آخر: انهم يذكرون انه أسلم قبل عمر بثلاثة أيام، مع أنهم
يذكرون ان عمر أسلم في السنة السادسة بعد خروج النبي " صلى الله عليه
وآله وسلم " من دار الأرقم.
وهذا متناقض؟ لأنه " صلى الله عليه وآله وسلم " إنما دخلها في
أواخر السنة الثالثة من البعثة ولمدة شهر واحد فقط كما يقال.. وسيأتي
أن التحقيق هو: أن إسلام عمر كان بعد إسلام حمزة بسنوات.
اسلام حمزة (رض)
ونلاحظ: أن ابن هشام وغيره يذكرون اسلام حمزة " رحمه الله "
بعد الهجرة إلى الحبشة، أي في حوالي السنة السادسة للبعثة، ونحن
نرجع ذلك؟ لأنه حين أسلم - كما يقول المقدسي - " عز به النبي " صلى

الله عليه وآله وسلم " وأهل الإسلام، فشق ذلك على المشركين، فعدلوا عن المنابذة إلى المعاتبة، واقبلوا يرغبونه في المال والانعام، ويعرضون عليه الأزواج (١) ".

وعروضهم هذه إنما كانت بعد الهجرة إلى الحبشة، كما يفهم من سيرة ابن هشام. كما أنه إنما أسلم بعد الاعلان بالدعوة، وبعد مفاوضات قريش مع أبي طالب وعروضها عليه، وبعد أن عدلوا عن ذلك إلى العداوة والأذى.

وعلى كل حال، فقد كان إسلام حمزة تطوراً جديداً لم يكن قد دخل في حسابات قريش، حيث قلب الموازين رأساً على عقب، وفت في عضد قريش، وزاد من مخاوفها، وكبح من جماحها.

فقد مر أبو جهل بالرسول عند الصفا، فأذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لامره، فلم يكلمه الرسول صلى الله عليه وآله.

وكان حمزة صاحب صيد وقنص، وكان إذا رجع بدأ بالبيت، وطاف به، وسلم على من فيه، ورجع إلى بيته.

وفي هذه المرة كان حمزة راجعاً من صيده، فأخبرته إحدى النساء بما كان من أبي جهل تجاه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فاحتمل حمزة الغضب، ودخل المسجد، فرأى أبا جهل جالساً مع القوم، فاقتبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس، فضربه بها ضربة شجوة بها شجة منكورة. ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ فرد علي ذلك إن استطعت وكان ذلك بعد أن تضرع إليه أبو جهل، وأخذ بثوبه،

(١) البدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٨ / ١٤٩، وهو الظاهر من سيرة ابن هشام، حيث ذكر هذه العروض بعد ذكره لإسلام حمزة " عليه السلام ".

فلم يقبل منه.

فقام رجال من بني مخزوم، لينصروا أبا جهل، فقالوا لحمزة: ما نراك إلا قد صبأت؟ فقال حمزة: وما يمنعني؟ وقد استبان لي منه أنه رسول الله، والذي يقول حق؟! فوالله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين.

فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإنني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً.

يقول المقدسي: " فلما أسلم حمزة عز به الدين والنبي " صلى الله عليه وآله وسلم " (١) ، " وسر رسول الله بإسلامه كثيراً. وعلمت قريش: أن رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " قد عز وامتنع، فكفوا عما كانوا ينالونه منه. وقال حمزة للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم " : فإظهر يا ابن أخي دينك، فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء، وأني على دين الأول (٢).

وكان حمزة أعزفتى في قريش، وأشدّهم شكيمة (٣).
إسلام حمزة كان عن وعى لا حمية:

والظاهر، بل الصريح من كلام حمزة رحمه الله، ولا سيما قوله الأخير: " وما يمنعني، وقد استبان لي منه: أنه رسول الله، والذي يقول حق " أنه لم يكن في إسلامه منطلقاً من عاطفته التي أثّرت وحسب، وإنما

(١) البدء والتاريخ ج ٥ ص ٩٨.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٧٢ - ٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٣١٢.

(٣) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٧٢.

سبقت ذلك قناعة كاملة، كونها مما شاهده عن قرب من مواقف وسلوك، وسمعه من أقوال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. وقد يستفاد من قوله: أتشتمه وأنا على دينه أن إسلامه كان متقدما على ذلك الوقت، ولكنه كان يتكتم به مراعاة للظروف، وحفاظا على الاسلام والمسلمين، الذين كانوا أضعف من أن يتمكنوا من مواجهة قريش وجبروتها. ولربما كان بعضهم بحاجة إلى المزيد من التربية النفسية الخاصة، ليتمكن من مواجهة تلك الظروف القاسية مع المشركين.

سر جبن أبي جهل في مواجهة حمزة:

ولا بد من التذكير هنا: بأن أبا جهل، عظيم المشركين وجبارهم مع أنه كان بين أهله وعشيرته، ومع أن عشيرته قد أعلنت عن استعدادها لنصرته، فإنه كان أجبن وأذل من أن يقف في وجه أسد الله وأسد رسوله، وما ذلك إلا لأنه كان من جهة: يعلم فتوة حمزة وعزته، وشدة شكيمته وبطولته، ورأى مدى تصميمه وإصراره، وعرف مقدار استعداده للتضحية والفداء في سبيل دينه، وعقيدته.

ومن الجهة الأخرى: فإن أبا جهل إنما كان يحارب النبي صلى الله عليه وآله ويناقضه، حبا بالحياة، ومن أجل الدنيا، فهو إذن لا يريد الموت إطلاقا، بل هو يهرب منه، ويعده خسارة له، ما بعدها خسارة. أما حمزة رحمه الله، فكان يعتبر الموت في سبيل هذا الدين نصرا وفوزا، تماما بالمقدار الذي يعتبره أبو جهل، ومن هم على شاكلته خسرانا وضياعا فلماذا إذن يخشى الموت ويخافه؟، بل لماذا لا يكون الموت عنده أحلى من العسل، وألذ من الشهد؟.

ومن جهة ثالثة: فإن أبا جهل لم يكن على استعداد لان يحارب بني هاشم في تلك الفترة، التي كان له فيهم أنصار كثيرون، لان حربه لهم لسوف تؤدي إلى أن يخسر هؤلاء الذين يلتقي معهم فكريا وعقيديا، لانهم

بحكم المنطق القبلي الذي يهيمن على مواقفهم وتصرفاتهم لن يتركوا ابن أخيهم، حتى ولو كان على غير دينهم، (وقد وعدوا أبا طالب باستثناء أبي لهب أن يمنعوا محمدا ممن يريد به سوءا كما تقدم). بل إن تحرك أبي جهل في ظروف كهذه لربما يؤدي إلى ترسيخ أمر محمد، وإلى دخول الكثيرين من بني هاشم في دينه، حمية وانتصارا. وهذا ما لا يريد أبو جهل، ولا يرغب فيه.

إذن، فقد كانت جميع الظروف تدفعه إلى الاستسلام للذل والهوان في مقابل أسد الله وأسد رسوله.

والخلاصة: أن حب أبي جهل للحياة، وجبنه، ثم ما كان يراه من الصلاح في عدم التصعيد في مناهضة محمد وبني هاشم. قد جعله في موقف الذليل المهان.

وجعل الله كلمة الباطل هي السفلى، وكلمة الحق هي العليا.
ملاحظة هامة:

والملاحظ هنا: أنه بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب تتراجع قريش، وتلين من موقفها، وتدخل في مفاوضات معه " صلى الله عليه وآله وسلم "، وتعطيه بعض ما يريد، لأنها رأت أن المسلمين يزيد عددهم ويكثر، فكلمه عتبة، فأبى " صلى الله عليه وآله وسلم " كل عروضهم (١).
عبس وتولى:

ويذكر المؤرخون بعد قضية الغرائق، القضية التي نزلت لأجلها سورة عبس وتولى، المكية، والتي نزلت بعد سورة النجم. وملخص هذه

(١) راجع: كنز العمال: ج ١٤ ص ٤٨ عن البيهقي في الدلائل، وابن عساكر.

القضية:

أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " كان يتكلم مع بعض زعماء قريش، ذوي الجاه والمال، فجاءه عبد الله بن أم مكتوم - وكان أعمى - فجعل يستقرئ النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " آية من القرآن، قال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله. فاعرض عنه رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " وعبس في وجهه، وتولى، وكره كلامه، وأقبل على أولئك الذين كان " صلى الله عليه وآله وسلم " قد طمع في إسلامهم، فأنزل الله تعالى:

(عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنعه الذكرى، أما من استغنى. فأنت له تصدى، وما عليك ألا يزكى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهي) (١).

وفي رواية: أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " كره مجيء ابن أم مكتوم وقال في نفسه: يقول هذا القرشي: إنما اتباعه العميان والسفلة، والعييد، فعبس " صلى الله عليه وآله وسلم " إلخ.. (وكان ذلك الزعيم لم يكن يعلم بذلك!! وكان قريشا لم تكن قد صرحت بذلك وأعلنته!!). وعن الحكم: ما روي رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " بعد هذه الآية متصديا لغني، ولا معرضا عن فقير. وعن ابن زيد: لو أن رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " كتم شيئا من الوحي، كتم هذا عن نفسه (٢).

(١) سورة عبس / ١ - ١٠.

(٢) راجع في هذه الروايات: مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧ والميزان عن المجمع وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٠ عن الترمذي، وأبي يعلى، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥٢٠ عنه، وتفسير الطبري ج ٣٠ ص ٣٣ / ٣٤، والدر المنثور ج ٦ ص ٥١٤ / ٣١٣. وأي تفسير قرآن آخر لغير الشيعة؟ فإنك تجد فيه الروايات المختلفة التي تصب في هذا الاتجاه، فراجع الأخير على سبيل المثال.

فابن زيد يؤكد بكلامه هذا على مدى قبح هذا الأمر، وعلى مدى صراحة الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم "، حتى إنه لم يكتف هذا الأمر، رغم شدة قبحه وشناعته!.

لقد أجمع المفسرون، وأهل الحديث، باستثناء شيعة أهل البيت عليهم السلام - على أصل القضية المشار إليها. ونحن نرى: أنها قضية مفتعلة، لا يمكن أن تصح. وذلك. أولاً: لضعف أسانيدھا، لأنها تنتهي: إما إلى عائشة، وأنس، وابن عباس، من الصحابة، وهؤلاء لم يدرك أحد منهم هذه القضية أصلاً، لأنه إما كان حينها طفلاً، أو لم يكن ولد (١). أو إلى أبي مالك (٢)، والحكم، وابن زيد، والضحاك، ومجاهد، وقتادة، وهؤلاء جميعاً من التابعين فالرواية مقطوعة، لا تقوم بها حجة. وثانياً: تناقض نصوصها (٣) حتى ما ورد منها عن راو واحد، فعن عائشة. في رواية: إنه كان عنده رجل من عظماء المشركين، وفي أخرى عنها: عتبة وشيبة، وفي ثالثة عنها: في مجلس فيه ناس من وجوه قريش، منهم أبو جهل، وعتبة بن ربيعة.

وفي رواية عن ابن عباس: إنه " صلى الله عليه وآله وسلم " كان يناجي عتبة، وعمه العباس، وأبا جهل. وفي التفسير المنسوب إلى ابن عباس: إنهم العباس، وأمّية بن خلف، وصفوان بن أمّية. وعن قتادة: أمّية بن خلف. وفي أخرى عنه: أبي بن خلف.

(١) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨.
(٢) الظاهر أن المراد به أبا مالك الأشجعي، المشهور بالرواية، وتفسير القرآن، وهو تابعي.

(٣) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨ / ١٥٩.

وعن مجاهد: صنيدي من صناديد قريش، وفي أخرى عنه: عتبة بن ربيعة، وأمّية بن خلف.

هذا، عدا عن تناقض الروايات مع بعضها البعض في ذلك، وفي نقل ما جرى، وفي نص كلام الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم "، ونص كلام ابن أم مكتوم. ونحن نكتفي بهذا القدر، ومن أراد المزيد فعليه بالمراجعة والمقارنة.

وثالثا: إن ظاهر الآيات المدعى نزولها في هذه المناسبة هو أنه كان من عادة هذا الشخص وطبعه، وسجيته، وخلقه: أن يتصدى للغني، ويهتم به ولو كان كافرا ويتلهى عن الفقير ولا يبالي به أن يتزكى، ولو كان مسلما. وكلنا يعلم: أن هذا لم يكن من صفات وسجايانا نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ولا من طبعه، وخلقه.

كما أن العبوس في وجه الفقير، والاعراض عنه، لم يكن من صفاته " صلى الله عليه وآله وسلم " حتى مع أعدائه، فكيف بالمؤمنين من أصحابه وأودائه (١). وهو الذي وصفه الله تعالى بأنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٢).

بل لقد كان من عاداته صلى الله عليه وآله مجالسة الفقراء، والاهتمام بهم، حتى ساء ذلك أهل الشرف والجاه، وشق عليهم. وطالبه الملا من قريش بان يبعد هؤلاء عنه ليتبعوه، وأشار عليه عمر بطردهم، فنزل قوله تعالى: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) (٣).

(١) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨، والميزان ج ٢٠ ص ٢٠٣، وتنزيه

الأنبياء ص ١١٩ ومجمع البيان ج ١ ص ٤٣٧.

(٢) سورة التوبة الآية / ١٢٨.

(٣) راجع: الدر المنثور ج ٣ ص ١٢ / ١٣.

ويظهر: أن الآية قد نزلت قبل الهجرة إلى الحبشة لوجود ابن مسعود في الرواية. أو حين بلوغهم أمر الهدنة، ورجوعهم إلى مكة. ولكن يبقى إشكال أن ذكر عمر في هذا المقام في غير محله، لأنه لم يكن قد أسلم حينئذ لأنه إنما أسلم قبل الهجرة إلى المدينة بيسير، كما سنرى.

كما أن الله تعالى قد وصف نبيه في سورة القلم التي نزلت قبل سورة عبس وتولى بأنه على خلق عظيم، فإذا كان كذلك، فكيف يصدر عنه هذا الامر المنافي للأخلاق، والموجب للعتاب واللوم منه تعالى لنبيه " صلى الله عليه وآله وسلم "، فهل كان الله - والعياذ بالله - جاهلا بحقيقة أخلاق نبيه؟ أم أنه يعلم بذلك، لكنه قال هذا لحكمة ولمصلحة اقتضت ذلك؟ نعوذ بالله من الغواية، عن طريق الحق والهداية. ورابعا: إن الله تعالى يقول في الآيات: (وما عليك ألا يركى)، وهذا لا يناسب أن يخاطب به النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، لأنه مبعوث لدعوة الناس وتزكيتهم. وكيف لا يكون ذلك عليه، مع أنه هو مهمته الأولى والأخيرة، ولا شيء غيره. ألم يقل الله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة؟) (١) فكيف يغريه بترك الحرص على تزكية قومه (٢). خامسا: لقد نزلت آية الانذار: (وأندر عشيرتك الأقربين)* واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) (٣) قبل سورة عبس بسنتين فهل نسي " صلى الله عليه وآله وسلم ": أنه مأمور بخفض الجناح لمن

(١) سورة البقرة الآية / ١٢٩.

(٢) تنزيه الأنبياء ص ١١٩.

(٣) الشعراء / ٢١٤ - ٢١٥.

اتبعه؟ وإذا كان نسي، فما الذي يؤمننا من أن لا يكون قد نسي غير ذلك أيضا؟، وإذا لم يكن قد نسي، فلماذا يتعمد أن يعصي هذا الأمر الصريح؟! (١).

سادسا: إنه ليس في الآية ما يدل على أنها خطاب للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، بل الله سبحانه يخبر عن رجل ما أنه: (عبس وتولى* أن جاءه الأعمى) ثم التفت الله تعالى بالخطاب إلى ذلك العابس نفسه، وخاطبه بقوله: (وما يدريك لعله يزكى) الخ..

سابعا: لقد ذكر العلامة الطباطبائي: أن الملاك في التفضيل وعدمه ليس هو الغنى والفقير، وإنما هو الأعمال الصالحة، والسجايا الحسنة، والفضائل الرفيعة. وهذا حكم عقلي وجاء به الدين الحنيف، فكيف جاز له " صلى الله عليه وآله وسلم " أن يخالف ذلك، ويميز الكافر لما له من وجاهة على المؤمن؟ (٢).

والقول: بأنه إنما فعل ذلك لأنه يرجو إسلامه، وعلى أمل أن يتقوى به الدين، وهذا أمر حسن، لأنه في طريق الدين، وفي سبيله. لا يصح، لأنه يخالف صريح الآيات التي تنص على أن الذم له كان لأجل أنه يتصدى لذاك الغني لغناه، ويتلهى عن الفقير لفقره. ولو صح هذا، فقد كان اللازم أن يفيض القرآن في مدحه واطرائه على غيرته لدينه، وتحمسه لرسالته؟ فلماذا هذا الذم والتقريع إذن. ونشير أخيرا: إلى أن البعض قد ذكر: أنه يمكن القول بان الآية خطاب كلي مفادها: أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " كان إذا رأى

(١) الميزان ج ٢٠ ص ٣٠٣.

(٢) راجع: الميزان ج ٢٠ ص ٣٥٤.

فقيرا تأذى وأعرض عنه.

والجواب:.

أولاً: إن هذا يخالف القصة التي ذكروها من كونها قضية في واقعة واحدة لم تتكرر..

وثانياً: إذا كان المقصود هو الاعراض عن مطلق الفقير؟ فلماذا جاء التنصيص على الأعمى؟!

وثالثاً: هل صحيح أنه قد كان من عادة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " ذلك؟!!

المذنب رجل آخر:

فيتضح مما تقدم: أن المقصود بالآيات شخص آخر غير

النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " ويؤيد ذلك:

ما روي عن الإمام جعفر الصادق " عليه السلام "، أنه قال: كان

رسول الله إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال: مرحباً، مرحباً، والله لا يعاتبني الله فيك أبداً. وكان يصنع به من اللطف، حتى يكف عن النبي

" صلى الله عليه وآله وسلم " مما كان يفعل به (١).

فهذه الرواية تشير إلى أن الله تعالى لم يعاتب نبيه في شأن ابن أم

مكتوم، بل فيها تعريض بذلك الرجل الذي ارتكب في حق ابن أم مكتوم

تلك المخالفة، إن لم نقل: إنه يستفاد من الرواية نفي قاطع حتى لا يمكن

صدور مثل ذلك عنه " صلى الله عليه وآله وسلم "، بحيث يستحق العتاب

والتوبيخ؟ إذ لا معنى لهذا النفي لو كان الله تعالى قد عاتبه فعلاً.

(١) تفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٨، وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٠٩، ومجمع البيان

ج ١٠ ص ٤٣٧.

هذا ولكن الأيدي غير الأمينه قد حرفت هذه الكلمة؟ فادعت أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " كان يقول: مرحبا بمن عاتبني فيه ربي. فلتراجع كتب التفسير، كالدرا المنثور وغيره. والصحيح هو ما تقدم. سؤال وجوابه:

ولعلك تقول: إنه إذا كان المقصود بالآيات شخصا آخر؟ فما معنى قوله تعالى: " فأنت له تصدى! وقوله: " فأنت عنه تلهي " فان ظاهره: أن هذا التصدي والتلهي من قبل من يهمله هذا الدين؟ فيتصدي لهذا، ويتلهي عن ذلك.

فالجواب: انه ليس في الآيات ما يدل على أن التصدي كان لأجل الدعوة إلى الله أو لغيرها. فلعل التصدي كان لأهداف أخرى دنيوية، ككسب الصداقة، أو الجاه، أو نحو ذلك. وقوله تعالى: " لعله يزكى " ليس فيه أنه يزكى على يد المخاطب، بل هو أعم من ذلك، فيشمل التزكي على يد غيره ممن هم في المجلس، كالنبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أو غيره.

ثم لنفرض: أنه كان التصدي لأجل الدعوة، فإن ذلك ليس محصورا به " صلى الله عليه وآله وسلم "؟ فهم يقولون: إن غيره كان يتصدي لذلك أيضا، وأسلم البعض على يديه، لو صح ذلك!. الرواية الصحيحة:

وبعد ما تقدم، فإن الظاهر هو أن الرواية الصحيحة، هي ما جاء عن الإمام الصادق " عليه السلام ": أنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند

النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "؟ فجاءه ابن أم مكتوم. فلما جاءه تقذر منه، وعبس في وجهه، وجمع نفسه، وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك عنه، وانكره عليه (١).

ويلاحظ: أن الخطاب في الآيات لم يوجه أولاً إلى ذلك الرجل؟ بل تكلم الله سبحانه عنه بصورة الحكاية عن الغائب: إنه عبس، وتولى، أن جاءه الأعمى. ثم التفت إليه بالخطاب، فقال له مباشرة: وما يدريك. ويمكن أن يكون الخطاب في الآيات أولاً للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، من باب: إياك أعني واسمعي يا جارة. والأول أقرب، وألطف ذوقاً.

اتهام عثمان:

وبعض الرويات تتهم عثمان بهذه القضية، وأنه هو الذي جرى له ذلك مع ابن أم مكتوم (٢).

ولكننا نشك في هذا الأمر، لأن عثمان قد هاجر إلى الحبشة مع من هاجر - فمن أين جاء عثمان إلى مكة، وجرى منه ما جرى؟! إلا أن يقال: إنهم يقولون: إن أكثر من ثلاثين رجلاً قد عادوا إلى مكة بعد شهرين من هجرتهم كما تقدم، وكان عثمان منهم ثم عاد إلى الحبشة (٣).

(١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٧ وتفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٨، وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٠٩.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٤٠٥ وتفسير البرهان ج ٤ ص ٤٢٧، وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٠٨.

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣.

وعلى كل حال، فإن أمر اتهام عثمان (١) أو غيره من بني أمية، لاهون بكثير من اتهام النبي المعصوم، الذي لا يمكن أن يصدر منه أمر كهذا على الإطلاق. وإن كان يهون على البعض اتهام النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بها أو غيرها، شريطة أن تبقى ساحة قدس غيره منزهة وبريئة!!.

تاريخ هذه القضية:

ونسجل أخيراً: تحفظاً على ذكر المؤرخين لرواية ابن مكنوم ونزول سورة عبس، بعد قضية الغرائق؟ فإن الظاهر هو أن هذه القضية قد حصلت قبل الهجرة إلى الحبشة لان عثمان كان قد هاجر إلى الحبشة قبل قضية الغرائق بشهرين كما يقولون.

إلا أن يكون عثمان قد عاد إلى مكة مع من عاد بعد ان سمعوا بقضية الغرائق كما يدعون.

أعداء الاسلام وهذه القضية:

ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن بعض المسيحيين الحاقدين قد حاول ان يتخذ من قضية عبس وتولى وسيلة للطعن في قدسية نبينا الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم " (٢). ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره

(١) ونحن نجد في عثمان بعض الصفات التي تنسجم مع مدلول الآية، كما يشهد له قضيته مع عمار حين بناء المسجد في المدينة، حين ردد عمار ما ارتجز به علي " عليه السلام " تعريضا بعثمان:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب قائما وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

وستأتي هذه القضية إن شاء الله تعالى.

(٢) راجع: الهدى إلى دين المصطفى ج ١ ص ١٥٨.

الكافرون. فما نحن قد أثبتنا: أنها أكاذيب وأباطيل ما انزل الله بها من سلطان.

أكاذيب أخرى مشابهة:

وبالمناسبة فقد رووا: أن الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، جاء إلى النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، فوجداه قاعدا مع عمار، وصهيب، وبلال وخباب، وغيرهم من ضعفاء المؤمنين، فحقروهم، فخلوا بالنبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، فقالوا: إن وفود العرب تأتيك؟ فنستحي أن يرانا العرب قعودا مع هذه الاعبد؟ فإذا جئناك فأقمهم عنا، قال: نعم.

قالوا: فاكتب لنا عليك كتابا؟ فدعا بالصحيفة، ودعا عليا ليكتب، فنزل قوله تعالى: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء) الخ.. (١) فرمى " صلى الله عليه وآله وسلم " بالصحيفة، ودعاهم وجلس معهم، وصار دأبه هذا: أن يجلس معهم، فإذا أراد ان يقوم قام وتركهم فأنزل الله تعالى: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم) (٢). فكان يجلس معهم إلى أن يقوموا عنه وفي بعض الروايات: إنهم يقصدون أبا ذر وسلمان (٣).

(١) الانعام الآية ٥٢.

(٢) الكهف الآية ٢٨.

(٣) حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٦ - ٣٤٥، وراجع مجمع البيان ج ٤ ص ٦٥٥ / ٣٥٣. والبداية والنهاية ج ٦ ص ٥٦ وعن كنز العمال ج ١ ص ٢٤٥ و ج ٧ ص ٤٦ عن ابن أبي شيبه وابن عساكر. والدر المنثور في تفسير الآيات المشار إليها. عن العديد من المصادر.

ويرد هذه الأباطيل جميع ما تقدم حين الكلام عن قصة ابن أم مكتوم، ولذلك فلا حاجة إلى الإعادة. وأيضا فقد استفاض: أن سورة الأنعام قد نزلت دفعة واحدة في مكة (١)، فما معنى أن تكون هذه الآيات قد نزلت بهذه المناسبة في المدينة.

والقول بأن نزولها كذلك لا ينافي كون هذه الآيات نزلت بهذه المناسبة.

مرفوض لأنها قد نزلت دفعة واحدة قبل الهجرة، بعد إسلام الأنصار، لأنها نزلت وأسماء بنت يزيد الأنصارية آخذة بزمام ناقة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " (٢) والآية نزلت في المدينة على الفرض. على أن قصة عبس وتولى وحدها كافية لان يرتدع النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " عن أمر كهذا - ولا سيما إذا كانت تؤنب غيره " صلى الله عليه وآله وسلم "، ممن هو ليس بمعصوم على فعل كهذا. ثم إن سلمان إنما أسلم في المدينة، كما أن أبا ذر قد فارق النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " فور إسلامه، وأقام بعسفان على طريق قوافل مكة، كما قدمنا.

والظاهر هو انهم أصرروا على النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أن يبعد الفقراء عنه، حتى توسطوا لدى أبي طالب في ذلك، وأشار عليه عمر بقبول ذلك كما جاء في بعض الرويات، فجاءت هذه الآيات في ضمن سورة الأنعام بمثابة رد عليهم، وتفنيدهم. وليس في الآيات ما يدل على قبوله " صلى الله عليه وآله وسلم " بذلك، كما تدعيه الروايات

(١) راجع الميزان ج ٧ ص ١١٥.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٢.

المزعومة آنفا.

ولم نتوسع في بيان وجوه الاختلاف بين الروايات، ونقاط الضعف فيها، والرد على هذه المزاعم، اعتمادا على ما ذكرناه في قضية ابن أم مكتوم المتقدمة.

بل إن ظاهر الآية الأولى: أن طرد الذين يدعون ربهم إلخ.. قد كان عقابا لهم على أمر صدر منهم، وذلك بقريته قوله تعالى فيها: " ما عليك من حسابهم من شيء ". فكان الله سبحانه قد رفع التكليف عنه " صلى الله عليه وآله وسلم "

بمؤاخذتهم، رفقا منه تعالى بهم، وعطفا عليهم.

قضية إسلام عمر بن الخطاب:

ويقولون: إن عمر بن الخطاب قد أسلم في السنة السادسة من البعثة، بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام؟ حيث خرج متوشحا سيفه، يريد رسول الله، ورهطا من أصحابه، وهم قريب من أربعين رجلا في دار الأرقم عند الصفا، فيهم أبو بكر، وحمزة، وعلي، وغيرهم ممن لم يخرج إلى الحبشة، فالتقى عمر بنعيم بن عبد الله، فسأله عن أمره، فأخبره: أنه يريد أن يقتل محمدا.

فذكر له نعيم: أنه إن قتله لا ينجو من بني عبد مناف، وأن صهره وأخته قد أسلما، فرجع عمر إليهما، وعندهما، خباب بن الأرت يعلمهما سورة طه، فلما سمعوا حسه، اختبأ خباب في مخدع، وخبأت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة تحت فخذهما.

فدخل عمر، وبعد كلام بطش عمر بنختنه، وشج أخته، فأخبرته حينئذ أنهما قد أسلما؟ فليصنع ما بدا له. فندم عمر، وارعوى لما رأى الدم بأخته، وطلب الصحيفة فلم تعطه إياها حتى حلف بآلهته ليردنها إليها، فقالت له: إنك نجس على شركك، ولا تغتسل من الجنابة، وهذا

لا يمسه إلا المطهرون.
فقام عمر، فاغتسل (توضأ)، ثم قرأ من الصحيفة صدرا و كان كاتباً،
فاستحسنه، وظهر له خباب، وأخبره: أن النبي " صلى الله عليه وآله
وسلم " قد دعا له بأن يعز الاسلام به أو بأبي جهل. فطلب منه عمر: أن
يدله على الرسول ليسلم؟ ففعل، فذهب إليهم، وضرب الباب، فنظر
رجل منهم من خلل الباب؟ فرآه متوشحاً بالسيف، فرجع إلى
الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " فزعا. فأخبره.
فقال حمزة: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان
يريد شراً، قتلناه بسيفه. فأذن له، ونهض إليه " صلى الله عليه وآله وسلم "
حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بمجمع رداءه، ثم جبذه جبذة شديدة،
وتهدده، فأخبره عمر: أنه جاء ليسلم، فكبر " صلى الله عليه وآله وسلم "
وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من في المسجد.
ثم طلب عمر من الرسول: أن يخرج ويعلن أمره، قال عمر:
فأخرجناه في صفيين: حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديد (أي
غبار) ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد. قال: فنظرت إلي قريش
فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها. فسماه رسول الله " صلى الله عليه وآله
وسلم " : ب " الفاروق " يومئذ.
وفي رواية: أن قريشا اجتمعت وتشاورت فيمن يقتل محمداً، فقال
عمر: أنا لها. فقالوا: أنت لها يا عمر، فخرج متقلداً السيف، فالتقى
بسعد بن أبي وقاص، وجرت بينهما مشادة، حتى سل كل منهما سيفه؟
فأخبره سعد بنخبر أخته الخ..
وفي الثالثة: أنهم خرجوا وعمر أمامهم، ينادي: لا إله إلا الله،
محمد رسول الله، فلما سألته قريش عما وراءه تهددهم بأنه إن تحرك منهم
أحد ليتمكن سيفه منه، ثم تقدم أمام رسول الله، يطوف الرسول، ويحميه

عمر، ثم صلى " صلى الله عليه وآله وسلم " الظهر معلنا.
وفي رابعة: أنه لما أسلم - وكان المسلمون يضربون - جاء إلى خاله
أبي جهل - كما عند ابن هشام، وقال ابن الجوزي: هو غلط بل خاله
العاص بن هاشم - فأعلمه بإسلامه، فأجاف الباب، فذهب إلى آخر من
كبراء قريش فكذلك. فقال في نفسه: ما هذا بشئ الناس يضربون، وأنا
لا يضربني أحد؟ فاستدل على أنقل رجل للحديث، فدلوه، فأعلمه
بإسلامه؟ فنأدى في قريش بذلك، فقاموا إليه يضربونه؟ فأجاره خاله،
فانكشف الناس عنه.

ولكنه عاد فرد عليه جواره؟ لان الناس يضربون ولا يضرب. قال:
فلم يزل يضرب، حتى أظهر الله الاسلام.

وفي خامسة: أنه ذهب ليطوف، فقال له أبو جهل: زعم فلان أنك
صبات؟ فتشهد الشهادتين، فوثب عليه المشركون. فوثب عمر على عتبة
بن ربيعة، وبرك عليه، وجعل يضربه، وجعل إصبعيه في عينيه، فجعل
عتبة يصيح، فتنحى الناس عنه، فقام عمر، فجعل لا يدنو منه إلا أحد
شريف، وجعل حمزة يكشف الناس عنه.

وفي سادسة: أنه كان صاحب خمر في الجاهلية؟ فقصد ليلة
المجلس المألوف له، فلم يجد فيه أحدا، فطلب فلانا الخمار، فكذلك،
فذهب ليطوف فوجد محمدا يصلي، فأحب الاستماع إليه، فدخل تحت
ثياب الكعبة وسمع، فدخل الاسلام في قلبه فلما انصرف الرسول " صلى
الله عليه وآله وسلم " وذهب إلى داره التي يسكنها المعروفة بالرقطاء لحقه
في الطريق، وأسلم. ثم انصرف إلى بيته.

وفي العمدية: قيل أسلم عمر بعد ثلاثة وثلاثين رجلا وست نسوة،
وقال ابن المسيب بعد أربعين وعشر نسوة، وقال عبد الله بن ثعلبة: بعد
خمس وأربعين لاحدى عشرة امرأة. وقيل: أسلم تمام الأربعين؟ فنزل

قوله تعالى: يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (١).
وثمة أوسمة أخرى:
ويقولون: إنه " صلى الله عليه وآله وسلم " كان قد دعا قبل إسلام
عمر، فقال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب. وفي نص آخر: اللهم
أيد (أو أعز) الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، وكان
دعاؤه " صلى الله عليه وآله وسلم " يوم الأربعاء، وإسلام عمر يوم
الخميس.
وعن ابن عمر: انه " صلى الله عليه وآله وسلم " قال: اللهم أعز
الإسلام بأحب الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب، قال:
وكان أحبهما إليه عمر.
وقالوا: إن إسلام عمر كان فتحا، وأن هجرته نصرا، وأن أمارته

(١) راجع في مجموع ما تقدم: الأوائل للعسكري ج ١ ص ٢٢١ / ٢٢٢، والثقات لابن
حبان ص ٧٢ - ٧٥ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٨ - ٩٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٦١
عن البزار والطبراني، وتاريخ الطبري حوادث سنة ٢٣، وطبقات ابن سعد ج ٣
ص ١٩١، وعمدة القاري للعيني ج ٨ ص ٦٨، وسيرة ابن هشام ج ١
ص ٣٦٦ - ٣٧٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٧ وتاريخ عمر بن الخطاب
لابن الجوزي ص ٢٣ - ٣٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣١ و ٧٢ - ٨٠، والسيرة
الحلبية ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٥، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٣٢ - ١٣٧
ومصنف الحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٧ / ٣٢٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢
ص ١٨٢ / ١٨٣، وأسباب النزول للواحدي وحياة الصحابة ج ١
ص ٢٧٤ - ٢٧٦، والاتقان ج ١ ص ١٥، والدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠ وكشف
الأسرار عن مسند البزار ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧٢ ولباب النقول ط دار احياء العلوم
ص ١١٣، إلى غير ذلك من كتب الحديث والتاريخ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢
ص ٤ - ٩ ط دار النصر للطباعة.

كانت رحمة. وأنه لما أسلم قاتل حتى صلى المسلمون عند الكعبة (١) إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا. وقد استغرب الترمذي هذه الأحاديث رغم تصحيحه لبعضها. ونحن نشك في صحة كل ما تقدم، بل ونطمئن إلى بطلانه جميعاً من الأساس، وليبيان ذلك نشير إلى النقاط التالية:

١ - متى كان إسلام عمر:

تذكر تلك الروايات: أن عمر قد أسلم بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب " صلى الله عليه وآله وسلم " بثلاثة أيام. وكان إسلامه سبباً لخروجه " صلى الله عليه وآله وسلم " من دار الأرقم، بعد أن تكامل المسلمون أربعين رجلاً، أو ما هو قريب من ذلك. ونحن نشير هنا إلى:

ألف: إن الخروج من دار الأرقم - كما يقولون - إنما كان في الثالثة

(١) راجع هذه الأحاديث وغيرها في: البدء والتاريخ ج ٥ ص ٨٨، وسيرة مغلطاي ص ٢٣، ومنتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٤٧٠ عن الطبراني، وأحمد، وابن ماجه، والحاكم والبيهقي، والترمذي، والنسائي، عن عمر، وخباب، وابن مسعود، والأوائل ج ١ ص ٢٢١، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩١ - ١٩٣، وجامع الترمذي ط الهند ج ٤ ص ٤١٥ / ٣١٤، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٧ وتحفة الأحوذى ج ٤ ص ٣١٤ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٧٩، والبخاري ط الميمنية ج ص ومصنف عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٥، والاستيعاب هامش الإصابة ج ١ ص ٢٧١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٢ وتاريخ الخميس، وسيرة ابن هشام، وسيرة دحلان، ومسند أحمد، وسيرة المصطفى، والطبراني في الكبير والأوسط، والمشكاة وغير ذلك من كتب الحديث والتاريخ.

من البعثة، حينما أمر النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بالاعلان بالدعوة. وهم يصرحون بأن إسلام عمر كان في السادسة من البعثة.
ب: إنهم يقولون إن عمر قد أسلم بعد الهجرة إلى الحبشة، حتى لقد رُق للمهاجرين، لما رأهم يستعدون للرحيل، حتى رجوا إسلامه منذئذ. والهجرة إلى الحبشة قد كانت في السنة الخامسة من البعثة، والخروج من دار الأرقم قد كان قبل ذلك أي في السنة الثالثة.
ج: إنه قد اشترك في تعذيب المسلمين، وإنما كان ذلك بعد الخروج من دار الأرقم، والاعلان بالدعوة.
متى أسلم عمر إذن:

إننا نستطيع أن نقول باطمئنان: إنه لم يسلم في السنة السادسة قطعاً بل أسلم بعد ذلك بسنوات، ومستندنا في ذلك:
أولاً: إنهم يقولون: إنه قد أسلم بعد فرض صلاة الظهر، فصلى رسول الله الظهر معلناً تحت حماية عمر كما تقدم. وصلاة الظهر قد فرضت - حسب قولهم - حين الاسراء والمعراج الذي كان - عندهم - في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من البعثة. فكلامهم متناقض.
وإن كنا نحن قد حققنا: أن الاسراء والمعراج كان في حوالي السنة الثانية من البعثة.

وقد أجاب البعض عن ذلك، بأن المقصود هو صلاة الغداة أي الصبح (١).

ولكنه توجيه لا يصح؟ فإن كلمة الظهر لا تنطبق على الغداة ولا تطلق عليها وهو جواب عجيب وغريب كما ترى.

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٥.

وإن كان مرادهم أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " كان يؤخر صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس فهو غير معقول؟ إذ كيف يؤخر النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " صلاته عن وقتها بلا عذر ظاهر؟. وثانيا: إن عبد الله بن عمر يصرح: أنه حين أسلم أبوه كان له هو من العمر ست سنين (١) ويرى البعض: أن عمره كان خمس سنين (٢). ويدل على ذلك: رواية أن ابن عمر كان حين إسلام أبيه على سطح البيت، ورأى أن الناس قد هاجوا ضد أبيه، وحصروه في البيت؟ فجاء العاص بن وائل ففرقهم عنه، وقد استفسر ابن عمر أباه حينئذ عن بعض الخصوصيات كما سيأتي عن قريب.

كما أن ابن عمر يروي: أنه حين أسلم أبوه غدا يتبع أثره، وينظر ما يفعل، يقول: وأنا غلام أعقل ما رأيت (٣) مما يدل على أن ابن عمر كان حين إسلام أبيه مميزا مدركا.

وذلك يدل على أن عمر أسلم حوالي السنة التاسعة من البعثة - كما ذهب إليه البعض (٤) - لأن ابن عمر ولد في الثالثة من البعثة، وتم عمره على الخمس عشرة سنة في عام الخندق سنة خمس من الهجرة، حيث أجازته " صلى الله عليه وآله وسلم " فيها كما هو مشهور. (٥)

-
- (١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٩، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩٣، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٨٢.
(٢) فتح الباري ج ٧ ص ١٣٥.
(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٨١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٥ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٤.
(٤) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٩، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٢، ومروج الذهب ط دار الأندلس بيروت ج ٢ ص ٣٢١.
(٥) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٠٩، تهذيب الكمال ج ١٥ ص ٣٤٠ الإصابة ج ٢

بل ورد عن ابن شهاب: ان حفصة وابن عمر قد أسلما قبل عمر.
ولما أسلم أبوهما كان عبد الله ابن نحو من سبع سنين (١) وذلك يعني ان
إسلام عمر قد كان في العاشرة من البعثة.
بل نقول: إن عمر بن الخطاب لم يسلم إلا قبل الهجرة بقليل،
ويدل على ذلك:

أولاً: إنه بلغه: أن أخته لا تأكل الميتة (٢)
وواضح: أن تحريم الميتة إنما كان في سورة الأنعام، التي نزلت
في مكة جملة واحدة. وكانت - كما تقول بعض الروايات - أسماء بنت
زيد الأوسية آخذة بزمام ناقته " صلى الله عليه وآله وسلم " (٣) وإسلام
الأوس وأهل المدينة إنما كان بعد الهجرة إلى الطائف، ومجيئ نسائهم
إلى مكة قد كان بعد العقبة الأولى.

وما تقدم في فصل: بحوث تسبق السيرة. من أن زيد بن عمر وبن
نفيل كان لا يأكل الميتة.. لو صح؟ فإنما هو لأجل أنه كان يدين
بالنصرانية إلا أن يقال: إن تحريم الميتة قد كان على لسان النبي قبل نزول
سورة الأنعام لكن ذلك يحتاج إلى دليل وشاهد وهو غير موجود.
وثالثاً: لقد استقرب البعض: أن يكون قد أسلم بعد أربعين، أو
خمس وأربعين ممن أسلم بعد الهجرة إلى الحبشة (٤)

ص ٣٤٧ والاستيعاب بهامش الإصابة ج ٢ ص ٣٤٢ وبقية المصادر لذلك تراجع في
كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي ص ٢٤.
(١) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٠٩.
(٢) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٦.
(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٢ عن الطبراني، وابن مردويه.
(٤) الثقات لابن حبان ج ١ ص ٧٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٠ والبدء والتاريخ
ج ٥ ص ٨٨.

ويؤيد ذلك: أن الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا أكثر من ثمانين رجلا. وهي انما كانت في الخامسة، وإسلام عمر كان في السادسة من البعثة كما يقولون - فلا بد ان يكون الأربعة الذين أتمهم عمر بإسلامه غير هؤلاء الذين هاجروا، وإن كان ابن الجوزي يعد الذين أسلموا قبل عمر، فيذكر أسماء من هاجر إلى الحبشة على الأكثر (١) الامر الذي يشير إلى أنه يرى: أن الأربعة الذين اتهم عمر هم هؤلاء، وليسوا فريقا اخر قد أسلم بعد هجرتهم.

ويؤيد ذلك أيضا: الروايات التي تصرح بأنه أسلم في السادسة من البعثة، وأنه رق للمهاجرين إلى الحبشة، حتى لقد رجوا إسلامه. فإذا كان ذلك. فلسوف يأتي في حديث المؤاخاة التي جرت في المدينة بعد الهجرة بين المهاجرين والأنصار: أن المهاجرين كانوا حين المؤاخاة خمسة وأربعين رجلا أو أقل أو أكثر بقليل (٢). أي ان الذين أسلموا بعد الهجرة إلى الحبشة كانوا خصوصا هؤلاء، فإذا كان عمر قد أسلم وكان تمام الأربعة فيهم فإن معنى ذلك هو أنه قد أسلم قبل الهجرة بقليل، ثم هاجر. ولعله لأجل ذلك لم يتعرض للتعذيب في مكة، كما سنشير إليه حين الكلام عن الذين عذبوا فيها.

ورابعا: لقد جاء في الروايات في إسلام عمر: أنه " دنا من رسول الله، وهو يصلي ويحجر بالقراءة، فسمع رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " يقرأ: وما كنت تتلو من قبله من كتاب، ولا تخطه يمينك،

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢٨ / ٢٩.

(٢) وإن كان ابن هشام قد عد نحو سبعين ممن هاجر إلى المدينة. ولكن ذلك لا يمكن الاعتماد عليه بعد النص على عدد من أخى رسول الله " صلى الله عليه وآله " بينهم من قبل غير واحد، كما سيأتي. ولا يعقل أن يترك أحدا من أصحابه لا يؤاخي بينه وبين آخر من اخوانه.

حتى بلغ: الظالمون " (١).
وواضح: أن هاتين الآيتين قد وردتا في سورة العنكبوت، وهي إما
آخر ما نزل في مكة، أو هي السورة قبل الأخيرة (٢). فإسلام عمر قد كان
قبل الهجرة بقليل، لأنه يكون أسلم قبل نزول هاتين السورتين.
وخامسا: لقد روى البخاري في صحيحه، بسنده عن نافع قال: إن
الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر.. ثم حاول نافع أن يوجه هذا
بأن ابن عمر بايع تحت الشجرة قبل أبيه، ثم قال: فهي التي يتحدث
الناس: أن ابن عمر أسلم قبل عمر (٣)
ولكننا نقول لنافع: ألم يكن الناس يعرفون اللغة العربية؟ فلم لم
يقولوا: إنه بايع قبل أبيه، وقالوا: أسلم قبل أبيه؟! ثم ألم يكن أحد منهم
يعرف أن هذا الكلام لا يدل على ذلك ولا يشير إليه، فكيف يصح أن يكون
هو المقصود منه؟!
ونحن نعتقد أن ما يقوله الناس في ذلك الزمان هو الصحيح الظاهر،
فإن ابن عمر قد أسلم قبل الهجرة بيسير، ثم أسلم أبوه وهاجر (٤).
وسادسا: إن عمر قد رفض في عام الحديدية: حمل رسالة
النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بحجة أن بني عدي لا ينصرونه؟ فمعنى
ذلك هو أنه قد أسلم وهاجر ولم يعلم أحد بإسلامه، وإلا لكان قد عذب،

-
- (١) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٦. وراجع مصادر روايات اسلام عمر المتقدمة.
(٢) الاتقان ج ١ ص ١٠ - ١١
(٣) صحيح البخاري ط مشكول ج ٥ ص ١٦٣
(٤) وقد تقدم عن الزهري ان عمر قد أسلم بعد حفصة و عبد الله بن عمر.

ولم ينصره بنو عدي (١). لا سيما مع ما سيأتي من حالة الذل التي كان يعاني منها هذا الرجل قبل إسلامه.

٢ - في سمي عمر بالفاروق؟!
وقد ذكرت تلك الروايات: أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " قد سمي عمر بالفاروق حين أسلم.
ولكننا نشك في ذلك جدا، إذ أن الزهري يقول:
" بلغنا: أن أهل الكتاب أول من قال لعمر: " الفاروق ". وكان المسلمون يأترون ذلك من قولهم. ولم يبلغنا: أن رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " ذكر من ذلك شيئا (٢) ".
وقد كانت كلمة الفاروق تطلق عليه في أيام خلافته (٣).

٣ - هل كان عمر قارئاً؟!
وتذكر الروايات: أن عمر بن الخطاب كان قارئاً، وأنه قد قرأ الصحيفة بنفسه.
ونحن نشك في ذلك أيضا: لاعتقادنا أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، ولا سيما في بادئ أمره، إلا أن يكون قد تعلمها بعد ذلك في أواخر أيام حياته؟ وذلك لا مبرر.

(١) ستأتي مصادر ذلك بعد حوالي خمس صفحات.
(٢) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٣٠، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٩٣، والبداية والنهاية ج ٧ ص ١٣٣، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٦٧ حوادث سنة ٢٣. وذيل المذيل ج ٨ من تاريخ الطبري.
(٣) راجع: طبقات الشعراء لابن سلام ص ٤٤.

أحدهما: أن البعض يصرح بأن خباب بن الأرت هو الذي قرأ له الصحيفة (١) فلو كان قارئاً؟ فلماذا لا يقرؤها بنفسه، ليتأكد من صحة الامر؟!!

الثاني: لقد روى الحافظ عبد الرزاق، بسند صحيح، حسبما يقولون هذه الرواية نفسها، ولكنه قال فيها: " فالتمس الكتف في البيت حتى وجدها، فقال حين وجدها: أما إني قد حدثت: انك لا تأكلين طعامي الذي آكل منه، ثم ضربها بالكتف فشجها شجتين. ثم خرج بالكتف حتى دعا قارئاً؟ فقرأ عليه. وكان عمر لا يكتب. فلما قرئت عليه تحرك قلبه حين سمع القرآن الخ " (٢).

ويؤيد ذلك ما عن عياض ابن أبي موسى: أن عمر بن الخطاب قال لأبي موسى: أدع لي كاتبك ليقراً لنا صحفاً جاءت من الشام. فقال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: أبه جنابة؟ قال: لا، ولكنه نصراني؟ فرفع عمر يده فضرب فخذه حتى كاد يكسرها الخ (٣). فلو كان عمر يعرف القراءة لم يحتج لكاتب أبي موسى ليقراً له الصحف التي جاءت. ولربما يعتذر عن ذلك بأن الخليفة ربما لم يكن يباشر القراءة لمركزه مع معرفته لها. أو أن الرسائل كانت بغير العربية. ولكن الظاهر هو أن هذه الأعراف والتقييدات قد حدثت في وقت متأخر، ولم يكن عمر يتقيد بها كما أن بلاد الشام كانت ولا تزال عربية اللغة، فمن البعيد أن يكتبوا له بغير العربية.

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٢ قسم ٢ ص ٩.

(٢) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٦.

(٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٤٣ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٩١ عن ابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الايمان وحياة الصحابة ج ٢ ص ٧٨٥ عن تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٨.

ويمكن أن يؤيد ذلك أيضا: بان عمر لم يكن ذا ذهنية علمية، وذلك بدليل: أنه بقي اثنتي عشرة سنة حتى تعلم سورة البقرة، فلما حفظها نحر جزورا (١).

بل لقد ورد أنه لما طلب من حفصة أن تسأل له النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " عن الكلاله، فسألته عنها؟ فأملها عليها؟ في كتب، ثم قال رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم ": " عمر أمرك بهذا؟ ما أظنه أن يفهمها " (٢).

بل لقد واجهه النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " نفسه بذلك كما رواه كثيرون (٣).

إلا أن من الممكن أن يكون عمر قد عاد فتعلم القراءة والكتابة بمشاق ومتاعب جمه، ويمكن أن يستدل على ذلك بأنه - كما روى البخاري - كان يقول: إنه لولا أن يقال: إن عمر قد زاد في كتاب الله لكتب آية الرجم بيده؟! (٤).

ومهما يكن من أمر، فإننا لسنا أول من شك في معرفة الخليفة الثاني للقراءة والكتابة، فقد كان هذا الامر موضع نقاش وشك منذ القرن الأول للهجرة، فهذا الزهري يقول: كنا عند عمر بن عبد العزيز وهو والي

(١) تاريخ عمر بن الخطاب ص ١٦٥، والدر المنثور ج ١ ص ٢١، عن الخطيب في رواة مالك، والبيهقي في شعب الايمان، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٦٦، والغدير ج ٦ ص ١٩٦ عنهم وتفسير القرطبي ج ١ ص ١٥٢ والتراتب الإدارية ج ٢ ص ٢٨٠ عن تنوير الحوالك.

(٢) المصنف للحافظ عبد الرزاق ج ١٠ ص ٣٠٥.

(٣) راجع الغدير ج ٦ ص ١١٦ عن غير واحد. وراجع ١٢٨.

(٤) راجع كتابنا: حقائق هامة حول القرآن ص ٣٤٦، فقد نقلنا ذلك عن عشرات المصادر.

المدينة ثم صارت إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبة، فقال: هل من معه به
خبر فأسأله: هل كان عمر يكتب؟.

فقال عروة: نعم كان يكتب.

فقال: بآية ماذا؟.

قال: بقوله: لولا أن يقول الناس زاد عمر في القرآن لخطت آية
الرجم بيدي.

فقال عبيد الله: هل يسمى عروة من حدثه؟.

قلت: لا.

قال عبيد الله: وإنما صار عروة يمص مص البعوضة لتملا بطنها، ولا
يرى أثرها، يسرق أحاديثنا ويكتمننا، أي أنني أنا حدثته (١).

ملاحظة:

وإذا ثبت عدم معرفته بالقراءة، أو شك في كونه كان حينئذ يقرأ
ويكتب، فمن الطبيعي أن يتطرق الشك إلى قولهم؟ إنه كان من كتاب
الوحي (٢)، فلعل ذلك كان من الأوسمة التي نحله إياها بعض من عز
عليهم أن يحرم عمر من هذا الشرف بنظرهم.
وملاحظة أخرى:

وهي أننا رأينا عمر بن الخطاب يضرب فخذ أبي موسى حتى كاد
يكسرها، لاتخاذها كاتباً نصرانياً، مع أنهم يقولون: إنه هو نفسه كان له

(١) مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ١٠.

(٢) ببحث في تاريخ القرآن وعلومه ص ١١٣ عن تاريخ القرآن للزنجاني. وفي تاريخ
اليقوبي ج ٢ ص ٨٠ ط صادر والاستيعاب بهامش الإصابة ج ١ ص ٥١، ذكرا عمر
في جملة من كان يكتب للنبي " صلى الله عليه وآله ". لكن لم يبيننا، إذا كان يكتب
الوحي، أو غيره.

مملوك نصراني لم يسلم، وكان يعرض عليه الاسلام فيأبى، حتى حضرته
الوفاة فاعتقه (١)

فما هذا التناقض في مواقف الخليفة الثاني؟! وما هو المبرر لها إلا
أن يكون اعتراضه على أبي موسى منصبا على استعانته بغير المسلم في
شؤون المسلمين العامة، وهذا غير خدمة غير المسلم للمسلم.
٤ - هل عز الاسلام بعمر حقا؟!!

وتذكر الروايات: أن الاسلام قد عز بعمر وأنه " صلى الله عليه وآله
وسلم " قد دعا الله أن يعز الاسلام به بل لقد ذهبت بعض الروايات إلى
اعتبار عمر من الجبارين في الجاهلية، حيث إنه حين أشار على أبي بكر:
أن يتألف الناس ويرفق بهم، قال له أبو بكر: " رجوت نصرك، وجئتني
بهذا لأنك جبار في الجاهلية، حوار في الاسلام الخ " (٢)..
ونحن نشك في صحة ذلك بل نجزم بعدم صحته، وذلك للأمر
التالية:

ألف: إن الاسلام إذا لم يعز بأبي طالب شيخ الأبطح، وبحمزة
أسد الله وأسد رسوله، الذي فعل برأس الشرك أبي جهل ما فعل، وإذا لم
يعز بسائر بني هاشم أصحاب العز والشرف والنجدة، فلا يمكن أن يعز
بعمر الذي كان عسيفا (أي مملوكا مستهاننا به) (٣) مع الوليد بن المغيرة إلى

(١) حلية الأولياء ج ٩ ص ٣٤، عن كنز العمال ج ٥ ص ٥٠ عن ابن سعد، وسعيد بن
منصور، وابن المنذر، وابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، والطبقات الكبرى ج ٦
ص ١٠٩ والتراتب الإدارية ج ١ ص ١٠٢ ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ
والحياة الدستورية ص ٨٥ عن تاريخ عمر لابن الجوزي ص ٨٧ و ١٤٨.
(٢) كنز العمال ج ٦ ص ٢٩٥.
(٣) راجع: أقرب الموارد، مادة: " عسف " .

الشام (١). لا سيما وأنه لم يكن في قبيلته سيد أصلا (٢)، ولم تؤثر عنه في طول حياته مع النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أية مواقف شجاعة، وحاسمة، بل لم نجد له أية مبارزة، أو عمل جرى في أي من غزواته، رغم كثرتها وتعددتها.

بل لقد رأيناه يفر في غير موضع، كأحد، وحنين وخبير حسبما صرح به الحم الغفير من أهل السير، ورواة الأثر، كما سيأتي إن شاء الله تعالى. ومن الطريف هنا ما رواه الزمخشري، من أن أنس بن مدركة كان قد أغار على سرح قريش في الجاهلية؟ فذهب به، فقال له عمر في خلافته: لقد أتبعناك تلك الليلة؟ فلو أدركناك؟. فقال: لو أدركتني لم تكن للناس خليفة (٣).

والخلاصة: انه لا يمكن أن يعز الاسلام بعمر، الذي لم يكن له عز في نفسه، ولا بعشيرته، ولا شجاعة يخاف منها.
ب - إننا سواء قلنا: إن عمر قد أسلم قبل الحصر في الشعب أو بعده، فإن الامر يبقى على حاله، لأننا لم نجد أي تفاوت في حالة المسلمين قبل وبعد إسلام عمر، ولا لمسنا أي تحول نحو الأفضل بعد إسلامه، بل رأينا: عكس ذلك هو الصحيح، فمن حصر المشركين للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم " والهاشميين في الشعب، حتى كادوا يهلكون جوعا، وحتى كانوا يأكلون ورق السمر، وأطفالهم يتضاغون جوعا. إلى تأمر على حياة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ". ثم بعد وفاة أبي طالب رحمه الله لم يستطع " صلى الله عليه وآله وسلم " دخول مكة بعد عودته من الطائف إلا بعد مصاعب جمّة، لم نجد عمر ممن

(١) المنمق، لابن حبيب ط الهند ص ١٤٦، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٨٣.

(٢) المنمق ص ١٤٧.

(٣) ربيع الأبرار ج ١ ص ٧٠٧.

ساعد على حلها. هذا كله عدا عن الاذايا الكثيرة التي كان أبو لهب يوجهها للنبي باستمرار.

ج - وفي صحيح البخاري وغيره حول اسلام عمر: عن عبد الله بن عمر قال: بينما عمر في الدار خائفا، إذ جاءه العاص بن وائل السهمي. إلى أن قال: فقال: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلونني إن أسلمت. قال: لا سبيل إليك. بعد أن قالها أمنت. ثم ذكر إرجاع العاص الناس عنه. وأضاف الذهبي قول عمر: فعجبت من عزه (١).

فمن يتهدده الناس بالقتل، ويخاف، ويختبئ في داره، فإنه لا يكون عزيزا ولا يعز الاسلام به. غير أنه هو نفسه قد ارتفع بالاسلام، وصار له شخصية وشأن، كما سنرى.

هذا عدا عن الروايات القائلة: إن أبا جهل هو الذي أجاز عمر (٢). وعلى هذا فقد كان الأجدر: أن يدعو النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بان يعز الاسلام بمن يجير عمر، والذي يعجب الناس من عزته، لا بعمر الخائف، والمختبئ في بيته.

د - والغريب هنا: أن أحد الرجلين اللذين دعا لهما النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " وهو أبو جهل يضربه حمزة رضوان ألد عليه بقوسه أمام

(١) راجع: صحيح البخاري ج ٥ ص ٦٠ / ٦١ ط مشكول، ففيه روايتان بهذا المعنى، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ١٠٤، ونسب قريش لمصعب الزبيري ص ٤٠٩، وتاريخ عمر لابن الجوزي ص ٢٦، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٢، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٣٥، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٤، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٢ وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ط دار النصر ج ٢ ص ٩.

(٢) تأريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢٤ - ٢٥ وراجع كشف الأستار ج ٣ ص ١٧١ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٤ وذكر: أن خاله هو الذي أجاز عمر وقال ابن إسحاق المراد بخاله: أبو جهل، ولم يرتض ذلك ابن الجوزي، فراجع.

الملا من قومه، فيشجعه شجة منكرة، ولا يجرؤ على الكلام، ثم يقتل في بدر في أول وقعة بين المسلمين والمشركين. والرجل الآخر وهو عمر بن الخطاب يكون على خلاف توقعات النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " ولا يستجيب الله دعاءه فيه، حيث لم يعز الاسلام به، كما رأينا. مع أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " يقول: " ما سألت - ربي - الله - شيئاً إلا أعطانيه (١) " بل لقد كانت النتيجة عكسية، حيث يذكر عبد الرزاق: (أنه لما جهر عمر بإسلامه اشتد ذلك على المشركين فعذبوا من المسلمين نفرا) (٢).

ه - لا بأس بالمقارنة بين نعيم بن عبد الله النحام العدوي. وبين عمر بن الخطاب العدوي؟ فقد أسلم نعيم قبل عمر، وكان يكتنم إسلامه، ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة، لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم.

فقالوا: " أقم عندنا على أي دين شئت، فوالله لا يتعرض إليك أحد الا ذهبت أنفسنا جميعا دونك (٣) ". ويقول عروة عن بيت نعيم هذا: " ما أقدم على هذا البيت أحد من بني عدي " (٤) أي لشرفه.

-
- (١) راجع: ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ وهامشها و ٢٧٨ وفرائد السمطين باب ٤٣ حديث ١٧٢ وكنز العمال ج ١٥ ص ١٥٠ ط ٢ عن ابن جرير، وصححه، وابن أبي عاصم، والطبراني في الأوسط. وابن شاهين في السنة، وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٣.
- (٢) راجع المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٢٨.
- (٣) أسد الغابة ج ٢ ص ٣٣ وراجع: نسب قريش لمصعب ص ٣٨٠.
- (٤) نسب قريش لمصعب ص ٣٨١.

أما عمر، فإن رسول الله أراد في الحديبية أن يرسله إلى مكة؟ ليلغ عنه رسالة إلى أشراف قريش، تتعلق بالأمر الذي جاء له؟ فرفض ذلك وقال: "إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني ا ثم أشار على النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بأن يرسل عثمان بن عفان (١).

و - لقد خطب ابن عمر بنت نعيم النحام، فرده نعيم، وقال: " لا أدع لحمي تربا " وزوجها من النعمان بن عدي بن نضلة (٢) فنعيم يربأ بابنته عن أن تتزوج بابن عمر، ويرى ذلك تضييعا لها!!.
ز - وفي زيارة عمر للشام أيام خلافته خلع عمر خفيه، ووضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، وخاض المخاضة فاعترض عليه أبو عبيدة، فاجابه عمر بقوله: " إنا كنا أذل قوم؟ فأعزنا الله بالاسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله (٣) "، وفي نص آخر عنه: " إنا قوم أعزنا الله بالاسلام، فلن نبتغي العز بغيره (٤) ".
٤ احتمال أن يكون مقصوده هو ذل العرب وعزهم لا خصوص بني عدي.

(١) راجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٧ عن ابن إسحاق، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٩٧ / ٣٩٨ عن كنز العمال ج ١ ص ٨٤ و ٥٦ و ج ٥ ص ٢٨٨ عن ابن أبي شيبه، والرويانى، وابن عساكر، وأبي يعلى، وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٤٦١ و سنن البيهقي ج ٩ ص ٢٢١.
(٢) نسب قريش لمصعب ص ٣٨٥.
(٣) مستدرك الحاكم ج ١ ص ٦١. وتلخيصه للذهبي بهامشه، وصححه على شرط الشيخين.
(٤) مستدرك الحاكم ج ١ ص ٦٢.

بعيد؟ لأنه قد عنف أبا عبيدة على مقولته تلك بأن غير أبي عبيدة لو كان قال ذلك لكان له وجه، أما أن يقوله أبو عبيدة العارف بالحال والسوابق فإنه غير مقبول منه. هذا بالإضافة إلى ما سيأتي مما يدل على ذل بني عدي، فانتظر.

ح - وقال أبو سفيان للعباس في فتح مكة، حينما كان يستعرض الألوية؟ فرأى عمر، وله زجل: " يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟ قال: عمر بن الخطاب.

قال: لقد - أمر - أمر بني عدي بعد - والله - قلة وذلة. فقال العباس: يا أبا سفيان، إن الله يرفع من يشاء بما يشاء، وإن عمر ممن رفعه الاسلام (١) ". ط - تقدم قول عوف بن عطية:

وأما إلا لأمان بنو عدي وتيم حين تزدحم الأمور فلا تشهد لهم فتیان حرب ولكن أدن من حلب وعير وفي رسالة من معاوية لزياد بن أبيه يذكر فيها أمر الخلافة يقول: " ولكن الله عز وجل أخرجها من بني هاشم وصيرها إلى بني تيم بن مرة: ثم خرجت إلى بني عدي بن كعب وليس في قريش حيان أذل منهما ولا أنذل الخ.. (٢).

ي - وقال خالد بن الوليد لعمر: " إنك ألامها حسبا. وأقلها عددا وأخملها ذكرا.. إلى أن قال له: لئيم العنصر ما لك في قريش فخر. قال

(١) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢١، وعن كنز العمال ج ٥ ص ٢٩٥، عن ابن عساكر، عن الواقدي.

(٢) كتاب سليم بن قيس ص ١٤٠.

فاسكتته خالد " (١)

٥ - غسل عمر لمس الصحيفة:

وإشكال آخر يبقى بلا جواب، وهو أنه كيف طلبت أخته منه: أن يغتسل لمس الصحيفة، مع أن غسل المشرك لا يجدي في جواز مس القرآن؟ فإن المانع هو شركه، لا حدثه، ولذلك قالت له: " إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسه إلا المطهرون " (٢)

ودعوى أن المراد هو غسل الجنابة مدفوعة أيضا، فإنهم يقولون: إن أهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة (٣) فكيف تقول له أخته: إنك لا تغتسل من الجنابة. إلا أن يكون هو نفسه لم يكن يلتزم بما كان يلتزم به قومه في الجاهلية.

ومما يدل على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة، أن أبا سفيان قد نذر أو حلف بعد رجوعه من بدر مهزوما: أن لا يمس رأسه ماء من جنابة، حتى يغزو محمدا. وكانت غزوة السويق لأجل ان يكفر عن يمينه، (٤) كما

(١) الخصال ج ٢ ص ٤٦٣.

(٢) الثقات ج ١ ص ٧٤، وراجع مصادر الرواية المتقدمة، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٦٣.

(٣) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٢٩ عن الدميري، والسهيلي وذكر الدميري: انه بقية من دين إبراهيم وإسماعيل.

قال: وفي كلام بعضهم: كانوا في الجاهلية يغتسلون من الجنابة، ويغسلون موتاهم، ويكفنونهم، ويصلون عليهم الخ.

(٤) البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٤٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥٤٠ وتاريخ

الخميس ج ١ ص ٤١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١١ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٣٩ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية) ج ٢ ص ٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٧٥.

سنرى.
ويدل على ذلك: ما يذكرونه عن صيفي بن الأسلت من أنه كان قد
ترهب في الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة (١).
٦ - نزول آية في إسلام عمر:
ويذكرون ان آية: (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من
المؤمنين) قد نزلت في هذه المناسبة حيث أسلم عمر رابع أربعين. (٢)
ولكن يعارض ذلك ما روي عن الكلبي، من أن الآية قد نزلت في
المدينة في غزوة بدر (٣).
وعن الواقدي: أنها نزلت في بني قريظة والنضير (٤).
وأیضا فان الآية في سورة الأنفال، وهي مدنية لا مكية.
وفي رواية الزهري: أن هذه الآية نزلت في الأنصار. (٥)
يضاف إلى ذلك: أن الآية مسبوقه بآيات القتال، ولم يشرع القتال
إلا في المدينة، وهي تنسجم مع تلك الآيات تمام الانسجام، فراجعها
وتأمل فيها. وهي أيضا تناسب المدينة، حيث قويت شوكة الاسلام، وعز
المؤمنون.

-
- (١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٤٧ وتاريخ الاسلام للذهبي ص ١٠٩ والسيرة
الحلبية ج ٢ ص ١٤.
(٢) راجع: الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠ عن الطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه وراجع
أيضا ما أخرجه عن البزار وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وغيرهم.
(٣) مجمع البيان ج ٤ ص ٥٥٧.
(٤) التبيان للطوسي ج ٥ ص ١٥٢.
(٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٠ عن ابن إسحاق، وابن أبي حاتم.

ملاحظات أخيرة:

وأخيرا، فإننا نذكر:

١ - أن الذي يطالع روايات إسلام عمر، يرى: أنها متناقضة تناقضا كبيرا فيما بينها.

٢ - إن بعض الروايات تذكر: أن عمر قد التقى بسعد الذي كان قد أسلم، أو بنعيم النحام، وجرى بينهما كلام؟ فأخبره بإسلام أخته، وزوجها، وأغراه بهما.

ويرد سؤال: انه إذا كان سعد مسلما، وكان نعيم قد أسلم قبل عمر سرا، فلماذا يغري عمر بأخته المسلمة وصهره؟! وإذا كان انما فعل ذلك ليصرفه عن قصد النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بالسوء؟ فلا ندري كيف يخاف من عمر على النبي وعند النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أمثال حمزة وعلي إلى تمام الأربعين رجلا؟ ولماذا لا يخاف على هذين المسلمين، وليس لهما ناصر، ولا عندهما أحد؟!.

٣ - إن قول حمزة عن عمر: " وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه " يشير إلى أنه رحمه الله لم يكن يقيم وزنا لعمر، حتى حينما يكون عمر متوشحا بالسيف، حتى يرى: ان امره سهل، وان بالامكان قتله بنفس سيفه الذي يحمله، وهذا غاية في الاستهانة بقدرات عمر، ما بعدها غاية.

٤ - لا ندري لماذا تهدد النبي عمر؟ وجبذه جبذة شديدة!!.
وكيف وصل عمر إلى النبي بهذه السهولة؟ ولماذا لقيه في الحجرة؟
ولماذا خرج المسلمون في صفين؟ وما هو فلسفة ذلك عسكريا.
وهل لم يكن عمر يعرف من هو أنقل رجل في قريش؟

ولماذا لم يكن يدنو إليه إلا شريف إلى غير ذلك من الأسئلة
الكثيرة.

وإذا كان قد خرج مع المسلمين في صفين وتهدد المشركين،
وخاف رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " حينئذ فلماذا احتاج إلى انقل
رجل للحديث في قريش؟! ولماذا ذهب إلى المسلمين متوشحا سيفه،
إلى كثير من الأسئلة التي تعلم بالمراجعة والمقارنة.
: خاتمة الطاف:

وبعد ما تقدم، فإن المراجع لروايات إسلام عمر لا يصعب عليه:
أن يكتشف بسرعة: أن ثمة محاولات للتغطية على قضية إسلام حمزة،
الذي عز به الإسلام حقا، وسر به رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم "
سرورا كثيرا. ولهذا تجد: أنهم يقرنون عمر بحمزة كثيرا في تلك
الروايات، ويحاولون إعطاءهما المواقف مناصفة، مع تخصيص عمر
بحصة الأسد فيها.

كما أن فضيلة رد الجوار التي هي لعثمان بن مظعون يحاولون
إعطاءها إلى عمر.

بل نجد في بعض الروايات: إن أهل الكتاب في الشام قد بشروا
عمر بما سوف يؤول إليه أمره في مستقبل هذا الدين الجديد (١)، كما
بشروا أبا بكر في بصرى (٢) وكما بشروا النبي " صلى الله عليه وآله
وسلم " نفسه (٣) حسب رواياتهم.

(١) راجع الرياض النضرة ج ٢ ص ٣١٩.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٧٤ / ٢٧٥ و ١٨٦ والرياض النضرة ج ١ ص ٢٢١.

(٣) قد أشرنا إلى ما يذكرونه عن دور ورقة بن نوفل في ذلك، وأثبتنا عدم صحة ذلك،
فراجع روايات بدء الوحي في الجزء الأول من هذا الكتاب.

ثم إنهم قد وجدوا في عمر العلامات التي تدعم مدعاهم (١)، كما وجدوها في أبي بكر من قبل؟! ثم كان إسلام عمر، وكانت كل الجهود موقوفة على صنع الفضائل والكرامات له!! فتبارك الله أحسن الخالقين!! ولقد قال ابن عرفة: المعروف بنفطويه إن أكثر فضائل الصحابة قد افتعلت في عهد بني أمية، إرغاماً لأنوف بني هاشم (٢)! كما أن معاوية قد أمر الناس بوضع الحديث في الخلفاء الثلاثة كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وحسبنا ما ذكرناه هنا؟ فإن فيه مقنعا وكفاية لكل من أراد الرشداً والهداية.

(١) تاريخ عمر بن الخطاب ص ٢٢.
(٢) راجع النصائح الكافية ص ٧٤ وحياة الإمام الحسن ٥ للقرشي ج ٢ ص ١٤٨ والكنى والألقاب ج ٣ ص ٢٦٢ وفجر الإسلام ص ٢١٣.

الفصل الرابع:
في شعب أبي طالب

(١٩٣)

المقاطعة:

و " لما رأَت قريش عزة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بمن معه، وعزة أصحابه في الحبشة، وفشو الاسلام في القبائل " (١).
وأن جميع جهودها في محاربة الاسلام قد باءت بالفشل. حاولت أن تقوم بتجربة جديدة، وهي الحصار الاقتصادي والاجتماعي، ضد الهاشميين، وأبي طالب؟ فاما أن يرضخوا لمطالبها في تسليم محمد لها للقتل. وإما ان يتراجع محمد " صلى الله عليه وآله وسلم " نفسه عن دعوته، وإما أن يموتوا جوعا وذلا، مع عدم ثبوت مسؤولية محددة على أحد في ذلك، يمكن أن تجر عليهم حربا أهلية، ربما لا يمكن لاحد التكهن بنتائجها، وعواقبها السيئة.

فكتبوا صحيفة تعاقدوا فيها على عدم الزواج والتزويج لبني هاشم، وبني المطلب، وأن لا يبيعوهم شيئا، ولا يبتاعوا منهم، وأن لا يجتمعوا معهم على أمر من الأمور، أو يسلموا لهم رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " ليقتلوه.

(١) سيرة مغلطاي ص ٢٣، وراجع سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٥، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٧، عن المواهب اللدنية.

وقد وقع على هذه الصحيفة أربعون رجلا من وجوه قريش،
وختموها بخواتيمهم، وعلقت الوثيقة في الكعبة مدة (ويقال: إنهم خافوا
عليها السرقة؟ فنقلوها إلى بيت أم أبي جهل) (١).
وكان ذلك في سنة سبع من البعثة على أشهر الروايات. وقيل ست.
وأمر أبو طالب بنى هاشم أن يدخلوا برسول الله " صلى الله عليه وآله
وسلم " الشعب - الذي عرف بشعب أبي طالب - ومعهم بنو المطلب بن
عبد مناف، باستثناء أبي لهب لعنه الله وأخزاه (٢). واستمروا فيه إلى السنة
العاشرة.

ووضعت قريش عليهم الرقباء حتى لا يأتيهم أحد بالطعام.
وكانوا ينفقون من أموال خديجة، وأبي طالب، حتى نفدت، حتى
اضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر. وكان صبيتهم يتضاغون جوعا،
ويسمعهم المشركون من وراء الشعب، ويتذكرون ذلك فيما بينهم،
فبعضهم يفرح، وبعضهم يتذم من ذلك. ويقولون: إنه ربما وجد فيهم
من يتعاطف مع المسلمين، وكان هذا يصدر غالبا ممن يتصل بهم نسبا،
كابن العاص بن الربيع، وحكيم بن حزام وان كنا نحن نشك في ذلك
كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ولم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبي طالب إلا في
موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة، فكانوا يشتركون
حينئذ ويبيعون ضمن ظروف صعبة جدا، حيث إن المشركين كانوا يلتقون

(١) هكذا جاء في بعض الروايات في البحار ج ١٩ ص ١٦ عن الخرائج والجرائح. ولا
يهمنا تحقيق هذا الأمر كثيرا..

(٢) وقيل: إن أبا سفيان بن الحارث أيضا لم يدخل الشعب معهم، ولكنه قول نادر.
والأكثر على الاقتصار على أب لهب لعنه الله... ولسنا هنا في صدد تحقيق ذلك..

بكل من يقدم مكة أولا، ويطمعونه بمبالغ خيالية ثمننا لسلعته، شرط أن لا يبيعها للمسلمين. وكان أبو لهب هو رائدهم في ذلك؟ فكان يوصي التجار بالمغالاة عليهم حتى لا يدركوا معهم شيئا، ويضمن لهم، ويعوضهم من ماله كل زيادة تبذل لهم. بل لقد كان المشركون يتهددون كل من يبيع المسلمين شيئا بنهب أمواله، ويحذرون كل قادم إلى مكة من التعامل معهم.

والخلاصة: أن قريشا قد قطعت عنهم الأسواق، فلا يتركون لهم طعاما يقدم مكة، ولا يبيعا إلا بادرهم إليه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " (١).
وقد استمرت هذه المحنة سنتين أو ثلاثا. وكان علي أمير المؤمنين " عليه السلام " اثناءها يأتيهم بالطعام سرا من مكة، من حيث يمكن، ولو أنهم ظفروا به لم يبقوا عليه، كما يقول الإسكافي وغيره (٢).
وكان أبو طالب رضوان الله تعالى عليه كثيرا ما يخاف على النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " البيات؟ فإذا أخذ الناس مضاجعهم، اضطجع النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " على فراشه، حتى يرى ذلك جميع من في شعب أبي طالب، فإذا نام الناس جاء واقامه، وأضجع ابنه عليا مكانه (٣).

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٤.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٦.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٥٦ و ج ١٤ ص ٦٤، الغدير ج ٧ ص ٣٥٧ / ٣٥٨ عن كتاب الحجة لابن معد.

وذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٤ من دون تصريح بالاسم. وتيسير المطالب ص ٤٩.

وثة أبيات شعر له رحمه الله مخاطبا بها ولده عليا بهذه المناسبة،
فلتراجع في مصادرها.

أموال خديجة (رض)، وسيف علي " عليه السلام " :
هنا سؤال مفاده:

إن من المعروف: أن الاسلام قد قام بسيف أمير المؤمنين " عليه
السلام "، الذي قال فيه رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " - كما سيأتي
في غزوة أحد وبدر:

لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار

وبأموال خديجة رحمها الله تعالى، التي أنفقتها في سبيل الله
سبحانه فما معنى هذا الكلام وما الذي يرمي إليه؟! فهل معنى ذلك: أن
خديجة كانت ترشو الناس من أجل أن يدخلوا في الاسلام؟
وهل يمكن العثور على مورد واحد من هذا القبيل في التاريخ؟!
لعلك تقول: إن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " كان يتألف
كثيرين على الاسلام، فيعطيهم الأموال ترغيبا لهم في ذلك. وقضية غنائم
حنين الآتية إن شاء الله أوضح دليل على ذلك، ولا يجهل أحد سهم
المؤلفة قلوبهم في الاسلام.

والجواب: أن هذا الذي ذكر ليس معناه: أنهم كانوا يأخذون
الرشوة على الاسلام، وإنما يريد الاسلام لهؤلاء أن يعيشوا في الأجواء
الاسلامية، ويتفاعلوا معها، وينظروا لها نظرة سليمة، ومن دون وجود أية
حواجز نفسية، أو سياسية، أو اجتماعية فكان هذا المال المعطى لهم
يساعد على التغلب على تلك الحواجز الوهمية في أكثرها، ويجعلهم
يعيشون في الأجواء والمناخات الاسلامية، ويتعرفون على خصائص

الاسلام وأهدافه. ولتحصل لهم من ثم القناعات الوجدانية والفكرية بأحقية الاسلام، وسمو أهدافه.

كما أن من هؤلاء من يرى: أن هذا الدين قد حرمة من المال والثروة والامتيازات التي يحبها، فلماذا لا يدبر في الخفاء ما يزيح هذا الكابوس الخانق، والمضر بمصالحه؟ فإذا أعطي المال، وأفهم أن الاسلام ليس عدوا للمال: " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبات من الرزق " (١) فإنه يمكن اقناعه حينئذ بان هدف الاسلام ليس إلا التركيز على انسانية الانسان، واعتبارها المقياس الحقيقي له، لا المال، ولا القوة ولا الجمال، ولا الجاه، ولا غير ذلك. وأنه يهدف إلى تنظيم حياة هذا الانسان في هذا الخط، ليكون سعيدا في الدنيا والآخرة على حد سواء.

واما أموال خديجة؟ فلم تكن تعطى كرشوة على الاسلام، ولا كانت تنفق على المؤلفة قلوبهم. وانما كانت تسد رمق ذلك المسلم، الذي يعاني أعظم المشاق والآلام، في سبيل اسلامه وعقيدته، هذا المسلم الذي لم تتورع قريش عن محاربتة بكل ما تملكه من أسلحة لا انسانية ولا أخلاقية، حتى بالفقر والجوع، فكانت تلك الأموال تسد رمق من يتعرض للأخطار الكبيرة، وتخدم الاسلام عن هذا الطريق. وهذا معنى قولهم: ان الاسلام قام بأموال خديجة.

وملاحظة لا بد منها، وهي ان أموال خديجة التي أنفقت في المقاطعة، كانت في غالبها من النوع الذي يمكن الانتفاع به في سد رمق الجائع. وكسوة العاري، واما ما سواه؟ فلربما لم يتعرض لذلك؟ بسبب عدم القدرة على البيع والشراء في غالب الأحيان.

(١) الأعراف الآية / ٣٢.

ونشير أحياء، إلى أن مكة مهما عظمت الثروة فيها، فإنها لا تخرج عن كونها محدودة الامكانيات، تبعاً لموقعها، وحجمها؟ لأنها لم تكن مدينة كبيرة جداً، بل كانت بلداً كبيراً بالنسبة إلى القرية، ولذا جاء التعبير عنها في القرآن بـ " أم القرى " وثروة في بلد كهذا تبقى دائماً محدودة، تبعاً لمحدوديته، وقدراته، وامكانياته.

حكيم بن حزام وعواطفه تجاه المسلمين:

قد تقدم انهم يذكرون حكيم بن حزام في جملة من كان يرسل الطعام سرا إلى المسلمين في شعب أبي طالب روى ذلك ابن إسحاق وغيره. (١).

ولكننا بدورنا نشك في ذلك، فإن حكيم بن حزام كان من القوم الذين انتدبتهم قريش لقتل رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " ليلة الغار، وباتوا على باب النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " يرصدونه بانتظار ساعة الصفر (٢) وقد رد الله كيدهم إلى نحورهم. أضف إلى ذلك: أنه كان يحتكر جميع الطعام الذي كان يأتي إلى المدينة على عهد رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " (٣). وكان من المؤلفة قلوبهم (٤).

ومن كانت له نفسية كهذه، فإنه يصعب عليه جود كهذا، خصوصاً

(١) راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٩ وغير ذلك من كتب السيرة.

(٢) البحار ج ١٩ ص ٣١ ومجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٧.

(٣) دعائم الإسلام ج ٢ ص ٣٥ والتوحيد للصدوق ص ٣٨٩ والوسائل ج ١٢ ص ٣١٦ والكافي ج ٥ ص ١٦٥ والتهذيب للطوسي ج ٧ ص ١٦٥ ومن لا يحضره

الفقيه ج ٣ ص ٢٦٦ ط جماعة المدرسين والاستبصار ج ٣ ص ١٥.

(٤) نسب قريش ص ٢٣١.

إذا كان معه تعريض نفسه لخطر العداء مع قريش. إلا أن يكون يمارس ذلك بروحه الاحتكارية التجارية؟ فيبيع المسلمون الطعام باغلى الأثمان. فيعرض نفسه لهذه الاخطار حبا بالمال.

ويكون حبه للمال، وتفانيه في سبيله هو الذي يسهل عليه كل عسير، ويذل له ركوب كل صعب وخطير.

أضف إلى ذلك: أنه سوف يأتي حين الكلام على اسلام أبي طالب حين الكلام على رده " صلى الله عليه وآله وسلم " هدية ملاعب الأسنة: أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، قد رد هديته وهدية غيره، لأنها هدية من مشرك.

فلا يعقل: أن يقبلها الان، وبردها بعد ذلك. وإلا لاعترضوا عليه بقبوله لها قبل الان.

إلا أن يدعى: ان ابن حزام إنما كان يعطي الأطفال والنساء، وغيرهم من بني هاشم المحصورين في الشعب، وهؤلاء كانوا يقبلون ذلك منه، وإن كان النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لم يكن يقبل. فتبقى ملاحظة: انه قد يكون انما يأتيهم بالطعام لبيعهم إياه باغلى الأثمان لا دافع لها.

ومن ذلك كله يظهر أيضا: أنه لا يمكن الاطمئنان، ولا قبول قولهم: إن أبا العاص بن الربيع كان يفعل مثل ذلك آنئذ.

ونحن لا نستبعد: أن يكون للزبيرين يد في تسجيل هذه الفضيلة لحكيم بن حزام، لا سيما وأنه كان من تلكا عن بيعة أمير المؤمنين " عليه السلام "، وكان عثمانيا متصليا (١). وقد أشرنا إلى ذلك حين الكلام حول

(١) قاموس الرجال ج ٣ ص ٣٨٧.

ولادة أمير المؤمنين " عليه السلام " في الكعبة، وحين الكلام عن افتعال الأكاذيب في موضوع الوحي وكيفياته.
انشقاق القمر:

وفي السنة الثامنة من البعثة، حينما كان المسلمون محصورين في شعب أبي طالب، كانت قضية انشقاق القمر (١).
وقد جاء في الروايات الكثيرة: من قريشا سألوا رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " أن يريهم آية، فدعا الله فانشق القمر نصفين حتى نظروا إليه ثم التأم؟ فقالوا: هذا سحر مستمر، فأنزل الله تعالى: اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (٢).
وفي رواية: أنهم قالوا: انتظروا ما يأتيكم به السفار؟ فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فجاء السفار، فسألوهم، فقالوا: نعم رأيناه، فأنزل الله: اقتربت الساعة وانشق القمر (٣).
ونقل عن السيد الشريف في شرح المواقف، وعن ابن السبكي في شرح المختصر: أن الحديث متواتر لا يمتري في تواتره عند أهل السنة (٤).

وأما عند غيرهم، فيقول العلامة البحائة السيد الطباطبائي أيده الله: " ورد انشقاق القمر لرسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " في روايات الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كثيرا، وقد تسلمه

(١) تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٢ و ٦٤.

(٢) سورة القمر / أو ٢.

(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ١٣٣ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في دلائلهم، ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٢٢.

(٤) تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٠.

محدثوهم، والعلماء من غير توقف (١) " ولكن على أية حال.. لا يمكن أن تعتبر هذه المسألة من ضروريات الدين، كما أشار إليه بعض الاعلام (٢).
شبهة، وحلها:

يقول العلامة الطباطبائي: " واعترض عليها: بأن صدور المعجزة منه " صلى الله عليه وآله وسلم " باقتراح من الناس، ينافي قوله تعالى: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها، وما نرسل بالآيات إلا تخويفا " (٣).
فمفاد هذه الآية، إما أنا لا نرسل بالآيات إلى هذه الأمة أصلا، لان الأمم السابقة كذبوا بها، وهؤلاء يماثلونهم في طباعهم؟ فيكذبون بها، ولا فائدة في الارسال مع عدم ترتب الأثر عليه. أو المفاد؟ أنا لا نرسل بها، لأننا أرسلنا إلى أوليهم فكذبوا بها؟ فعذبوا بها، وأهلكوا. ولو أرسلنا إلى هؤلاء لكذبوا بها، وعذبوا عذاب الاستئصال، لكننا لا نريد أن نعاجلهم بالعذاب. وعلى أي حال لا يرسل بالآيات إلى هذه الأمة، كما كانت ترسل إلى الأمم الدارجة.

نعم، هذا في الآيات المرسلة باقتراح الناس، دون الآيات التي تؤيد بها الرسالة، كالقرآن المؤيد لرسالة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وكآيتي العصا، واليد لموسى " عليه السلام "، وآية احياء الموتى وغيرها لعيسى " عليه السلام "، وكذا الآيات النازلة لطفًا منه سبحانه،

(١) تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦١ وراجع باب المعجزات السماوية في البحار، ج ١٧ ص ٣٤٨ - ٣٥٩.
(٢) راجع: همه بآيد بدانند (فارسي) ص ٧٥.
(٣) الا سراء / ٥٩.

كالخوارق الصادرة عن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، لا عن اقتراح منهم الخ.

ثم أجاب أيده الله بما ملخصه: أن تكذيبهم بآية انشقاق القمر كان يستدعي العذاب، لأنها آية اقتراحية منهم، وما كان الله ليهلك جميع من أرسل نبيه إليهم، وهم أهل الأرض جميعا إلا بعد إتمام الحجّة عليهم، ولم تتم الحجّة بعد على جميع الناس ثم كذبوه، ثم طلبوا الآية. بل تمت الحجّة على بعض الافراد من الذين كانوا يعيشون في مكة، لأن هذه الآية كانت قبل الهجرة بخمس سنين هذا بالإضافة إلى أنه ما كان الله ليهلك جميع أهل مكة ومن حولها، لان فيهم جمعا كبيرا من المسلمين، قال تعالى: (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم، فتصيبكم منهم معرفة بغير علم، ليدخل الله في رحمته من يشاء، لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) (١).

ولم يتزيل المشركون عن المسلمين، ولا امتازوا عنهم. كما أنه إذا كان الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " بينهم فإنه لا يعذبهم. قال تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) (٢) وما كان الله لينجي المؤمنين، ويهلك الكفار بعد ان آمن جمع كثير منهم فيما بين سنة ثمان من البعثة، وثمان من الهجرة، ثم أسلم عامتهم يوم الفتح. والاسلام يكتفي فيه بظاهره.

وأیضا، فان عامة أهل مكة ومن حولها لم يكونوا أهل جحود وعناد، وإنما كان ذلك في عظمائهم وصناديدهم، الذين كانوا يستهزؤون به " صلى الله عليه وآله وسلم "، ويعذبون المؤمنين.

(١) الفتح / ٢٥.

(٢) الأنفال / ٣٣.

والآيات التي تبين أنهم لكونهم يصدون على المسجد الحرام، ولكونهم يستفزون " صلى الله عليه وآله وسلم " من الأرض ليخرجوه منها. سوف ينشأ عنه أنهم لا يلبثون خلافه إلا قليلا، وليذوقوا العذاب بما كانوا يكفرون (١) - هذه الآيات - قد تحقق مضمونها بما أصابهم يوم بدر من القتل الذريع.

فقوله تعالى: (وما منعنا أن نرسل بالآيات الخ..). إنما يفيد الامسآك عن إرسال الآيات ما دام النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " فيهم، واما إرسالها وتأخير العذاب إلى حين خروجه من بينهم فلا دلالة فيه عليه. وقوله تعالى (وقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) - إلى أن قال - : (قل: سبحان ربي إلا بشرا رسولا (٢)). لا يدل على نفي تأييد النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بالآيات المعجزة، وانكار نزولها من الأساس. وإلا فان جميع الأنبياء كانوا بشرا. ومعنى الآية: أنه من حيث هو بشر فإنه لا يقدر على ذلك. وانما الامر إلى الله تعالى فهو الذي يأتي بالآيات في الحقيقة (٣). ويقول البعض: إن آية: (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) لعلها ناظرة إلى أن دعوة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " ليست معتمدة على الآيات، التي هي من قبيل ناقة ثمود، وآيات موسى " عليه السلام "، بل هي تعتمد بالدرجة الأولى على الاقناع، وإقامة الحجة العقلية كدعوة إبراهيم، وذلك لا ينافي صدور بعض الآيات في الموارد التي لا تنفع فيها الحجج العقلية، والبراهين القطعية.

(١) راجع الاسراء / ٧٦ والأنفال / ٣٥.

(٢) الاسراء / ٩٣.

(٣) راجع فيما تقدم: تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٠ - ٦٤.

انشقاق القمر، الحدث الكبير
وأوردوا على انشقاق القمر، بأنه لو انشق - كما يقال - لراه جميع
الناس، ولضبطه أهل الأرصاد في الغرب والشرق، لكونه من أعجب
الآيات السماوية، والدواعي متوفرة على استماعه ونقله.
وأجب:

أولاً: إن من الممكن أن يغفل عنه، فلا دليل على كون كل حادث
أرضي أو سماوي معلوما للناس، محفوظاً عندهم، يرثه خلف عن
سلف (١).

وأوضح ذلك بعض الاعلام بما حاصله:

إنه لا بد من ملاحظة الأمور التالية

- ١ - إن هذا الانشقاق قد حصل في نصف الكرة الأرضية، حيث
يوجد الليل دون النصف الآخر، حيث يوجد النهار.
- ٢ - وفي هذا النصف لا يلتفت أكثر الناس إلى ما يحصل في
الاجرام السماوية إذا كان ذلك بعد نصف الليل، حيث الكل نائمون،
فإنهم جميعاً لا يلتفتون إلى ذلك.
- ٣ - ولربما يكون في بعض المناطق سحب يمنع من رؤية القمر.
- ٤ - والحوادث السماوية إنما تلفت النظر لو كانت مصحوبة
بصوت كالرعد، أو باثر غير عادي كقلة نور الشمس في الكسوف، إذا
كان لمدة طويلة نسبياً.
- ٥ - هذا كله عدا عن أن السابقين لم يكن لهم اهتمام كبير
بالسمااء ومراقبة ما يحدث لاجرامها.

(١) تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٤.

٦ - ولم يكن ثمة وسائل إعلام تنقل الخبر من أقص الأرض إلى أقصاها بسرعة مذهلة؟ لتوجه الانظار إلى ما يحدث.

٧ - والتاريخ الموجود بين أيدينا ناقص جدا، فكم كان في تلك المئات والآلاف من السنين الخالية من كوارث وزلازل، وسيول عظيمة أهلكت طوائف وأمما، وليس لها مع ذلك في التاريخ أثر يذكر. بل إن زرادشت وقد ظهر في دولة عظيمة، وله أثر كبير على الشعوب على مدى التاريخ، لا يعرف حتى أين ولد ومات ودفن، بل ويشك البعض في كونه شخصية حقيقية، أو وهمية.

وبعد ما تقدم: يتضح أنه لا يجب أن يعرف الناس بانشقاق القمر، ولا أن يضبطه التاريخ بشكل واضح (١) كما هو معلوم. وثانيا: لم يكن في المنطقة العربية وغيرها مرصد للأوضاع السماوية، وإنما كانت المراصد موجودة في المشرق والمغرب لدى الروم واليونان، وغيرهما. ولم يثبت وجود مرصد في هذا الوقت. على أن بلاد الغرب، الذين كانوا معتنين بهذا الشأن بينها وبين مكة من اختلاف الأفق ما يوجب فصلا زمانيا معتدا به. وقد كان القمر على ما في بعض الروايات بدرا قد انشق حين طلوعه، ودام مدة يسيرة، ثم التأم، فيقع طلوعه في بلاد المغرب وهو ملتئم ثانيا (٢).
امكان الانشقاقي والالتيام علميا:

ويبقى هنا سؤال. وهو أنه هل يمكن علميا الانشقاق في الاجرام السماوية؟، وإذا أمكن الانشقاق، فإنما يمكن ببطلان التجاذب بين الشقتين حينئذ؟ فيستحيل الالتيام بعد الانشقاق.

(١) همه بأيد بدانند (فارسي) ص ٩٤ للعلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

(٢) تفسير الميزان ج ١٩ ص ٦٥ / ٦٤.

وأجيب عنه: بان خرق العادة بقدره الله سبحانه ليس محالاً. كما أن العلماء يقولون: إنه قد حدثت انشقاقات كثيرة في الاجرام السماوية؟ بسبب عوامل خاصة، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - ان ثمة حوالي خمسة آلاف من القطع الكبيرة والصغيرة التي تدور حول الشمس ويعتقد العلماء انها بقايا إحدى السيارات التي كانت بين مداري المريخ، والمشتري، ثم انفجرت لأسباب مجهولة وتحولت إلى قطع متفاوتة الاحجام في مدارات حول الشمس.

٢ - ويقولون: إن الشهب هي أحجار صغيرة تسير بسرعة مذهلة في مدار حول الشمس. وربما تتقاطع مع الأرض أحياناً، فتجذبها الأرض، فتصطدم بالجو الأرضي فتشتعل ثم تتلاشى. ويقول العلماء: انها بقايا نجوم انفجرت وتشققت بهذا النحو.

٣ - والمنظومة الشمسية أيضاً يقال - حسب نظرية لابلاس - : إنها كانت في الأصل قطعة واحدة، ثم انفجرت، لسبب غير معلوم فصارت على هذا النحو.

فلماذا لا ينشق القمر بسبب قاهر وهو القدرة الإلهية، حيث إن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " قد دعا الله فاستجاب له.؟ ولم يدع أحد أنه ينشق بلا سبب أصلاً.

وأما عودته إلى الائتيام بعد ذلك. فقد قال العلماء: إن كل جرم كبير له جاذبية. ولذلك نجد أن الشمس كثيراً ما تجذب بعض القطعات التي تدور حولها.

فتتحول تلك القطع بفعل الصدمة والاحتكاك إلى لهب متلاش. اذن، فما دام كل من شقي القمر قريباً إلى الآخر، وبعد رفع تأثير القوة المانعة من تأثير الجاذبية، فلماذا لا يشد كل من النصفين النصف الآخر

إلى نفسه، ليعودا كما كانا، وأي محذور عقلي في ذلك (١).
وقد أوجز العلامة الطباطبائي الإجابة عن سؤال امتناع لالتيام لعدم
الجاذبية، فقال: إن الاستحالة العقلية ممنوعة، والاستحالة العادية،
بمعنى اختراق العادة، لو منعت عن الالتيام بعد الانشقاق، لمنعت أولاً
عن الانشقاق بعد الالتيام ولم تمنع. وأصل الكلام مبني على خرق
العادة (٢).

دلالة الآية القرآنية على ذلك:

ويحتمل البعض: أن يكون قوله تعالى: (اقتربت الساعة وانشق
القمر) ناظراً إلى المستقبل، وأنه من أشرط الساعة، كتكوير الشمس،
وانكدار النجوم.

وأجيب عنه بما حاصله:

أولاً: إن ظاهر قوله تعالى: (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا: سحر
مستمر) هو أن جماعة من مخالفي النبي لا يؤمنون بالآيات وكلما جاءتهم
آية يزيد عنادهم واستكبارهم، ويعتبرونها من السحر. مما يدل على أنه قد
جرى له " صلى الله عليه وآله وسلم " معهم في قصة انشقاق القمر مثل
ذلك.

ثانياً: إن جملة " انشق " فعل ماض، ولا يراد الاستقبال من الفعل
الماضي إلا بقرينة، وهي غير موجودة. بل الموجود خلافه؟ فقد قال
الرازي: " المفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق، ودلت
الاخبار الصحاح عليه " (٣) - وإن كان الطبرسي وابن شهر آشوب يستثنيان:

(١) كتاب: همه بآيد بدانند ص ٨٤ - ٩٠.

(٢) تفسير الميزان ص ١٩ - ٦٥.

(٣) التفسير الكبير للرازي ج ٢٨ ص ٢٩.

عطاء، والحسن والبلخي (١). ثم قال: الطبرسي: وهذا لا يصح، لان المسلمين أجمعوا على ذلك، فلا يعتد بخلاف من خالف فيه (٢). وان قيل: إن اقتران جملة: اقتربت الساعة: بجملة: وانشق القمر، يوحي بأن زمانهما واحد.

فالجواب هو: ان كثيرا من الآيات تؤكد على أن الساعة قد قرب وقتها، فلم الغفلة؟، قال تعالى: (اقترب للناس حسابهم، وهم في غفلة معرضون) (٣). وينقل عنه " صلى الله عليه وآله وسلم " أنه قال: " بعثت انا والساعة كهاتين " (٤) وأشار إلى إصبعيه. " والظاهر: أن ذلك بملاحظة مجموع عمر الدنيا الطويل جدا، حتى ليصح أن يقال: إن هذا الفاصل الزمني بين بعثته " صلى الله عليه وآله وسلم " وقيام الساعة ليس بشيء ". وبعد هذا.. فان مفاد الآية يكون: ان الساعة قد اقتربت، وهذه الآية المعجزة قد ظهرت للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم ". ولكن هؤلاء المشركين المستكبرين لا يؤمنون، ولا يصدقون. بل يقولون: سحر مستمر (٥).

ولكن بعض المحققين يقول: (أن قوله تعالى: أو إن يروا آية الخ..) جملة شرطية، لا دلالة فيها على وقوع ذلك. وجملة " انشق القمر " مساقها مساق قوله تعالى: أتى أمر الله؟ فلا تستعجلوه، فإنها جملة

(١) مجمع البيان ج ٩ ص ١٨٦ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٢٢.

(٢) مجمع البيان ج ٩ ص ١٨٦.

(٣) الأنبياء / ١.

(٤) نقله في مفتاح كنوز السنة ص ٢٢٧ عن البخاري، ومسلم، وابن ماجه والطيالسي، وأحمد، والترمذي والدارمي، فراجع.

(٥) راجع في كل ما ذكرناه في. دلالة الآية كتاب: همه بأيدي بداند (فارسي) ص ٧٦ - ٨٠.

فعلية ماضوية. ولكن الامر لم يأت بعد بقرينة قوله: (فلا تستعجلوه). وكذا الحال في قوله تعالى: (وانشق القمر) بملاحظة قوله تعالى: (وإن يروا إلخ). والمراد بيان حالهم لو وقع لهم أمر كهذا. وأما الاجماع الذي أدعاه الطبرسي؟ فلا حجية فيه، إذ من المحتمل أن يكون منشؤه الفهم الخاطئ للآية. انتهى كلامه.

ونقول نحن: إن هذا الكلام له وجه، لو لم يكن لدينا أخبار صحيحة تدل على وقوع انشقاق القمر.

الأساطير:

هذا، وقد لعبت الأهواء والأساطير في قضية شق القمر، حتى لقد شاع على ألسنة الناس: أن أحد شق القمر قد مر من كم النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ". فيقول العلامة ناصر مكارم: إن هذا الكلام ليس له في كتب الحديث والتفسير عين ولا أثر، سواء عند السنة، أو عند الشيعة. وثمة تفاصيل وخصوصيات تذكر في بعض الروايات لا نرى في تحقيق الحق فيها كبير نفع، ولا جليل أثر؟ ولذا فنحن نعرض عنها إلى ما هو أهم، ونفعه أعم. نقض الصحيفة:

وبعد ثلاث سنوات تقريبا من حصر المسلمين في شعب أبي طالب، أخبر النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " عمه أبا طالب بان الأرضة قد اكلت كل ما في صحيفتهم من ظلم وقطيعة رحم ولم يبق فيها إلا ما كان اسما لله (وفي نص آخر: انها قد اكلت كل اسم لله تعالى فيها، ولم تبق إلا كل ظلم وشر، وقطيعة رحم. (١)).

(١) ولربما يقال: إن استمرار قريش على عداته " صلى الله عليه وآله "، إلى حين نقض الصحيفة، يدل على أن الأرضة إنما محت اسم الله تعالى. وابتقت قطيعة الرحم وسائر المواد التي اتفقوا عليها. وقد استبعد ذلك بان أكل الأرضة لاسم الله بعيد. فلعلهم التزموا بمضمونها وإن كانت قد محيت، أو أنهم أعادوا كتابتها. ولربما يرد على ذلك بان الأرضة إنما محت اسم الله عنها تنزيها له عن أن يكون في صحيفة ظالمة كهذه وهذا إعجاز مطلوب وراجح من أجل اظهار الحق، وليس في ذلك إهانة.

فخرج أبو طالب من شعبه، ومعه بنو هاشم إلى قريش، فقال المشركون: الجوع أخرجهم. وقالوا له: يا أبا طالب، قد آن لك أن تصالح قومك. قال: قد جئتم بخير، ابعثوا إلى صحيفتكم، لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح فيها.

فبعثوا، فأتوا بها. فلما وضعت وعليها أختامهم. قال لهم أبو طالب: هل تنكرون منها شيئاً؟ قالوا: لا.

قال: إن ابن أخي حدثني ولم يكذبني قط: أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الأرضية، فأكلت كل قطيعة وإثم، وتركت كل اسم هو لله؟ فإن كان صادقاً أقلعتم عن ظلمنا، وإن يكن كاذباً ندفعه إليكم فقتلتموه. فصاح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ففتحت، ثم أخرجت، فإذا هي كما قال " صلى الله عليه وآله وسلم ": فكبر المسلمون، وامتفعت وجوه المشركين. فقال أبو طالب: أتبين لكم: أينما أولى بالسحر والكهانة؟ فأسلم يومئذ عالم من الناس.

ولكن المشركين لم يقنعوا بذلك، بل استمروا على العمل بمضمون

الصحيفة، حتى قام جماعة منهم بالعمل على نقضها، ويذكرون منهم: هشام بن عمرو بن ربيعة، وزهير بن أمية بن المغيرة، والمطعم بن عدي، وأبا البختری بن هشام، وزمعة بن الأسود، وكلهم له رحم ببني هاشم والمطلب. وتكلموا في نقضها؟ فعارضهم أبو جهل فلم يلتفتوا إلى معارضته، ومزقت الصحيفة، وبطل مفعولها. وخرج الهاشميون حينئذ من شعب أبي طالب رضوان الله تعالى عليه (١).

حنكة أبي طالب، وإيمانه:

إن المطالع لاحداث ما قبل الهجرة النبوية الشريفة ليجد عشرات الشواهد الدالة على حنكة أبي طالب " عليه السلام ". وخير شاهد نسوقه الان على ذلك، هو ما ذكرناه آنفا، حيث رأيناه يطلب منهم أن يحضروا صحيفتهم، ويمزج ذلك بالتعريض بإمكان أن يكون ثمة صلح في ما بينهم وبينه. وما ذلك إلا من أجل أن لا تفتح الصحيفة إلا علنا، يراها كل أحد، وأيضا، حتى يهيئهم للمفاجأة الكبرى، ويمهد السبيل أمام طرح الخيار المنطقي عليهم، ليسهل عليهم تقبله، ثم الالتزام به.

ولا سيما إذا استطاع أن ينتزع منهم وعدا بما يريد، ويضعهم أمام شرف الكلمة، وعلى محك قواعد النبل واحترام الذات، حسب المعايير التي كانوا يتعاملون على أساسها.. وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد،

(١) راجع فيما تقدم: السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٦ ودلائل النبوة ط دار الكتب ج ٢ ص ٣١٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٨٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٣٧ و ١٣٨ ط دار المعرفة وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣١ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٥ و ٨٦.

حتى ليصيح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.
ثم تبرز لنا من النصوص المتقدمة حقيقة أخرى، لها أهميتها
وانعكاساتها، وهي تدل مدى ثقة أبي طالب بصدق النبي الأعظم " صلى
الله عليه وآله وسلم "، وبسداد أمره، وواقعية ما جاء به. حتى لقد كان
يتألم جدا من اتهام ابن أخيه بالسحر والكهانة، ويعتبر ذلك افتراء ظاهرا،
ويغتتم الفرصة السانحة للتعبير عن خطل رأيهم، وسفه أحلامهم، فيقول
لهم: " اتبين لكم: أينأ أولى بالسحر والكهانة؟ ". وكانت النتيجة: أن
أسلم بسبب هذه المعجزة يومئذ عالم من الناس.
القبيلية وأثارها:

وقد لاحظنا فيما سبق: أن القبيلية قد ساعدت إلى حد ما في منع
الكثير من الاحداث التي تؤثر مستقبليا على الدعوة ونجاحها. وليكن ما قام
به هؤلاء الذين عملوا على نقض الصحيفة هو أحد الشواهد على ذلك.
ولكن الذي يلفت نظرنا هو أننا لا نرى أبا لهب فيمن قام في ذلك أو ساعد
عليه.

كما أننا لا نجد اثرا لابن عم خديجة حكيم بن حزام، الذي تدعي
الروايات!! أنه كان يرسل الطعام لهم وهم محصورون في الشعب.
وأیضا لا نجد مكانا لأبي العاص بن الربيع الأموي (!!)، الذي
سوف يأتي حين الكلام على أسطورة تزويج علي (١) بينت أبي جهل أنهم
يدعون (!!): ان النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أثنى على صهره!!
تعريضا بعلي الذي لم يكن يستحق إلا التقريع والتعريض (!!). علي
الذي كان يخاطر بنفسه، ويأتي لهم بالطعام من مكة، ولو وجدوه لقتلوه،
كما تقدم.

ما بعد نقض الصحيفة:

واستمر الرسول الأكرم " صلى الله عليه وآله وسلم " يعمل على نشر دينه، وأداء رسالته، واستمرت قريش تضع في طريقه العراقيل، وتحاول أن تمنع الناس من الاجتماع به، والاستماع إليه، بكل الوسائل التي تقع تحت اختيارها.

والنبي " صلى الله عليه وآله وسلم " يتحمل ويصبر. لا يكل ولا يمل. ولم تفلح قريش في ذلك، ولا وصلت إلى نتيجة. والاحداث التي في هذا السبيل كثيرة، لو أردنا استقصاءها لطلال بنا المقام. ولا محيص لنا عن تجاوزها إلى غيرها، وإن كان يعز ذلك علينا. وفد من الحبشة:

وقدم على النبي الأعظم الأكرم " صلى الله عليه وآله وسلم " أول وفد من خارج مكة، وبالذات، من الحبشة، ومن النصارى، وقيل: من نجران. وكان يتألف - على قول ابن إسحاق وغيره - من عشرين رجلا، وقيل غير ذلك. وكان على رأس الوفد جعفر بن أبي طالب رحمه الله (١). فوجدوا النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " في المسجد؟ فكلموه، وسألوه، ورجال من قريش في أندية حول الكعبة، وبعد دعوة الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " لهم إلى الاسلام آمنوا وصدقوا.

فلما قاموا، اعترضهم أبو جهل، وعنفهم على اسلامهم، وتركهم دينهم؟ فقالوا: سلام عليكم، لانجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نال أنفسنا خيرا؟ فأنزل الله تعالى: " الذين آتيناهم الكتاب من

(١) كذا قال البوطي في فقه السيرة ص ١٢٦ ومجمع البيان ج ٧ ص ٢٥٨ ويفهم منه أنهم قدموا مع جعفر حين قدومه نهائيا عام خيبر.

قبله، هم به يؤمنون، إلى قوله تعالى: إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، وقالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين (١) ". وكانت هذه - بطبيعة الحال - ضربة قاسية لقريش وكبرياتها، وخططها وأهدافها. وخصوصا إذا كان ذلك الوفد قد جاء من الحبشة، وبالأخص بقيادة جعفر " عليه السلام "؟ فان ذلك يعني: أن الدعوة قد بدأت تأخذ طريقها إلى القلوب في مناطق لا تخضع لقريش، وسلطانها، ونفوذها.

كما أنه إنذار لها بلزوم التحرك بسرعة قبل أن يفوت الاوان، ولكن كيف؟ وأنى؟. وهذا أبو طالب، ومعه الهاشميون والمطلبون ممنعون محمدا ويحوظونه. فلا بد إذن من الانتظار.

في مواقف أبي طالب:

وكان أبو طالب شيخ الأبطح " عليه السلام " هو الذي حامى وناصر النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وحدث عليه منذ طفولته، وحتى الان: فقد نصره بيده ولسانه، وواجه المصاعب الكبيرة، والمشاق العظيمة، في سبيل الدفع عنه، والذود عن دينه ورسالته، واعطائها الفرصة للتوسع والانتشار، ما وجدت إلى ذلك سبيلا.

وهو أيضا الذي كان يقدمه على أولاده جميعا، وقد ارجعه بنفسه من بصرى إلى مكة عندما حذره بحيرا من اليهود عليه " صلى الله عليه وآله وسلم " .

نعم، وهو الذي رضي بعداء قريش له، وبمعاناة الجوع والفقر،

(١) الآية في سورة القصص من آية ٥٢ حتى آية ٥٥، وراجع الحديث في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢، وتفسير ابن كثير، والقرطبي، والنيشابوري في تفسير الآيات، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٨٢.

والنبذ الاجتماعي، ورأى الأطفال يتضاغون جوعاً، حتى اقتاتوا ورق
الشجر، بل لقد عبر صراحة: عن انه على استعداد لان يخوض حرباً
طاحنة، تأكل الأخضر واليابس، ولا يسلم محمدا لهم، ولا يمنعه من
الدعوة إلى الله، بل هو لا يطلب منه ذلك على الأقل.
وهو الذي يقف ذلك الموقف العظيم من جبابرة قريش وفراعنتها،
حينما جاءه النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " - وقد أَلقت عليه قريش سلا
ناقة - فآخذ رحمه الله السيف، وأمر حمزة بن يأخذ السلا، وتوجه إلى
القوم، فلما رأوه مقبلاً عرفوا الشر في وجهه، ثم أمر حمزة ان يُلطخ
سبالهم، واحدا واحدا، ففعل. (١)

وفي نص آخر: انه نادى قومه، وأمرهم بان يأخذوا سلاحهم؟ فلما
رآه المشركون أرادوا التفرق؟ فقال لهم: " ورب البنية، لا يقوم منكم أحد
الا جللته بالسيف، ثم وجأ أنف من فعل بالنبي ذلك حتى أدمأها - وفاعل
ذلك هو ابن الزبعرى - وأمر بالفرت والدم على لحاهم. (٢)
وفي الشعب كان يحرس النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بنفسه
وينقله من مكان إلى آخر. ويجعل ولده علياً " عليه السلام " في موضع
النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، حتى إذا كان أمر أصيب ولده دونه وقد
خاطب رحمه الله في هذه المناسبة علياً " عليه السلام " بأبيات معبرة،

(١) الكافي نشر مكتبة الصدوق ج ١ ص ٤٤٩ ومنية الراغب ص ٧٥ وراجع السيرة
الحلبية ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٢ والسيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش الحلبية ج ١
ص ٢٠٢ و ٢٠٨ و ٢٣١ والبحار ج ١٨ ص ٢٥٩.
(٢) راجع: الغدير ج ٧ ص ٣٨٨ و ٣٥٩ و ج ٨ ص ٣ - ٤ وأبو طالب مؤمن قريش
ص ٧٣ كلاهما عن العديد من المصادر وثمرات الأوراق ص ٢٨٥ / ٢٨٦ ونزهة
المجالس ج ٢ ص ١٢٢ والجامع لاحكام القرآن ج ٦ ص ٤٠٥، ٤٠٦ وتاريخ
اليقوبي ج ٢ ص ٢٤ / ٢٥.

وأجابه علي " عليه السلام " بمثلها (١) فلتراجع.
وكان يدفع قريشا عنه باللين تارة، وبالشدّة أخرى. وينظم الشعر
السياسي، ليثير العواطف، ويدفع النوازل، ويهيئ الأجواء لاعلاء كلمة
الله، ونشر دينه، وحماية اتباعه.

وقد افتقد النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " مرة " فلم يجده؟ فجمع
الهاشميين، وسلحهم، وأراد ان يجعل كل واحد منهم إلى جانب عظيم
من عظماء قريش ليفتك به، لو ثبت ان محمدا اصابه شر. " (٢)
كل ذلك في سبيل الدفع عن الرسول الأعظم " صلى الله عليه وآله
وسلم " ونصر دينه، واعلاء كلمته، ورفع شأنه.

وواضح: ان الالمام بكل مواقف أبي طالب، وتضحياته الجسام
يحتاج إلى وقت طويل، وجهد مستقل ونحن نكتفي بهذه الإشارة،
ونعترف اننا لم نقض حقه كما ينبغي (وذلك من أجل ان نوفر الفرصة
لبحوث أخرى في السيرة النبوية الشريفة.

مع تضحيات أبي طالب رضوان الله عليه:

مما تقدم يظهر ان أبا طالب، شيخ الأبطح، كان على استعداد لان:

١ - يتخلى حتى عن مكانته في قومه، إلى بديل آخر هو في الاتجاه

(١) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٦٦ / ٦٥ وأسنى المطالب ص ٢١ ولم يصرح
باسم (علي) وكذا في السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٢ وراجع البداية والنهاية ج ٣
ص ٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٤ ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب
العلمية ج ٢ ص ٣١٢ وتاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٤١ / ١٤٥ والغدير ج ٧
ص ٣٦٣ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ج ٨ ص ٣ و ٤ وأبو طالب مؤمن قريش ص ١٩٤.
(٢) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٦ أبو طالب مؤمن قريش ص ١٧١ ومنية الراغب
ص ٧٥ / ٧٦ والغدير ج ٢ ص ٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١.

المضاد تماما، وهو العدااء لهم، وسائر أهل بلده، بل والدنيا بأسرها، بل هو يتحمل النفي والنبد الاجتماعي له، ولكل من يلوذ به، ولا يستسلم للضغوط المتنوعة التي يتعرض لها، ولا تلين قناته، ولا تصدع صفاته.

٢ - يرضى بتحمل الجوع والفقر والمحاصرة الاقتصادية، بل هو يبذل أمواله وكل ما لديه في سبيل هذا الدين.

٣ - يوطن نفسه على خوض حرب طاحنة، ربما تنتهي بإبادة الهاشميين وأعدائهم، إذا لزم الامر.

٤ - يضحى حتى بولده الأصغر سنا علي عليه السلام ويتحمل آثار غربة ولده الآخر جعفر، المهاجر إلى الحبشة.

٥ - يجاهد بيده ولسانه، ويستخدم كل ما لديه من امكانات مادية ومعنوية، ولا يبالي بكافة الصعاب والمشاق، وهو يدافع عن هذا الدين، ويحوطه بالرعاية والعناية، ما وجد إلى ذلك سبيلا.
سؤال وجوابه:

ويرد سؤال، هو: لماذا لا يكون ذلك كله بدافع عاطفي، ونابعا عن حمية النسب والقبيلة؟! أو على حد تعبير البعض: بدافع من " حبه الطبيعي " (١)؟.

وجوابه:

١ - ما يأتي من أدلة قاطعة على ايمان أبي طالب عليه الصلاة والسلام ولا سيما اشعاره وتصريحاته الدالة على ذلك هذا بالإضافة إلى ما ورد عن رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " وعن الأئمة من ولده في حقه.

٢ - يؤيد ذلك أنه إذا كان محمد " صلى الله عليه وآله وسلم " ابن

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٩٤.

أخيه؟ فان عليا ولده، فلو كانت العاطفة النسبية هي الدافع، فلماذا يضحى بولده دون ابن أخيه، طائعا مختارا، بعد تفكير وتأمل وتدبر لعواقب ذلك؟ ولماذا يرضى بأن يكون الاغتيال - لو تم - موجها له دونه؟! أم يعقل أن يكون حبه الطبيعي لابن أخيه أكثر منه لولده، وفلذة كبده؟!.

٣ - أما الحمية القبلية، والرابطة النسبية، فلو كانت هي السبب في موقفه ذاك، فلماذا لم تدفع أبا لهب لعنه الله لان يقف موقف أبي طالب " عليه السلام "؟ فيدفع عن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، ويضحى في سبيله؟ حتى بولده، وبمكانته، وبكل ما يملك؟!.

بل لقد رأيناه من أشد الناس على النبي، وأكثرهم جرأة عليه، وايداء له.

وأما ساير بني هاشم فإنهم وإن دخلوا الشعب مع النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " إلا أن تضحياتهم في سبيل النبي لم تبلغ عشر معشار تضحيات أبي طالب، كما أنهم انما وقفوا هذا الموقف تحت تأثير نفوذ أبي طالب، وإصراره..

وهكذا يتضح: ان حمية الدين أقوى من حمية النسب، ولذلك نرى المسلمين يصرحون بأنهم على استعداد لقتل آبائهم وأولادهم في سبيل دينهم. وقد استأذن عبد الله بن عبد الله أبي رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " بقتل أبيه (١) وفي صفين أيضا لم يرجع الأخ عن أخيه حتى أذن له أمير المؤمنين (ع) بتركه، (٢) إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة.

٤ - ثم إنه لو كان أبو طالب يفعل ذلك من أجل الدنيا؟ فقد كان

(١) تفسير الصافي ج ٥ ص ١٨٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٤ والدر المنثور ج ٦ ص ٢٤
عن عبد بن حميد، وابن المنذر والإصابة ج ٢ ص ٣٣٦.
(٢) صفين للمنقري ص ٢٧١ / ٢٧٢.

يجب ان يضحى بابن أخيه دون ولده، ويضحى به دون عشيرته؟ لأنه يحصل على الدنيا من هذا الطريق؟ كما قتل المأمون أخاه، وسممت أم الهادي ولدها، لا أن يضحى بكل شئ دونه، ثم تكون النتيجة هي: أن يدمره ويدمر نفسه معه، فان هذا لا يصح في منطق المصالح الدنيوية بآية صورة على الاطلاق.

٥ - وأيضا، فان الحمية القبلية - لو كانت - فإنما تؤثر اثرها في حدود مصالح القبيلة، والحفاظ على شؤونها، ومستقبلها اما إذا كانت هذه الحمية سببا في تدمير القبيلة والقضاء عليها، وتعطيل مصالحها، وتعريض مستقبلها للأخطار الجسام؟ فان هذه الحمية لا يمكن ان يفسح لها المجال، ولا ان يظهر لها اثر لدى عقلاء الرجال.

وهكذا يتضح: اننا لا يمكن ان نفسر مواقف أبي طالب (ع) تلك، الاعلى انها بدافع عقيدتي وايماني راسخ، يدفع الانسان للبذل والعطاء، لكل ما يملك في سبيل دينه وعقيدته.

فصلوات الله وسلامه عليك يا أبا طالب، يا أبا الرجال، ويا رائد قوافل التضحية والفداء، في سبيل الحق والدين، ورحمة الله وبركاته. عام الحزن:

وفي السنة العاشرة من البعثة كانت وفاة الرجل العظيم، أبي طالب عليه الصلاة والسلام.

ففقد النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بفقده نصيرا قويا، وعزيرا وفيما، كان هو الحامي له، والدافع عنه، وعن دينه، ورسالته، كما أشرنا إليه.

ثم توفيت بعده بمدة وجيزة - قيل: بثلاثة أيام، وقيل بعده بحوالي

شهر (١) خديجة أم المؤمنين صلوات الله وسلامه عليها، أفضل أزواج النبي الأكرم " صلى الله عليه وآله وسلم "، وأحسنهن سيرة، وأخلاقاً مع النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وقد كانت بعض نساء النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " (وهي عائشة) تغار منها غيرة شديدة، كما سنرى، رغم أنها لم تجتمع معها في بيت الزوجية، لان النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " قد تزوجها بعد وفاة خديجة بزمان. (٢)

ونستطيع أن نعرف: كم كان لأبي طالب " عليه السلام "، ولخديجة صلوات الله وسلامه عليهما من خدمات جلى في سبيل هذا الدين من تسمية النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " عام وفاتهما ب:

" عام الحزن ". (٣)

الحب في الله والبغض في الله:
ومن الواضح: أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لم يكن ينطلق في حبه لهما، وحزنه عليهما من مصلحته الشخصية، أو من عاطفة رحمية، وإنما هو يحب في الله تعالى، وفي الله فقط. ويقدر أي إنسان، ويحزن لفقده، ويرتبط به روحياً وعاطفياً، بمقدار ارتباط ذلك الإنسان بالله، وقربه

-
- (١) السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٤٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٣٢ البداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٧ والتنبيه والإشراف ص ٢.
- (٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ١٢٧ - ١٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٣٣ - ١٣٥ صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٠٢ وكتاب عائشة للعسكري ص ٤٦ فما بعدها. وقد ذكرنا بعض المصادر لذلك في ما يأتي في فصل: حتى بيعة العقبة، حين الكلام حول جمال عائشة وحظرتها.
- (٣) سيرة مغلطاي ص ٢٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٥٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٣٩ ط دار المعرفة وأسنى المطالب ص ٢١.

منه، وتفانيه في سبيله، وفي سبيل دينه ورسالته.
أي أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " لم يتأثر على أبي طالب
وخديجة؟ لأن هذه زوجته وذاك عمه. وإلا فقد كان أبو لهب عمه أيضا.
وإنما لما لمسها فيهما من قوة إيمان، وصلابة في الدين، وتضحيات وتفان
في سبيل الله، والعقيدة. وفي سبيل المستضعفين في الأرض ولما خسرت
الأمة فيهما، من جهاد وإخلاص قل نظيره في تلك الظروف الصعبة
والمصيرية.

وقد المح النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " إلى ذلك حينما جعل
موت أبي طالب وخديجة مصيبة للأمة بأسرها، كما هو صريح قوله في
هذه المناسبة:

".. اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشد
جزعا " (١).

نعم، وذلك هو الأصل الاسلامي الأصيل، الذي قرره الله تعالى
بقوله: " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادون من حاد الله
ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم، أو إخوانهم أو عشيرتهم الخ (٢) "
وهل ثمة محادة لله ولرسوله أعظم من الشرك، الذي عبر الله عنه بقوله:
" إن الشرك لظلم عظيم " و " إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون
ذلك "؟!

والآيات والروايات التي تؤكد على الحب في الله والبغض في الله
كثيرة تفوق حد الحصر في عجالة كهذه.
وعلى هذا الأساس قال الله تعالى لنوح عن ولده: (انه ليس من

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٣٥ ط صادر.
(٢) المحادلة الآية ٢٢.

أهلك إنه عمل غير صالح). (١)
وقال تعالى حكاية لقول إبراهيم (ع): (من تبغني فإنه مني) (٢)
وعلى هذا الأساس أيضا كان سلمان الفارسي من أهل البيت.
قال " صلى الله عليه وآله وسلم " : سلمان منا أهل البيت (٣)
وقال أبو فراس:
كانت مودة سلمان لهم رحما ولم تكن بين نوح وابنه رحم

-
- (١) سورة هود الآية ٤٦ .
(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٦ .
(٣) مصادر هذا الحديث مذكورة في كتابنا سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

الفصل الخامس:
أبو طالب مؤمن قريش

(٢٢٥)

إيمان أبي طالب " ره " :
ولا بد لنا هنا من الحديث بإيجاز عن موضوع ما زال بين أخذ ورد
بين المسلمين. ألا وهو إيمان أبي طالب رحمه الله فمن مؤيد، ومن
منكر

فأما أهل البيت وشيعتهم، فإنهم مجمعون على
اسلامه " رحمه الله "، (١) بل في بعض الأحاديث: أنه من الأوصياء (٢). وأن
نوره يطغى في يوم القيامة على كل نور، ما عدا نور النبي " صلى الله عليه
 وآله وسلم "، والأئمة، وفاطمة " عليها السلام " (٣)
ونحن وإن كنا لم نستطع أن نجزم بصحة هذه الأحاديث، إلا أن
إيمانه بالله، وتصديقه برسالته " صلى الله عليه وآله وسلم "، وانقياده

(١) روضة الواعظين ص ١٣٨، وأوائل المقالات ص ١٣ والطرائف لابن طاووس
ص ٢٩٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٦٥، والبحار ج ٣٥ ص ١٣٨
والغدِير ج ٧ ص ٣٨٤ عنهم، وعن: التبيان ج ٢ ص ٣٩٨، وكتاب الحجّة لابن
معد ص ١٣، ومجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٧.
(٢) الغدير ص ٣٨٩ ج ٧.
(٣) الغدير ج ٧ ص ٣٨٧ عن مصادر كثيرة.

للأوامر والزواجر الإلهية، كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار. والأحاديث الدالة على إيمانه.، والواردة عن أهل بيت العصمة كثيرة، وقد جمعها العلماء في كتب مفردة (١).
وواضح: أن أهل البيت أدري بما فيه، من كل أحد. يقول ابن الأثير: " وما أسلم من أعمام النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " غير حمزة والعباس، وأبي طالب عند أهل البيت " (٢).
وعدا عن ذلك، فإن الأدلة الدالة على إيمانه كثيرة، وقد ألف في اثبات إيمانه الكثير من الكتب من السنة والشيعة على حد سواء. وقد أنهاها بعضهم إلى ثلاثين كتابا، ومنها كتاب: أبو طالب مؤمن قريش للأستاذ عبد الله الخنيزي، الذي كاد ان يدفع حياته ثمنا لهذا الكتاب؟ حيث حاول الوهابيون في السعودية تنفيذ حكم الاعدام فيه، بسبب كتابه هذا؟ فتداركه الله برحمته، وتخلص من شرهم.
هذا عدا عن البحوث المستفيضة المبنوثة في ثنايا الكتب والموسوعات، ونخص بالذكر هنا ما جاء في الغدير للعلامة الأميني قدس سره ج ٧ و ٨.

وقد نقل العلامة الأميني عن جماعة من أهل السنة: أنهم ذهبوا إلى ذلك أيضا، وكتبوا الكتب والبحوث في اثبات ذلك، كالبرزنجي في أسنى المطالب ص ٦ - ١٠ والاجهوري، والإسكافي، وأبي القاسم البلخي، وابن وحشي في شرحه لكتاب: شهاب الاخبار، والتلمساني في حاشية الشفاء، والشعراني، وسبط ابن الجوزي، والقرطبي، والسبكي، وأبي طاهر، والسيوطي، وغيرهم.

(١) وكان من الكتب الأخيرة كتاب: منية الراغب في إيمان أبي طالب للشيخ الطبسي.
(٢) البحار ج ٣ ص ١٣٩ والغدير ج ٧ ص ٣٦٩.

بل لقد حكم عدد منهم - كابن وحشي والاجهوري، والتلمساني بان
من أبغض أبا طالب فقد كفر، أو من يذكره بمكروه فهو كافر (١).

بعض الأدلة على ايمان أبي طالب:

وقد استدل من قال بإسلامه بعدة أدلة، مثل:

أ - ما تقدم مما روي عن الأئمة " عليهم السلام "، والنبى " صلى الله
عليه وآله وسلم " مما يدل على ايمانه، وهم أعرف بأمر كهذا من كل أحد.

ب - ما تقدم من مناصرته للنبى " صلى الله عليه وآله وسلم "،
وتحملة تلك المشاق والصعاب العظيمة، وتضحيته بمكانته في قومه،
وحتى بولده، وتوطينه نفسه على خوض حرب طاحنة تأكل الأخضر
واليابس. ولو كان كافرا؟ فلماذا يتحمل كل ذلك؟! ولماذا لم نسمع عنه
ولو كلمة عتاب أو تذمر مما جره عليه محمد " صلى الله عليه وآله
وسلم "؟!.

واحتمال: أنه كان يطمع بمقام أعظم.

غير وجيه، فإنه كان حينئذ قد بلغ من الكبر عتيا، حيث إنه قد توفي
عن بضع وثمانين سنة، وهو يرى: موقف قومه منه، ومن النبى " صلى الله
عليه وآله وسلم " كيف هو، ولا يأمل أن يعيش إلى حيث يبلغ مثل ذلك
المقام، كما أنه لا يجد الفرصة كبيرة لنيل ابن أخيه لذلك المقام بعده.

ج - وقد استدل سبط ابن الجوزي على ايمانه بأنه - كما نقل - لو
كان أبو علي كافرا لكان شنع عليه معاوية وحزبه، والزبيريون وأعوانهم،
وسائر أعدائه " عليه السلام "، مع أنه " عليه السلام " كان يذمهم ويزري
عليهم بكفر الاباء والأمهات، ورذالة النسب (٢).

(١) راجع: الغدير ج ٧ ص ٣٨٢ و ٣٨٣ وغير ذلك.

(٢) راجع: أبو طالب مؤمن قريش ٢٧٢ / ٢٧٣ ط سنة ١٣٩٨ هـ. عن تذكرة الخواص.

د - تصريحاته وأقواله الكثيرة جدا؟ فإنها كلها ناطقة بإيمانه
واسلامه. ويكفي أن نذكر نموذجا من أشعاره التي عبر عنها ابن أبي
الحديد المعتزلي بقوله: إن كل هذه الأشعار قد جاءت مجيئ التواتر، من
حيث مجموعها (١).

ونحن نذكر هنا اثني عشر شاهدا من شعره، على عدد الأئمة
المعصومين من ولده عليه وعليهم السلام، تبركا وتيمنا، والشواهد هي:

١ - ألم تعلموا: أنا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في أول الكتب

٢ - نبي أتاه الوحي من عند ربه ومن قال: لا، يقرع بها سن نادم

٣ - يا شاهد الله علي فاشهد إني على دين النبي أحمد

٤ - أنت الرسول رسول الله نعلمه عليك نزل من ذي العزة الكتب

٥ - أنت النبي محمد قرم أغر مسود

٦ - أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى أو كذي النون

٧ - وظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى وامرأتي من عند ذي العرش قيم

٨ - لقد أكرم الله النبي محمدا فأكرم خلق الله في الناس أحمد

٩ - وخير بني هاشم أحمد رسول الاله على فترة (٢)

١٠ - والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب

١١ - وقال رحمه الله يخاطب ملك الحبشة، ويدعوه إلى الاسلام.

أتعلم ملك الحبش أن محمدا نبيا كموسى والمسيح ابن مريم

أتى بالهدى مثل الذي أتيا به فكل بأمر الله يهدي ويعصم

وانكم تتلونه في كتابكم بصدق حديث لا حديث الترجم

(١) شرح النهج ج ١٤ ص ٧٨ والبحار ج ٣٥ ص ١٦٥.

(٢) وقيل: إن قائل هذا البيت هو طالب بن أبي طالب. راجع: شرح النهج للمعتزلي

ج ١٤ ص ٧٨. إلا أن يقال إنه قاله على سبيل التمثيل بشعر أبيه " رحمه الله ".

فلا تجعلوا لله ندا فاسلموا فان طريق الحق ليس بمظلم

١٢ - وقال مخاطبا ولده حمزة رحمه الله:

فصبرا أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهرا للدين وفقت صابرا
وحط من أتى بالحق من عند ربه بصدق وعزم لا تكن حمز كافرا
فقد سرنى أن قلت: انك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصرا
وباد قريشا في الذي قد أتته جهارا، وقل: ما كان أحمد ساحرا
وأشعار أبي طالب الناطقة بإيمانه كثيرة، وقد اقتصرنا منها على هذا
القدر؟ لنفسح المجال لذكر لمحة عن سائر ما قيل، ويقال في هذا
الموضوع.

ه - قال المعتزلي: " قلت: كان صديقنا علي بن يحيى
البطريق " رحمه الله " يقول: لولا خاصة النبوة وسرها لما كان مثل أبي
طالب، وهو شيخ قريش، ورئيسها، وذو شرفها، يمدح ابن أخيه محمدا
وهو شاب قد ربي في حجره. وهو يتيمه ومكفوله، وجار مجرى أولاده
بمثل قوله:

وتلقوا ربيع الأبطحين محمدا على ربوة في رأس عنقاء عيطل
وتأوي إليه هاشم إن هاشما عرانيين كعب آخر بعد أول
ومثل قوله:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل
فان هذا الأسلوب من الشعر لا يمدح به التابع والذنابي من الناس،
وإنما هو من مديح الملوك والعظماء. فإذا تصورت: أنه شعر أبي طالب،
ذاك الشيخ المبجل العظيم في محمد " صلى الله عليه وآله وسلم ". وهو

شاب مستجير به، معتصم. بظله من قريش، قد رباه في حجره غلاما، وعلى عاتقه طفلا، وبين يديه شابا. يأكل من زاده، ويأوي إلى داره، علمت موضع خاصية النبوة وسرها، وأن أمره كان عظيما (١). كما أن قصيدته اللامية تلك التي يقول فيها: وأبيض يستسقى الخ. وهي طويلة، وكان بنو هاشم يعلمونها أطفالهم (٢) فيها الكثير مما يدل على إيمانه العميق الصادق، وقد ذكرها ابن هشام وابن كثير، وغيرهم. و - لقد رأينا أبا طالب الذي يدعو ملك الحبشة إلى الاسلام، هو الذي دعا ولده جعفرا وأمره بأن يصل جناح ابن عمه في الصلاة. (٣) وهو أيضا الذي دعا زوجته فاطمة بنت أسد إلى الاسلام (٤) وأمر حمزة بالثبات على هذا الدين، وأظهر سروره باسلامه، وكذلك الحال بالنسبة لولده أمير المؤمنين " عليه السلام ". إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لكلامه ومواقفه في المناسبات المختلفة.

ز - وقد صرح أبو طالب في وصيته بأنه كان قد اتخذ سبيل التقية في شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "، وان ما جاء به الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " قد قبله الجنان وانكره اللسان؟ مخافة الشنآن. واوصى قريشا بقبول دعوة الرسول ومتابعته على امره، ففي ذلك

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٣ وماذا في التاريخ ج ٣ ص ١٩٦ / ١٩٧ عنه.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣٩٦.

(٣) راجع: الأوائل لأبي هلال العسكري ج ١ ص ١٥٤، وروضة الواعظين ص ١٤٠

وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٩ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٩ وأسنى

المطالب ص ١٧ والإصابة ج ٤ ص ١١٦ وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧ والغدير ج ٧

ص ٣٥٧.

(٤) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧٢.

الرشاد والسعادة (١).

ح - ثم هناك ترحم النبي (ص) عليه، واستغفاره له باستمرار، وجزعه عليه عند موته (٢) وواضح: أنه لا يصح الترحم إلا على المسلم، ولأجل ذلك قال " صلى الله عليه وآله وسلم " لسفانة بنت حاتم الطائي: لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه (٣).

ط - وكيف يحكمون لزيد بن عمرو بن نفيل ابن عم عمر بن الخطاب، ولولده سعيد بن زيد، ولورقة بن نوفل، وقس بن ساعدة. ولأبي سفيان الذي ما زال كهفاً للمنافقين، والذي ستأتي لمحة عن تصريحاته ومواقفه في أواخر غزوة أحد كيف يحكمون لهؤلاء بالاسلام. بل يروون عنه " صلى الله عليه وآله وسلم ": أنه قال عن أمية بن أبي الصلت: انه كاد أن يسلم في شعره (٤).

ويقول الشافعي عن صفوان بن أمية: " وكان كأنه لا يشك في اسلامه " لأنه حين سمع يوم حنين قائلاً يقول: غلبت هوازن، وقتل محمد، قال له: " بفيك الحجر، فوالله، لرب قريش أحب إلي من رب هوازن. "

نعم، كيف يحكمون لكل هؤلاء بالاسلام، وهم لم يدركوا الاسلام، أو أدركوه ولم يسلموا، أو اظهروا الاسلام، وأبطنوا الكفر.

-
- (١) الروض الأنف ج ٢ ص ١٧١ وثمرات الأوراق ص ٩٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠١ / ٣ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٢ والبحار ج ٣٥ ص ١٠٧ والغدير ج ٧ ص ٣٦٦ عن مصادر أخرى.
(٢) تذكرة الخواص ص ٨.
(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٥.
(٤) صحيح مسلم ج ٧ ص ٤٨ - ٤٩، والأغاني ط ساسي ج ٣ ص ١٩٠. والتراتب الإدارية ج ١ ص ٢١٣.

ثم يحكمون بالكفر على أبي طالب الذي ما فتئ يؤكّد ويصرح
عشرات المرات، في أقواله وفي أفعاله، ويعلن بالشهادة لله بالوحدانية،
ولنبيه " صلى الله عليه وآله وسلم " بالنبوة والرسالة؟! .
وان حال أبي طالب مع الأمويين وأشياعهم مثل حال النبي " صلى
الله عليه وآله وسلم " مع المشركين الذين حكى القرآن عنهم
بقوله: (وقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. أو تكون
لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء
كما زعمت علينا كسفا، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من
زخرف أو ترقى في السماء، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
الخ..) (١).

والأمويون وأشياعهم يقولون: لن نقر بإيمان هذا الرجل ولو
تضافرت على ذلك كل الأدلة والشواهد، وحتى لو نص الله ورسوله عليه،
فبئس الخلف من الأمويين وأشياعهم لبئس السلف من طواغيت الجاهلية
وعتاتها.

ي - وبعد كل ما تقدم نقول:

إن اسلام أي شخص أو عدمه، إنما يستفاد من أمور أربعة:

١ - من مواقفه العملية، ومواقف أبي طالب، قد بلغت الغاية التي
ما بعدها غاية في الوضوح والدلالة على إخلاصه وتفانيه في الدفاع عن
هذا الدين.

٢ - من اقراراته اللسانية بالشهادتين، ويكفي أن نشير إلى ذلك
القدر الكثير منها في شعره في المناسبات المختلفة.

٣ - وإما من موقف ممثل الاسلام ورائد الحق النبي الأعظم " صلى

(١) الاسراء: ٩٠ - ٩٣.

الله عليه وآله وسلم " منه. والموقف الرضي أيضا ثابت منه " عليه السلام " تجاه أبي طالب علي أكمل وجه.

٤ - من إخبار المطلعين على أحواله عن قرب، وعن حس، كاهل بيته، ومن يعيشون معه. وقد قلنا: إنهم مجمعون على ذلك. بل إن نفس القائلين بكفره لما لم يستطيعوا إنكار مواقفه العملية، ولا الطعن بتصريحاته اللسانية، حاولوا: أن يشبهوا علي العامة بكلام مبهم، لا معنى له؟ فقالوا: " إنه لم يكن منقاد " (١) "!!". كل ذلك رجما بالغيب، وافتراء على الحق والحقيقة، من أجل تصحيح ما رووه عن المغيرة بن شعبة وأمثلة من أعداء آل أبي طالب كما سنشير إليه حين الكلام على الأدلة الواهية إن شاء الله تعالى. ومن أجل أن نوفي أبا طالب بعض حقه، نذكر بعض ما يدل على إيمانه - من مصادر غير الشيعة عموما - ونترك سائره، وهو يعد بالعشرات، لأن المقام لا يتسع لأكثر من أمثلة قليلة معدودة، وهي.

١ - قال العباس: يا رسول الله، ما ترجو لأبي طالب؟ قال: كل الخير أرجوه من ربي (٢).

٢ - جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة إلى رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " يقوده، وهو شيخ أعمى، يوم فتح مكة. فقال رسول الله. ألا تركت الشيخ في بيته حتى نأتيه؟! قال: أردت أن يؤجره الله. لأننا كنت باسلام أبي طالب أشد فرحا مني باسلام أبي، التمس بذلك قرّة عينك الخ (٣).

(١) راجع: سيرة دحلان ج ١ ص ٤٤ - ٤٧، والإصابة ج ٤ ص ١١٦ - ١١٩.
(٢) الأذكياء ص ٢٨ ١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩، والبحار ج ٣٥ ص ١٥١ و ١٠٩.
(٣) مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٤ عن الطبراني والبخاري، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٤٤ عن المجمع، والإصابة ج ٤ ص ١١٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٩.

والعلامة الأميني في الغدير، لا يوافق على أن يكون الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " قد قال لأبي بكر ذلك، وقد بحث ذلك بحثا جيدا، ونحن نوافق في ذلك أيضا. وربما تكون هذه العبارة زيادة من بعض المتزلفين، كما عودونا في أمثال هذه المناسبات.

٣ - قال المعتزلي: " روي بأسانيد كثيرة، بعضها عن العباس بن عبد المطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: أن أبا طالب مات حتى قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله (١) ".

وتقدم في شعره تصريحات كثيرة بذلك أيضا.

٤ - ولقد ترحم عليه ودعا له النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " واستغفر له، حتى في المدينة حينما استسقى لأهلها فجاءهم الغيث فذكر أبا طالب، واستغفر له على المنبر (٢) ولما مات أبو طالب تبع رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " جنازته مع أنهم يروون النهي عن المشي في جنازة المشرك. كما أنهم يروون أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " أمر عليا بأن يغسله ويكفنه ويواريه (٣)، وانما لم يأمره بالصلاة عليه لان صلاة

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧١، وراجع: الغدير ج ٧ ص ٣٦٩ عن البداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٣، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٧ والإصابة ج ٤ ص ١١٦، وعيون الأثر ج ١ ص ١٣١، والمواهب اللدنية ج ١٠ ص ٧١ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٧٢ والسيرة النبوية لدحلان بهامشها ج ١ ص ٨٩، وأسنى المطالب ص ٢٠ ودلائل النبوة للبيهقي وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٢٠ وكشف الغمة للشعراني ج ٢ ص ١٤٤.

(٢) راجع: عيون الانباء ص ٧٠٥.

(٣) راجع: في كل ذلك تذكرة الخواص ص ٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٨١، والسيرة الحلبية ج ١ ص ١٤٧ والمصنف ج ٦ ص ٣٨، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٨٧، وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥، وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٧٨ وتاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ١٢٦، و ج ١٣ ص ١٩٦ وتاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٥، والطرائف لابن طاووس ص ٣٠٥ عن الحنبلي في نهاية الطلب والبحار ج ٣٥ ص ١٥١ والتعظيم المنة ص ٧ ولسان الميزان ج ١ ص ٤١. والإصابة ج ٤ ص ١١٦، والغدير ج ٧ ص ٣٧٢ و ٣٧٤ / ٣٧٥ عن ذكر، وعن: شرح شواهد المغني للسيوطي ص ١٣٦، واعلام النبوة للماوردي ص ٧٧، وبدايع الصنائع ج ١ ص ٢٨٣، وعمدة القاري ج ٣ ص ٤٣٥، وأسنى المطالب ص ١٥ و ٢١ و ٣٥ وطلبة الطالب ص ٤٣. ودلائل النبوة للبيهقي والبرزنجي، وابن خزيمة، وأبي داود، وابن عساكر.

الجنائزة لم تكن فرضت بعد. ولأجل ذلك قالوا: إن خديجة لم يصل عليها النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " حينما توفيت، مع أنها سيدة نساء العالمين.

٥ - لقد رثاه ولده علي " عليه السلام " حينما توفي بقوله:

أبا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلم

لقد هد فقدك أهل الحفاظ فصلى عليك ولي النعم

ولقائك ربك رضوانه فقد كنت للطهر من خير عم (١)

٦ - وكتب أمير المؤمنين " عليه السلام " رسالة مطولة لمعاوية جاء

فيها: " ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي

طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق " (٢).

فإذا كان أبو طالب كافرا وأبو سفيان مسلما، فكيف يفضل الكافر

علي المسلم ثم لا يرد عليه ذلك معاوية بن أبي سفيان؟.

ولكن الحقيقة هي عكس ذلك تماما؟ فان أبا سفيان هو الذي

(١) تذكرة الخواص ص ٩.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٧١ والفتوح لابن أعثم ج ٣ ص ٢٦٠، ونهج
البلاغة الذي بهامشه شرح الشيخ محمد عبده ج ٣ ص ١٨ الكتاب رقم ١٧ وشرح

النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١١٧ والإمامة والسياسة ج ١ ص ١١٨، والغدير ج ٣
ص ٢٥٤ عنهم، وعن: ربيع الأبرار للزمخشري باب ٦٦، وعن مروج الذهب ط ج ٢

ص ٦٢. وراجع أيضا: الفتوح لابن أعثم ج ٣ ص ٢٦٠ ومناقب الخوارزمي
الحنفي ص ١٨٠.

قال: " إنه لا يدري ما جنة ولا ناراً كما سيأتي في أواخر غزوة أحد. ويلاحظ هنا أيضاً: أن أمير المؤمنين يشير في كلامه الانف الذكر إلى عدم صفاء نسب معاوية، ولهذا البحث مجال آخر.

٧ - وحمل محمد بن الحنفية يوم الجمل على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين أبي طالب، فلما عرفت الذي أراد كفت عنه. (١)

٨ - وورد عنه " صلى الله عليه وآله وسلم " أيضاً قوله: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي، وأمي وعمي أبي طالب، وأخ لي كان في الجاهلية (٢).

٩ - وعنه " صلى الله عليه وآله وسلم ": إن الله عز وجل قال له على لسان جبرئيل: حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك. أما الصلب فعبد الله، وأما البطن فأمنة، وأما الحجر فعمه، يعني أبا طالب، وفاطمة بنت أسد. وبمعناه غيره مع اختلاف يسير (٣).

١٠ - وسئل الإمام السجاد " عليه السلام " عن إيمان أبي طالب، فقال: واعجبا، إن الله نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر؟ وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٦٧ ط ليدن.

(٢) ذخائر العقبى ص ٧ عن تمام الرازي في فوائده، والدرج المنيفة للسيوطي ص ٨ ومسالك الحنفا ص ١٤ عن أبي نعيم وغيره وذكر أن الحاكم صححه، وتفسير القمي ج ١ ص ٣٨٠ وتفسير البرهان ج ٢ ص ٣٥٨ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٣٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٣٢.

(٣) أصول الكافي ج ١ ص ٣٧١ والبحار ج ٣٥ ص ١٠٩ والتعظيم والمنة للسيوطي ص ٢٧ وراجع: روضة الواعظين ص ١٣٩ وشرح النهج ج ١٤ ص ٦٧ والغدير ج ٧ ص ٣٧٨ عنهم، وعن: كتاب الحجة لابن معد ص ٨، وتفسير أبي الفتوح ج ٤ ص ٢١٠.

طالب حتى مات (١).

ونزول آية النهي عن الامسك بعصم الكوافر في المدينة، لا يضر ولا يوجب بطلان هذه الرواية، لامكان أن يكون النهي عن ذلك بالقول على لسانه " صلى الله عليه وآله وسلم " قبل نزول القرآن. وعدم خضوع بعض المسلمين لذلك حينئذ ربما كان لظروف معينة فرضت عليهم ذلك.

١١ - وأخيرا، فقد كتب بعضهم يسأل الإمام علي بن موسى الرضا " عليه السلام " عن اسلام أبي طالب، فإنه قد شك في ذلك، فكتب " عليه السلام " إليه: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين (٢) الآية. وبعدها: إنك إن لم تفر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار (٣).

١١ - وسيأتي في غزوة بدر: ان الرسول الأكرم " صلى الله عليه وآله وسلم " لم يقبل من شهيد بدر عبيدة بن الحارث أن يعرض بعمه أبي طالب، ولو بمثل أن يقول: إني أولى بما قال منه: كذبتهم وبيت الله بيزى محمد ولما نطاعن دونه وناضل ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل فإذا كان النبي يغضب ولو لمثل هذا التعريض، فهل تراه سوف يكون مسرورا بمن يحكم على عمه بالشرك، ويجعله في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه؟ إلى آخر ما هنالك؟!.

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨، والغدير ج ٧ ص ٣٨١ و ٣٨٩ عنه وعن: كتاب الحجة ص ٢٤، والدرجات الرفيعة، وضياء العالمين، وادعي تواتر هذا الحديث عندنا.

(٢) النساء الآية / ١١٥.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨ والغدير ج ٧ ص ٣٨١ و ٣٩٤ عن الكراجكي ص ٨٠، وكتاب الحجة لابن معد ص ١٦، والدرجات الرفيعة والبحار وضياء العالمين.

وحسبنا ما ذكرناه من الأمثلة الناطقة باسلام أبي طالب، ومن أراد التوسع فعليه بالكتب المعدة لذلك.
الأدلة الواهية.

وقد استدل القائلون بكفر أبي طالب - والعياذ بالله - بروايات وأدلة واهية، ونحن نشير هنا إلى عمدة ما اعتمدوا عليه في ذلك، وهي:

١ - حديث ابن الضحاح:

عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وقد ذكر عنده عمه، فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه. وحسب نص آخر: ان العباس قال للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم ": ما أغنيت عن عمك، فوالله، كان يحوطك ويغضب لك، قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار (١).
ونقول:

١ - لقد ناقش كل من الأميني والخنيزي (٢) جميع أسانيد هذه الرواية، وبيننا وهنها وضعفها، وتناقض نصوصها العجيب. ونحن نحيل القارئ الذي يرغب في التوسع إلى ما ذكره هذان العالمان حول هذا

(١) صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٢ ص ٢٠٩، و ج ٤ ص ٥٤، والمصنف ج ٦ ص ٤١، وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٩ و ٣٠.
وصحيح مسلم، كتاب الايمان، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩،
ومسند أحمد ج ١ ص ٢٥٦ و ٢٠٧، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٥، الغدير ج ٨ ص ٢٣ عن بعضهم، وعن عيون الأثر ج ١ ص ١٣٢، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٦.
(٢) راجع: الغدير ج ٨ ص ٢٣ / ٢٤ وأبو طالب مؤمن قريش.

الموضوع.

ب - إنه إذا كان " صلى الله عليه وآله وسلم " قد نفع أبا طالب، وأخرجه من الدرك الأسفل إلى الضحضاح؟ فلماذا لا يتمم معروفة، ويخرجه من هذا الضحضاح أيضا؟! .
وأیضا هل تكون الشفاعة في الدنيا؟! .

ج - لقد رووا: أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " طلب منه حين وفاته: أن يقول كلمة لا إله إلا الله، محمد رسول الله؟ ليستحل له بها الشفاعة يوم القيامة، فلم يعطه إياها. فهذا يدل على أنه قد أناط " صلى الله عليه وآله وسلم " مطلق الشفاعة بكلمة لا إله إلا الله (١). فلماذا استحل هذه الشفاعة، مع أنه لم يعطه الكلمة التي توجب حليتها؟! .

ثم أوليس يروون: أن الشفاعة لا تحل لمشرك؟ فلماذا حلت لهذا المشرك بالذات، بحيث أخرجه من الدرك الأسفل إلى الضحضاح؟ (٢).
د - قال المعتزلي، نقلا عن الامامية والزيدية: " قالوا: وأما حديث الضحضاح؟ فإنما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد، وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم، وعلى الخصوص لعلي " عليه السلام " مشهور معلوم، وقصته وفسقه غير خاف " (٣).

ولكننا نجدهم يروونه عن غير المغيرة أيضا، كما في البخاري

(١) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٤٣٣ عن أحمد بسندين صحيحين، وعن البزار، والطبري بأسانيد أحدها جيد وابن حبان في صحيحه وراجع: الغدير ج ٢٥ / ٢.
(٢) مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٣٦، وتلخيصه للذهبي وصحاحه والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١ والغدير ج ٨ ص ٢٤ عن كنز العمال ج ٧ ص ١٢٨، وشرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ٢٩١ وكثف الغمة للشعراني ج ٢ ص ١٢٤، وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٢٠.
(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٠ والبحار ج ٣٥ ص ١١٢.

وغيره، فلعل رواية غير المغيرة قد حدثت في وقت متأخر، فان من غير المعقول أن يورد الشيعة على غيرهم بذلك إن لم يكن له واقع.. وقد سكت المعتزلي على ردهم هذا، وكأنه يحتمل ما احتملناه ولو وسعه الرد لفعل.

ه - وسئل الإمام الباقر " عليه السلام " عما يقوله الناس: إن أبا طالب في ضحضاح من نار؟ فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة أخرى لرجح إيمانه. ثم قال: ألم تعلموا: أن أمير المؤمنين عليا " عليه السلام " كان يأمر أن يحج عن عبد الله، وابنه، وأبي طالب في حياته، ثم اوصى في وصيته بالحج عنهم (١).

و - سئل علي " عليه السلام " في رحبة الكوفة عن كون أبيه معذبا في النار أو لا، فقال للسائل: مه، فض الله فاك، والذي بعث محمدا بالحق نبيا، لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم. أبي معذب في النار، وابنه قسيم الجنة والنار؟ (٢)

ز - يلاحظ: وجود التناقض في روايات الضحضاح، فواحدة تقول: لعله تنفعه شفاعتي؟ فيجعل في ضحضاح يوم القيامة. وأخرى تجزم بأنه قد جعل في الضحضاح بالفعل. فراجع ٢ - إرث عقيل لأبي طالب:

واستدلوا: بان ولده عقيل هو الذي ورثه، ولم يرثه علي وجعفر،

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٨، والدرجات الرفيعة ص ٤٩، والبحار ج ٣٥ ص ١١٢ والغدير ج ٨ ص ٣٨٠ - ٣٩٠ عن كتاب الحجة للسيد ص ١٨ من طريق شيخ الطائفة عن الصدوق، والفتوني في ضياء العالمين.
(٢) البحار ج ٣٥ ص ١١٠ وكنز الفوائد ص ٨٠ ط حجرية.

لأنه كان مشركا وهما مسلمان. فهما من ملتين مختلفتين، وأهل ملتين لا يتوارثان (١).

ولكن ذلك لا يصح أيضا.

فأولا: من أين ثبت لهؤلاء: أن عليا وجعفر لم يرثاه.

وثانيا: إن قوله أهل ملتين لا يتوارثان.

نقول بموجبه؟ لان التوارث تفاعل، ولا تفاعل عندنا في ميراثهما، واللفظ يستدعي الطرفين، كالتضارب، فإنه لا يكون إلا من اثنين، فان الصحيح هو مذهب أهل البيت من أن المسلم يرث الكافر، ولا يرث الكافر المسلم (٢).

وثالثا: لقد روي عن عمر قوله: " أهل الشرك نرثهم ولا يرثونا (٣) " وقد حكم كثير من العلماء بان ميراث المرتد للمسلمين لا يصح؟ وقالوا: نرثهم ولا يرثونا (٤).

ورابعا: إنهم يقولون: ان الميراث في وقت موت أبي طالب لم يكن قد فرض بعد، وإنما كان الامر بالوصية؟ فلعل أبا طالب قد أوصن لعقيل محبة له (٥).

٣ - وهم ينهون عنه، وينأون عنه:

لقد ذكروا: أن آية: وهم ينهون عنه، وينأون عنه، قد نزلت في أبي

-
- (١) المصنف ج ٦ ص ١٥، و ج ١٠ ص ٣٤٤، وفي هامشه اي هامش السادس عن البخاري ج ٣ ص ٢٩٣، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٩.
(٢) راجع شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٦٩.
(٣) مصنف الحافظ عبد الرزاق ج ١٠ ص ٣٣٩ و ج ٦ ص ١٠٦.
(٤) المصنف لعبد الرزاق ج ٦ ص ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٥ و ج ١٠ ص ٣٣٨ حتى ص ٣٤١.
(٥) راجع: أسنى المطالب ص ٦٢.

طالب، الذي كان ينهى الناس عن أذى الرسول، وينأى عن أن يدخل في الإسلام (١).

ونقول:

أ - لقد تحدث الأستاذ الخنيزي حول أسانيد هذه الرواية بما فيه الكفاية (٢) فليراجعه من أراد.

ب - إن هذه الآية لا تنطبق على أبي طالب بأي وجه؟ حيث إن الله تعالى يقول قبلها: (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاؤوك يجادلونك، يقول الذين كفروا: إن هذا إلا أساطير الأولين. وهم ينهون عنه الخ.. (٣).

فضمائر الجمع، ككلمة: (هم)، وفاعل (ينهون) و (ينأون) كلها ترجع إلى من ذكرهم الله في تلك الآية. وهم المشركون، الذين إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، ويجادلون الرسول في هذه الآيات، ويصفونها من عنادهم بأنها ليست سوى أساطير الأولين. ولا يقف عنادهم عند هذا وحسب، بل يتجاوزوه إلى أنهم: ينهون الناس عن الاستماع إلى النبي، كما أنهم هم أنفسهم يتعدون عنه.

وهذه الصفات كلها لا تنطبق على أبي طالب، الذي لم نجد منه إلا التشجيع على اتباع النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، والنصرة له باليد واللسان. بل يطلب من غيره أن يدخل في هذا الدين. وأن يتمسك به

(١) الإصابة ج ٤ ص ١١٥، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٧، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٨، وبهجة المحافل ج ١ ص ١١٦ وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٦ والغدير ج ٨ ص ٣ عنهم وعن: تفسير الخازن ج ٢ ص ١١، وتفسير ابن جزري ج ٢ ص ٦، وعن الطبري والكشاف. ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٢ ص ٣٤٠ و ٣٤١.
(٢) أبو طالب مؤمن قريش ص ٣٠٥ / ٣٠٦.
(٣) الانعام / ٢٥ - ٢٦.

ويصبر عليه، كما كان الحال بالنسبة لزوجته، ولحمزة، وجعفر، وعلي، وملك الحبشة حسبما تقدم.

كما أن المفسرين قد فهموا من الآية عمومها لجميع الكفار، وأن معناها: ينهون عن استماع القرآن، واتباع الرسول، ويتباعدون عنه. وهذا هو المروي عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وأبي معاذ، والضحاك، وابن الحنفية، والسدي، ومجاهد، والجبائي، وابن جبير (١).

ج - ويقول الأميني: إن تلك الرواية تقول: إن آية الانعام: (وهم ينهون عنه إلخ..). قد نزلت حين وفاة أبي طالب " عليه السلام "، وتقول رواية أخرى: إن آية: (إنك لا تهدي من أحببت إلخ..). قد نزلت حين وفاته أيضا، مع أن هذه الآية قد وردت في سورة القصص التي نزلت قبل الانعام، - التي نزلت جملة واحدة - (٢) بخمس سور. وهذا يدل على أن سورة الانعام قد نزلت بعد وفاة أبي طالب بمدة.

إذن، فما معنى قولهم: إنها نزلت حين وفاته " عليه السلام "؟!.

د - انهم يقولون: ان سورة الانعام قد نزلت دفعة واحدة وكانت أسماء بنت يزيد ممسكة بزمام ناقته " صلى الله عليه وآله وسلم " (٣) وذلك

- (١) راجع: مجمع البيان ج ٧ ص ٣٥، و ٣٦، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٧ والغدير ج ٨ ص ٣، والدر المنثور ج ٣ ص ٨ و ٩ كلهم - كلا أو بعضا عن القرطبي، والطبري، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن أبي شيبة وابن مردويه وعبد بن حميد، والقرطبي ج ٦ ص ٤٠٦.
- (٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٣، وفتح القدير ج ٣ ص ٩٢١ / ٩، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٢٢ والغدير ج ٨ ص ٥ عنهم وعن تفسير القرطبي ج ٦ ص ٣٨٣ / ٣٨٢ كلهم عن: أبي عبيد، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والنحاس.
- (٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٢ عن الطبراني، وابن مردويه. وقد ذكر في ص ٢ و ٣ نزولها جملة واحدة في مكة أو باستثناء آية أو آيتين ليست الآية المذكورة واحدة منها فراجع ما رواه عن عشرات الحفاظ مثل البيهقي في شعب الايمان، والخطيب في تاريخه، وأبي الشيخ، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه، و عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وإسحاق بن راهويه، والكلبي، وأبي عبيد، والطبراني وابن الضريس، وابن مردويه، والسلفي في الطيورات، والإسماعيلي، والحاكم وصححه، وراجع: الاتقان ج ١ ص ٣٧ وراجع السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٠.

انما كان بعد بيعة العقبة، التي كانت بعد وفاة أبي طالب، بمدة طويلة.
٤ - أية النهي في الاستغفار للمشرك:

روى البخاري ومسلم، وغيرهما: عن ابن المسيب، عن أبيه،
رواية تتلخص في أن النبي طلب من أبي طالب حين وفاته أن يقول كلمة لا
إله إلا الله ليحاج بها له عند الله. فقال له أبو جهل، و عبد الله بن أمية:
أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل الرسول يعرضها عليه، ويقولان له
ذلك، حتى قال أبو طالب آخر كلمة: على ملة عبد المطلب، وأبى أن
يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم ": والله لأستغفرن لك
ما لم أنه عنك. فأنزل الله: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين، ولو كانوا أولي قربى، من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب
الجبهم). (١) وانزل الله في أبي طالب: (إنك لا تهدي من أحببت إن
الله يهدي من يشاء) (٢).

ولا نريد أن نناقش في أسانيد هذه الرواية (٣)، المقطوعة، ولا نريد
أن نفيض في الدلائل والشواهد على أن ابن المسيب فضلا عن غيره متهم

(١) التوبة / ١١٣.

(٢) القصص / ٥٦ والرواية في البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٣ ص ١١١، وغير ذلك.

(٣) راجع في ذلك: أبو طالب مؤمن قريش ٣١٣ - ٣٤٥ وأنساب الأشراف بتحقيق

المحمودي ج ٢ ص ٢٥ و ٢٦ ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٢
ص ٣٤٢ و ٣٤٣.

على علي " عليه السلام " ، كما نص عليه البعض (١). ولكننا نشير إلى ما يلي:

أولاً: إن آية النهي عن الاستغفار للمشرك قد وردت في سورة التوبة، ولا ريب في كونها من أواخر ما نزل عليه (صلى اله عليه وآله وسلم " في المدينة، بل لقد ادعى البعض أنها آخر ما نزل (٢). ولا يعقل أن تكون هذه الآية قد بقيت أكثر من عشر سنوات منفردة، والقرآن ينزل، حتى نزلت سورة التوبة، فأضيفت إليها، لأن الآيات التي كانت تلحق بالسور إنما تلحق بما نزل سابقاً عليها، وكان ذلك في الأكثر في السور الطوال، التي كانت تنزل أجزاء متتابعة دون سائر السور التي كانت تنزل دفعة واحدة.

فكيف بقي " صلى الله عليه وآله وسلم " يستغفر لأبي طالب طيلة هذه المدة، ويترحم عليه؟! مع أن ذلك من أظهر مصاديق المودة للكافر، وقد نهى الله عن مودتهم في آيات كثيرة، نزلت قبل سورة التوبة كما في قوله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادون من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم) (٣). وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) (٤).

(١) الغارات للثقيفي ج ٢ ص ٥٦٩.

(٢) الغدير ج ٨ ص ١٠ وأبو طالب مؤمن قريش ص ٣٤١ عن: البخاري،

والكشاف، والبيضاوي، وتفسير ابن كثير والاتقان، وابن أبي شيبة والنسائي وابن الضريق، وابن المنذر، والنحاس، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٣) المجادلة / ٢٢، وقد نزلت قبل التوبة بسبع سور كما في الاتقان ج ١ ص ١١ وفي

تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٢٩، وفتح القدير ج ٥ ص ١٨٦ والغدير ج ٨ ص ١٠

عنهم وعن تفسير الألوسي ج ٢٨ / ٣٧ وأخرجه ابن أبي حاتم، والطبراني والحاكم

والبيهقي وأبو نعيم: أنها نزلت في بدر أو في أحد.

(٤) النساء / ١٤٤.

وقوله تعالى: (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة) (١).
وقوله تعالى: إلا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) (٢) إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.
ثانيا: قال تعالى: في سورة المنافقين، التي نزلت في غزوة بني المصطلق، سنة ست على ما هو المشهور، ونزلت قبل سورة التوبة على كل حال: (سواء عليهم، استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم).
فإذا كان النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " يعرف ان الله لن يغفر لهم، سواء استغفر لهم أم لا، فلماذا يتعب نفسه في أمر لا نتيجة له؟؟
فان ذلك أمر لا يقره العقلاء، ولا يقدمون عليه.
ثالثا: إننا نجد النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " نفسه يقول: " اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة (٣) ".
كما أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " قد رد هدية حكيم بن حزام؟
لأنه كان مشركا، قال، عبىد الله: حسبت أنه قال: إنا لا نقبل من المشركين شيئا، ولكن ان شئت اخذناها بالثمن (٤).
ورد أيضا هدية عامر بن الطفيل، لأنه لم يكن قد أسلم بعد. ورد

(١) النساء / ١٣٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٨.

(٣) راجع أبو طالب مؤمن قريش للخنيزي.

(٤) مستدرک الحاکم ج ٣ ص ٤٨٤ وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، وصحاحه حياة الصحابة ج ٢ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ عن كنز العمال وعن مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٧٨ وكنز العمال ج ٦ ص ٥٧ و ٥٩ عن أحمد والطبراني، والحاكم وسعيد بن منصور. والتراتب الإدارية ج ٢ ص ٨٦ ويلاحظ هنا: انه " صلى الله عليه وآله " حين الهجرة لا يقبل ناقة أبي بكر إلا بالثمن.

أيضا هدية ملاعب الأُسنة، وقال: لا أقبَل هدية مشرك (١).
عن عياض المجاشعي: انه اهدى إلى النبي هدية فأبى قبولها،
وقال: اني نهيت عن زبد المشركين (٢).
ولم يكن ذلك منه " صلى الله عليه وآله وسلم " إلا لأنه يوجب
احتراما ومودة من النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " له.
إلا أن الكشي ذكر رواية تقول: " ان رسول الله " صلى الله عليه وآله
وسلم " لم يرد هدية على يهودي ولا نصراني " (٣).
وهذا إن صح يشير إلى الفرق بين هدية الكتابي وهدية المشرك
فكان (ص) يرد هدية الثاني دون الأول وذلك يدل على عدم صحة
قوله لهم: إنه (ص) في هدنة الحديبية استهدى أبا سفيان أدما (٤).
وقد يكون ذلك لأجل الفرق بين المشرك والكتابي - لو صحت هذه
الرواية - فكان " صلى الله عليه وآله وسلم " يقبل هدية الثاني دون الأول.
وبعد ما تقدم، فإننا نعرف عدم صحة قولهم إن النبي قد استهدى
من أبي سفيان أدما، وذلك أيام هدنة الحديبية.

-
- (١) كنز العمال ج ٣ ص ١٧٧ طبعة أولي عن ابن عساكر ط ثانية ج ٦ ص ٥٧ عن
الطبراني والمصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٤٦ و ٤٤٧ وفي الهامش عن مغازي ابن
عقمة ومجمع البيان المجلد الأول ص ٥٣٥.
- (٢) كنز العمال ج ٦ ص ٥٧ و ٥٩ عن أبي داود والترمذي وصححه واحمد والطيالسي
والبيهقي، وراجع ما عن عمران بن حصين في الكنز نفس الجلد والصفحة والمصنف
لعبد الرزاق ج ١٠ ص ٤٤٧ وفي الهامش عن أبي داود واحمد وعن الترمذي ج ٢
ص ٣٨٩. وراجع الوسائل ج ١٢ ص ٢١٦ عن الكافي والمعجم الصغير ج ١
ص ٩.
- (٣) رجال الكشي ط جامعه طهران ص ٦١٠ والبحار ج ٥٠ ص ١٠٧ والوسائل ج ١٢
ص ٢١٧.
- (٤) راجع التراتيب الإدارية ج ١ ص ١٩٨ عن الاستيعاب.

ورابعا: لقد روي بسند صحيح - كما يقول الأميني - عن علي: أنه سمع رجلا يستغفر لأبويه، وهما مشركان؟ فذكر علي " عليه السلام " ذلك للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم " فنزلت الآية المذكورة (١). وفي أخرى: ان المسلمين قالوا: ألا نستغفر لآبائنا؟ فنزلت (٢). وفي رواية: انها نزلت حينما استأذن " صلى الله عليه وآله وسلم " الله في الاستغفار لآله فلم يأذن له، ونزلت الآية، فسأله أن يزور قبرها، فاذن له (٣).

وإن كنا نعتقد: أن الرواية الأخيرة بعيدة عن الصحة لاعتقادنا بأن أم النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " كانت مؤمنة موحدة، كما أسلفناه في بحث ايمان آباءه " صلى الله عليه وآله وسلم ". ولكنها على أي حال مناقضة لما تقدم فلعل الرواة طبقوها على هذا المورد، اجتهادا عمديا أو سهويا منهم، والصحيح هو النص المتقدم عن علي " عليه السلام ". وإلا

(١) الغدير ج ٨ ص ١٢، وغيره عن: الطيالسي، وابن أبي شيبة، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في شعب الايمان، والضياء في المختارة، والاتقان، وأسباب النزول، وتفسير ابن كثير، والكشاف، وأعيان الشيعة، وأسنى المطالب ص ١٨، لدحلان وأبو طالب مؤمن قريش، وشيخ الأبطح ومسنند أحمد ج ١ ص ١٣٠ / ١٣١.

(٢) مجمع البيان ج ٥ ص ٧٦ عن الحسن، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٣، وأبو طالب مؤمن قريش ص ٣٤٨، عنهما وعن الأعيان ج ٣٩ ص ١٥٨ و ١٥٩ عن ابن عباس والحسن، والكشاف ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣) تفسير الطبري ج ١١ ص ٣١، والدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٣، وارشاد الساري ج ٧ ص ٢٨٢ و ١٥٨ عن مسلم في صحيحه، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٤ وأحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه والكشاف ج ٢ ص ٤٩. وأبو طالب مؤمن قريش ص ٣٤٩.

فلماذا نسي النبي الاستغفار لآله إلى آخر أيام حياته؟ هذا عدا عما تقدم.
وخامسا: إن آية لا تهدي من أحببت، يقال: إنها نزلت يوم أحد،
حينما كسرت رباعيته، وشج وجهه " صلى الله عليه وآله وسلم "، فقال:
اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، فأنزل الله: إنك لا تهدي من أحببت
إلخ (١).

وقيل: إنها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل، الذي كان
الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " يرغب في إسلامه، بل لقد ادعي
الاجماع على ذلك (٢).

سادسا: إذا كان النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " يحب إيمان أبي
طالب فالله يحب ذلك أيضا، لان الرسول لا يحب إلا ما أحب الله.
وقولهم: كان " صلى الله عليه وآله وسلم " يكره إيمان وحشي، ثم آمن، لا
يصح؟ لان هذا من نوع التضاد بين الرسول والمرسل، لو لم يتوافقا، وإذا
توافقا، فكيف يمكن أن يكره الله ورسوله إيمان أحد (٣).

وسابعا: ان قوله تعالى: لا تهدي من أحببت لا يمنع من ايمان أبي
طالب، فإن الله قد شاء الهداية لأبي طالب أيضا كما دلت عليه النصوص.
والآية انما تريد تعليم النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ": ان محبته لهداية
شخص غير كافية. بل لا بد معها من مشيئة الله سبحانه.
وأخيرا، فان عبد المطلب لم يكن كافرا ولا مشركا حسبما قدمنا،

(١) راجع التراتيب الإدارية ج ١ ص ١٩٨ عن الاستيعاب.
أبو طالب مؤمن قريش ص ٣٦٨ عن أعيان الشيعة ج ٣٩ ص ٢٥٩ والحجة
ص ٣٩. ولربما يأتي بعض مصادر ذلك في وقعة أحد.
(٢) أبو طالب مؤمن قريش ص ٣٦٩ عن شيخ الأبطح ص ٦٩.
(٣) راجع هامش أنساب الأشراف ج ٢ ص ٢٨ عن الدكتور زرور في مقدمته على
تفسير الحاكم الجشمي.

بل كان مؤمنا على دين الحنيفية. وقد صرح المسعودي في بعض كتبه بأنه قد مات مسلما (١). فقول أبي طالب: بل على ملة عبد المطلب لا يدل على كفره؟ فلو كان قد قال ذلك حقا. فلا بد أن يكون قد قال ذلك تسمية على قریش، لمصالح يراها لا بد من ملاحظتها في تلك الفترة. الوجبة الأخيرة:

كان ما تقدم هو عمدة ما استدل به القائلون بكفر أبي طالب، والعياذ بالله، وقد رأينا: أنه لا يستطيع أن يثبت أمام النقد الواعي والدقيق. وقد بقيت بعض الروايات، التي يمكن الاستدلال بها على ذلك. وليس فيها أيضا ما ينفع أو يجدي ونحن نشير إليها باختصار شديد؟ فنقول: إنهم قد رووا أيضا:

١ - أن الرسول قال لأبي بكر حول ما ينجي من الوسوسة: " ينجيكم من ذلك: أن تقولوا مثل الذي أمرت به عمي عند الموت؟ فلم يفعل، يعني شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله (٢) ".

وفي رواية عن عمر: إن كلمة التقوى التي ألقى عليها نبي الله عمه أبا طالب عند الموت: شهادة إلخ (٣). ونقول:

١ - ان من الواضح: ان الذين يسألونه عما ينجي من الوسوسة كانوا يقولون تلك الكلمة، ويشهدون الشهادتين، ولكنهم كانوا - مع ذلك -

(١) الروض الأنف ج ٢ ص ١٧٠ / ١٧١.
(٢) حياة الصحابة ج ٢ ص ١٤٠ / ٥٤٥ وكنز العمال ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ عن أبي يعلى والبوصيري في زوائده، وعن طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣١٢.
(٣) مجمع الزوائد ج ١ ص ١٥، وكنز العمال ج ١ ص ٢٦٢ و ٦٣ عن أبي يعلى، وابن خزيمة، وابن حبان والبيهقي وغيرهم كثير جدا.

مبتلين بالوسوسة فكيف يأمرهم " صلى الله عليه وآله وسلم " بقولها للنجاة من ذلك؟! .

إلا أن يكون المراد: كثرة التلفظ بها وتكرارها.

ولكن ربما يقال: إن إرادة هذا المعنى بعيد عن مساق الرواية.

ب - إن نفس هذه الرواية مروية بسند صحيح، وتفيد: أن الخلاف كان بين سعد وعثمان، وأن الذي حكم بينهما هو عمر بن الخطاب، وذكر: دعوة ذي النون: " لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ". ولم يذكر أبا طالب (١).

٢ - لما مذ أبو قحافة يده ليسلم بكى أبو بكر، فقال له (ص): ما يبكيك؟ قال: لان تكون يد عمك مكان يده، ويسلم، ويقر الله به عينك أحب إلي من أن يكون (٢).

ونقول:

أ - قد تقدمت هذه الرواية بنحو يدل على ايمان أبي طالب عن عدد من المصادر، فلا نعيد.

ب - قد جاء أنه لما أسلم أبو قحافة لم يعلم أبو بكر باسلامه، حتى بشره النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بذلك (٣) فكيف يكون أبو بكر قد قال ذلك حين مد يده؟! .

(١) مجمع الزوائد ج ٧ ص ٦٨ عن أحمد ورجاله رجال الصحيح، باستثناء إبراهيم بن محمد بن سعد وهو ثقة، وحياة الصحابة عنه وعن الترمذي وعن الكنز ج ١ ص ٢٩٨ عن أبي يعلى والطبراني - وصحح.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ١١٦ والحاكم وصححه على شرط الشيخين، وعن عمر بن شبة وأبي يعلى، وأبي بشر سمويه في فوائده، ونصب الراية ج ٦ ص ٢٨١ / ٢٨٢ عن عدد من المصادر في هامشه، والمصنف ج ٦ ص ٣٩، وفي هامشه عن ابن أبي شيبه ج ٤ ص ١٤٢ و ٩٥ وأبي داود ٤٥٨ ومسند أحمد ج ١ ص ١٣١.

(٣) المحاسن والمساوي ج ١ ص ٥٧.

٣ - لما توفي أبو طالب، جاء علي إلى النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " وقال له: إن عمك الشيخ الضال قد توفي. وفي رواية أن عليا رفض ما أمره به النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " من تغسيله، ودفنه، فأمر أن يتولى ذلك غيره (١). ونقول:

أ - قد روى أحمد في مسنده هذه الرواية، وفيها: إن عمك الشيخ قد توفي، من دون ذكر كلمة " الضال " (٢).

ب - ولو لم يكن مؤمنا فلماذا يأمر بتغسيله؟.

ثم كيف يأمر عليا بتغسيله ولا يأمر عقيلًا، أو طالبا اللذين كانا مشركين؟. إلا أن يقال: إنهما لم يكونا على استعداد لاطاعته.

ج - كيف يتناسب هذا مع كونه " صلى الله عليه وآله وسلم " قد حزن، وترحم عليه، ودعا له، وعارض جنازته، ومشى فيها، مع أنهم يروون: أنه لا يجوز المشي في جنازة المشرك؟! (٣).

د - هل صحيح: أن عليا " عليه السلام " رفض تنفيذ ما أمره به النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، حتى احتاج لان يأمر بان يتولى ذلك غيره؟ فهل كان علي يملك نفسية متمردة كهذه النفسية؟ حاشاه!

ه - ماذا يصنع هؤلاء بما ورد عن كثير من المصادر من أن عليا عليه السلام هو نفسه قد تولى تغسيله ودفنه، واغتسل

(١) المصنف ج ٦ ص ٣٩ وراجع كنز العمال ج ١٧ ص ٣٢ و ٣٣ ونصب الراية ج ٢ ص ٢٨١ و ٢٨٢ وفي هامشه عن عدد من المصادر.

(٢) مسند الإمام أحمد ج ١ ص ١٢٩ / ١٣٠ وأنساب الأشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٤ وفيه أنه أمره هو فواراه.

(٣) قد تقدمت بعض مصادر ذلك في أوائل هذا البحث، وعن عدم جواز المشي في جنازة المشرك، راجع كتب الحديث كسنن البيهقي وغيره.

بعد تغسيله إياه غسل المس الواجب من مس كل ميت مسلم (١).
خطابيات وأرجاز المدني:
وبعد ما تقدم، إذا كان أبو طالب مسلماً مصداقاً؟ فلا يصغى لأرجاز
وخطابيات أمثال المدني، غير الموافقة للعقل والدين. ولا يفيدهم
تملقهم البارد، ولا تظاهرهم بالصلاح، حتى ليقول المدني: " وددت أن
أبا طالب كان أسلم، فسر به رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " وأني
كافر (٢) "!!".

سرية إيمان أبي طالب:

إننا إذا تتبعنا سير الدعوة، ومواقف أبي طالب فإننا نجد: أنه كان
بادئ ذي بدء يكتنم إيمانه، تماماً كمؤمن آل فرعون، والظاهر أنه قد
استمر يظهر ذلك تارة، ويخفيه أخرى إلى أن حصر الهاشميون في
الشعب، فصار يكثر من اظهار ذلك.
وقد ورد عن الإمام الصادق " عليه السلام " قوله: " إن مثل أبي طالب
مثل أصحاب الكهف أسروا الايمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله اجرهم
مرتين (٣) ".

وعن الشعبي، يرفعه عن أمير المؤمنين " عليه السلام " قال: كان
والله أبو طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف مؤمناً مسلماً يكتنم إيمانه؟

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠١.

(٢) عيون الاخبار ج ١ ص ٢٦٣ لابن قتيبة.

(٣) أمالي الصدوق ص ٥٥١، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٧٠، وأصول الكافي
ج ١ ص ٣٧٣، وروضة الواعظين ص ١٣٩، والبحار ج ٣٥ ص ١١١ والغدير
ج ٧ ص ٣٨٠ - ٣٩٠ عنهم وعن: الحجة لابن معد ص ١٧ و ١١٥ وتفسير أبي
الفتوح ج ٤ ص ٢١٢، والدرجات الرفيعة، وضياء العالمين.

مخافة على بني هاشم أن تنابذها قريش. وكذا عن ابن عباس (١). وقد تقدم: أن محمد بن الحنفية حمل في حرب الجمل على رجل من أهل البصرة، قال: فلما غشيته قال: أنا على دين أبي طالب، فلما عرفت الذي أراد كففت عنه (٢).

وثمة أحاديث أخرى عديدة بهذا المعنى لا مجال لذكرها (٣). ولكن لا بد أن نذكر رواية أخرى، ولعلها هي الأقرب إلى واقع الامر، وهي ما ذكره الشريف النسابة العلوي، المعروف بالموثق، باسناده: أن أبا طالب لما مات لم تكن الصلاة على الموتى، فما صلى النبي عليه، ولا على خديجة، وإنما اجتازت جنازة أبي طالب، وعلي وجعفر (٤)، وحمزة جلوس، فقاموا، وشيعوا جنازته، واستغفروا له. فقال قوم: نحن نستغفر لموتانا وأقاربنا المشركين أيضا - ظنا منهم أن أبا طالب مات مشركا؟ لأنه كان يكتنم إيمانه فنفى الله عن أبي طالب الشرك، ونزه نبيه، والثلاثة المذكورين " رحمهم الله " عن الخطأ في قوله: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أولي قربى).

فمن قال بكفر أبي طالب، فقد حكم على النبي بالخطأ والله تعالى قد نزهه عنه في أقواله وافعاله الخ (٥).

(١) الغدير ج ٧ ص ٣٨٨ عن كتاب الحجّة ص ٢٤ و ٩٤ و ١١٥. وراجع أمالي الصدوق ص ٥٥٠.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٦٧.

(٣) راجع الغدير ج ٧ ص ٣٣٨ - ٣٩٠ عن: الفصول المختارة ص ٨٠ واكمال الدين ص ١٠٣، وكتاب الحجّة لابن معد عن أبي الفرج الأصفهاني.

(٤) لقد كان جعفر بالحبشة، فيما أن يكون قد جاء في زيارة. قصيرة ثم رجع. وإما أن يكون الراوي قد ذكره من عند نفسه سهوا أو عمدا.

(٥) الغدير ج ٧ ص ٣٩٩ عن كتاب الحجّة لابن معد ص ٦٨.

ضرورة سرية إيمان شيخ الأبطح:
ونستطيع أن نقول: إن سرية إيمان أبي طالب كانت ضرورة لا بد
منها؟ لأن الدعوة كانت بحاجة إلى شخصية اجتماعية قوية تدعمها،
وتحافظ على قائدها، شرط أن لا تكون طرفا في النزاع. فبتكلم من مركز
القوة لتتمكن الدعوة من الحركة، مع عدم مواجهة ضغط كبير يشل
حركتها، ويحد من فاعليتها.

قال ابن كثير وغيره: " إذ لو كان أسلم أبو طالب (ونحن نقول:
أسلم، ولكنه كتم إيمانه واسلامه)؟ لما كان له عند مشركي قريش وجاهة،
ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه، ولا يتجرأوا عليه، ولمدوا أيديهم
وألسنتهم بالسوء إليه " (١).

لماذا الافتراء على أبي طالب:
وأخيرا.. فعمل ذنب أبي طالب الوحيد، هو أنه كان أبا لأمر
المؤمنين علي " عليه السلام "، فالمستهدف بهذه النسبة الشنيعة في
الحقيقة هو ولده، الشوكة الجارحة في أعين الأمويين، والزييريين، وكل
أعداء الاسلام. فهم يريدون النيل من علي في كل أمر يرتبط به حتى
وسلط النوبة إلى أخيه جعفر، وأبيه أبي طالب " رحمه الله "، ثم إلى كل
شيئته ومحبيه، بل إننا لا نكاد نرى فضيلة ثبتت له بسند صحيح عند
مختلف الفرق الاسلامية الا ولها نظير في الخلفاء الثلاثة، ولكن بسند
ضعيف عندهم على الأكثر، ولله الحمد وله الحجة البالغة.
ويقينا لو كان أبو سفيان أو أي شخص آخر، من آباء مخالفي
علي " عليه السلام " قد عمل معشار ما عمله أبو طالب، لرأيت من الشاء
العاطر عليه، والتبجيل والتقدير، والأحاديث في فضله، وماله من

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٤١، وراجع السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٤٦.

الكرامات والشفاعات، إن دنيا، وإن آخرة، ما يفوق حد الحصر، ويزيد ويتضاعف باستمرار في كل مصر، وعصر.
والغريب في الامر: أن أبا سفيان، أبا معاوية الذي يقول لعثمان
حينما صارت إليه الخلافة: قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها
كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا
نار (١) إن أبا سفيان هذا مؤمن تقي عادل، معصوم، وأبو طالب - أو فقل:
أبو علي - كافر مشرك، وفي ضحضاح من نار، يبلغ كعبه، ويغلي منه
دماغه!! ما عشت أراك الدهر عجبا!!.

أبو لهب ونصرة النبي (ص):

ونشير أخيرا هنا إلى أنهم يذكرون: أنه بعد أن توفي أبو طالب أعلن
أبو لهب استعدادة لنصرة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ". فاحتالت
قريش فأخبرته أنه يقول: إن أباك عبد المطلب في النار، فسأله عن ذلك،
فأخبره بما طابق ما أخبروه به؟ فتخلى عن نصرته، وانقلب ليكون عدوا له
ما عاش (٢).

ونحن لا نشك في كذب هذه القضية.

فأولا: كيف لم يعلم أبو لهب طيلة عشر سنين من عداته للنبي،
ومحاربتة له: أن هذا هو رأيه ورأي الاسلام في كل من يموت مشركا بالله
تعالى؟! وعلى أي شئ كان يحاربه طيلة هذه المدة إذن؟!
وثانيا: لماذا عاداه في حياة أبي طالب، ثم عاد إلى حمايته ونصرته
بعد وفاته؟! ولماذا لم يفعل أبو طالب كما فعل أبو لهب؟، أو لماذا لم

(١) النزاع والتخاصم ص ٢٠.

(٢) راجع على سبيل المثال: البداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٤ عن ابن الجوزي وتاريخ
الخميس ج ١ ص ٣٠٢.

يفعل أبو لهب مثل فعل أبي طالب!
وثالثا: قد أسلفنا أن عبد المطلب لم يكن مشركا، بل كان على دين
الحنيفية مؤمنا صادق الايمان.

سر افتعال الرواية:

ولعل سر افتعال هذه الرواية هنا هو إظهار: أن حماية أبي طالب لم
تكن إلا بدافع العصبية والحمية القبلية، أو الحب الطبيعي.
ولكن أين كانت حمية وعصبية أبي لهب قبل هذا الوقت، وأين كان
حبه الطبيعي لابن أخيه؟ ولا سيما حينما حصرت قريش الهاشميين في
الشعب، وكادوا يهلكون جوعا؟!.

وأين ذهب حميته بعد ذلك؟ وهو الذي كان يتبع محمدا " صلى الله
عليه وآله وسلم " من مكان إلى مكان يؤذيه، ويصد الناس عنه ما استطاع
إلى ذلك سبيلا.

وقد قدمنا بعض الكلام في ذلك، حين الكلام على توضيحات أبي
طالب، فلا نعيد.

الباب الرابع:
من وفاة أبي طالب حتى الهجرة إلى الحبشة

(٢٦٠)

الفصل الأول:
الهجرة إلى الطائف

(٢٦٣)

لا بد من تحرك جديد:
لقد فقد النبي الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم " بوفاة أبي طالب
نصيرا قويا، دافع عن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وعن دعوته
الإلهية، بيده ولسانه، وشعره، وولده، وعشيرته، وكل مواهبه وطاقاته،
وضحى من أجله بمر كزه وماله وعلاقاته الاجتماعية، كما قدمنا - فاعتقدت
قريش انه " صلى الله عليه وآله وسلم " سيضعف عزمه عن مواصلة جهوده،
بعد أن مات ناصره. فنالته بعد وفاة شيخ الأبطح بأنواع الأذى، مما عجزت
عنه في حياة عمه العظيم، ووجدت الفرصة للتنفيس عن حقدتها، وصب
جام غضبها على ذلك الذي ترى فيه سببا لكل مشاكلها ومتاعبها.
ورأى " صلى الله عليه وآله وسلم " أن الدعوة الاسلامية تتعرض
لضغوط قوية تمنع من انتشارها، ومن دخول الآخرين فيها، ما داموا لا
يرون في ذلك الدخول إلا العذاب والنكال، وإلا الذل والمهانة. بل يمكن
أن يتعرض ما حصل عليه، وجاهد من أجله وفي سبيله لاختار بما لا
يكون في وسعه مواجهتها وتجاوزها بنجاح تام.
ومن هنا فقد كان لا بد من تحرك جديد، يعطي للدعوة دفعة
جديدة، ويجعلها أكثر حيوية، وأكثر قدرة على مواجهة الاخطار المحتملة

وإذا كان بقاؤه " صلى الله عليه وآله وسلم " في مكة - إن لم يكن فيه خطر علي الدعوة - معناه جمودها، وتحجيمها، وشل حركتها، فإن من الطبيعي أن يبحث عن مكان آخر تتوفر فيه له حرية الحركة، والدعوة إلى الله، بعيدا عن أذايا قريش ومكائدها. ويتوفر فيه متنفس لهؤلاء المسلمين الذين تنالهم قريش بمختلف أنواع العذاب والتنكيل، قبل ان يتطرق الياس إلى نفوسهم، وينهاروا امام تلك الضغوط التي يتعرضون لها باستمرار.

فكان كل ذلك وسواه دافعا إلى الهجرة إلى الطائف.

الهجرة إلى الطائف في كلمات المؤرخين:

فبعد ان أذن الله له " صلى الله عليه وآله وسلم " بالخروج من مكة إذ قد مات ناصره؟ خرج إلى الطائف، ومعه علي " عليه السلام " (١) - أو زيد بن حارثة أو هما معا (٢) على اختلاف النقل - وذلك لليلال بقين من شوال سنة عشر.

فأقام في الطائف عشرة أيام، وقيل: شهرا، لا يدع من أشرفهم أحدا إلا جاءه، وكلمه، فلم يجيبوه، وخافوا على أحداثهم؟ فطلبوا منه أن يخرج عنهم، وأغروا به سفهاءهم؟ فجلسوا له في الطريق صفين، يرمونه بالحجارة، وعلي " عليه السلام " يدافع عنه، حتى شج في رأسه، أو ان الذي شج في رأسه هو زيد بن حارثة.

ويقولون: إنه " صلى الله عليه وآله وسلم " التجأ إلى بستان لعبنة وشيبة ابني ربيعة، وجلس في أحد جوانبه، فتحركت عاطفة ابني ربيعة،

(١) سيرة المصطفى ص ٢٢١ / ٢٢٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ٩٧ عن الشيعة.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٧ عن المدائني وسيرة المصطفى ص ٢٢١ / ٢٢٢.

وهما يريان ما به من الجهد، فارسلا إليه غلامهما عداسا وهو نصراني من أهل نينوى - بعنب، فوضعه بين يديه، فمد إليه يده، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فتعجب عداس من أن يكون بهذا البلد أحد يذكر الله، وجرت بينهما مكالمة انتهت باسلام عداس. فقال أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك.

ثم انصرف " صلى الله عليه وآله وسلم " راجعا إلى مكة، فاستعد أعداؤه للقائه بأنواع من الأذى لم يعرفها من قبل. ولكنه " صلى الله عليه وآله وسلم " كان مصمما على مواجهة كل الاحتمالات؟ حيث قال لرفيقه علي، أو زيد: إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه.

فطلب من الأحنس بن شريق ان يجيره ليتمكن من دخول مكة، فرفض علي اعتبار انه حليف، والحليف لا يجير علي الصميم (١). ثم طلب من سهيل بن عمرو أن يجيره، فرفض أيضا، لأنه من بني عامر فلا يجير علي بني كعب، فدخل مكة بجوار المطعم بن عدي، الذي تجهز ومن معه بالسلاح لحمايته؟ فأمضت قريش جواره. ويقول البعض: إنه رد عليه جواره من أول يوم وصوله. وقال آخرون: بل استمر في جواره مدة. هكذا باختصار يروي المؤرخون قضية الهجرة إلى الطائف، ثم العودة منها.

هجرات أخري له " صلى الله عليه وآله وسلم ":
ويقولون أيضا: إنه بعد وفاة عمه خرج إلى بني صعصعة، ومعه

(١) قد تقدمت مصادر ذلك حين الكلام على هجرة أبي بكر، ثم دخوله مكة بجوار ابن الدغنه.

علي؟ فلم يجيبوه، وغاب عن مكة عشرة أيام. وهاجر أيضا مع علي وأبي بكر إلى بني شيبان، وغاب ثلاثة عشر يوما، فلم يجد عندهم نصرة (١). ولا بد لنا هنا من وقفات لبيان بعض الأمور التي ترتبط بما تقدم، ونراها هامة، إلى حد ما، وهي التالية:

١ - ما ذكر عن عداس:

إننا نشك فيما ذكر من دور عداس، وأكله " صلى الله عليه وآله وسلم " العنب المهدى إليه، وذلك لما يلي:

أولا: ما تقدم في الفصل السابق من أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لم يكن يقبل هدية مشرك، ولا يرضى بان يكون له أي فضل أو نعمة عليه، يستحق بها المكافأة. فكيف قبل هدية ابني ربيعة المشركين، ورضي بان يكون لهما فضل عليه؟! إلا أن يقال: إنما قبل هدية عداس، ولعله لم يكن يعلم أن ابني ربيعة هما اللذان أرسلاه.

وثانيا: إن هذه الرواية تنص على أن عداسا قد أسلم. مع أن البعض ينص على أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " قد عاد من الطائف محزونا، لم يستجب له رجل ولا امرأة (٢).

إلا أن يقال: إن المراد: أنه لم يستجب له أحد من الأحرار، أو لم يستجب له أحد من أهل نفس البلد. وعداس من أهل نينوى.

ثالثا: كان قد مضى على دعوة الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " الناس إلى الاسلام حوالي عشر سنوات، وكانت شهرة دعوته قد تجاوزت مكة إلى غيرها من الأقطار والامصار. وأصبح ذكره وذكر ما جاء به على

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٢٦.
(٢) راجع: طبقات ابن سعد ج ١ القسم الأول ص ١٤٢.

كل شفة ولسان.
كما أنه قد مضى على وجود النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " في
الطائف نفسها عشرة أيام، أو شهر وهو يدعو الناس إلى الله، لا يفتر ولا
يمل فكيف إذن يتعجب عداس من ذكر الله في ذلك البلد؟!
فهل من المعقول: أن يكون عداس لم يسمع بذكره " صلى الله عليه
وآله وسلم " ولا بدعوته هذه المدة كلها، سواء مدة وجوده في الطائف، أو
مدة دعوته إلى الله في المنطقة؟!
وقد قدمنا بعض الكلام عن عداس في مناقشتنا لروايات بدء الوحي
فلا نعيد.

٢ - دخوله " صلى الله عليه وآله وسلم " مكة بجوار:
وتقدم: أن الأحنس بن شريق، وسهيل بن عمرو لم يقبلا أن يجيرا
النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " ليدخل مكة. واحتج الأحنس بأنه
حليف، والحليف لا يجير على الصميم. فدخل " صلى الله عليه وآله
وسلم " بجوار المطعم بن عدي، ونحن نشك في ذلك أيضا.
فأولا: قد قدمنا: أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " لم يكن يقبل ان
يكون لمشرك عنده يد يستحق الشكر عليها. وهذه يد ولا شك.
وثانيا: كيف لم يعلم النبي الذي بلغ من العمر حوالي خمسين
عاما، ويعيش بين العرب، كيف لم يعلم طيلة هذه المدة: أنه ليس
للحليف أن يجير على الصميم عندهم؟!
وان بني عامر لا تجير على بني كعب؟!
وثالثا: أليس هذا يعتبر ركونا للظالمين، ولغير أهل دينه، والله تعالى
يقول: (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم). ويقول: (ولا تركنوا إلى الذين
ظلموا، فتمسكم النار) (١)؟

(١) سورة هود الآية ١١٣.

إلا أن يجاب عن هذا بالنفي، فإن هذا المقدار من الركون ليس بمقصود في الآية.

ورابعا: إننا نجد عثمان بن مظعون يرد جوار الوليد بن المغيرة، رغبة منه في مواساة أصحابه؟ فهل يعقل أن يكون النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أقل من ابن مظعون في ذلك؟! ولا يستطيع الصبر على تحمل المشاق والأذى الذي استعدت قريش لتناله به؟ إن ذلك لعجيب حقا!!.

ثم لماذا لم يخف من الأذى حين رد على المطعم جواره، لا سيما إذا كان قد رده عليه من أول يوم؟!.

وأما أنه كان يخشى على نفسه القتل، فلذلك طلب الجوار؟ فجوابه أنه كان يعلم: أن قريشا لا تستطيع ذلك. وأنها تعرف: أنه في غير صالحها في تلك الظروف، وبالأخص إذا كان ذلك علنا.

ثم أين كان عنه الهاشميون في تلك الساعة؟ ولماذا لا يحمون كبيرهم وسيدهم حتى يحتاج إلى جوار الآخرين؟!.

وأين كان عنه أسد الله وأسد رسوله، الذي فعل بابي جهل ما فعل كما تقدمت الإشارة إليه؟!.

٣ - إسلام نفر من الجن:

ويذكر هنا: أنه وهو " صلى الله عليه وآله وسلم " منصرف من الطائف إلى مكة، التقى ببعض الجن، فقرأ عليهم القرآن فأمنوا به، ورجعوا إلى قومهم، مبشرين ومنذرين، فقص الله خبرهم في سورة الجن، فقال: (قل أوحى إلي: أنه استمع نفر من الجن، فقالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد).

ولكن الظاهر: أن قضية الجن قد كانت في أوائل البعثة؟ حيث إن الرواية تذكر: أنه لما بعث النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، حيل بين

الجن وبين استراق السمع في السماء، وأرسلت عليهم الشهب، ففهموا: أن ذلك إنما هو لحدث جرى في الأرض فعادوا إليها، وبحثوا عن الامر، فوجدوا أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " قد بعث، فاستمعوا القرآن وآمنوا، فنزلت الآية (١).

وفي رواية أخرى: أن إبليس أرسل جنوده ليكشفوا له الامر، فعادوا إليه نبأ بعثته " صلى الله عليه وآله وسلم " (٢).

وإلى ما ذكرناه من كون ذلك في أوائل البعثة ذهب ابن كثير أيضا (٣)

ويدل على ذلك أيضا: أن عددا من الروايات تذكر: أن ابن مسعود كان معه " صلى الله عليه وآله وسلم " ليلة الجن (٤). وابن مسعود من المهاجرين إلى الحبشة، فلا بد أن تكون القضية قد حدثت قبل هجرته إليها، أي قبل الخامسة من البعثة.

٤ - الطائف وعلاقتها بمن حولها:

إن أهل الطائف كانوا مرتبطين اقتصاديا بأهل مكة، ومن حولهم، لانهم كانوا يصدرون الفاكهة التي هي عمدة محاصيلهم إلى مكة وغيرها

(١) راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ٢٧٠ / ٢٧٥، عن: البخاري، ومسلم، وعبد بن حميد، وأحمد، والترمذي والنسائي، والحاكم، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معا في الدلائل وغير ذلك. وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ويقال: إن آيات سورة الأحقاف قد نزلت حين رجوعه من الطائف بهذه المناسبة. ولكن يدفع ذلك ما في الدر المنثور ج ٦ ص ٤٥ عن مسلم، وأحمد، والترمذي، وعبد بن حميد وغيرهم.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٤.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٣ عن المواهب اللدنية.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٠٤.

من الأطراف المحيطة بهم.
فهم يرون مصيرهم مرتبطا اقتصاديا واجتماعيا بغيرهم، وهم بحاجة إلى التقرب والتزلف إلى ذلك الغير، واستجلاب محبتهم ورضاهم، حتى لا يتعرضوا للضغط الاجتماعي، أو إلى حصار اقتصادي - كما جرى لبني هاشم - من قبل من يحيط بهم، لا سيما من المكيين، حيث السوق الرئيس لمنتجاتهم.
ثم إنه قد كان لهم صنم يقال له اللات، وكان له سدنة. ويزوره العرب (١) فكان لهم مركز ديني أيضا بين العرب، يهتمون جدا بالمحافظة عليه.

ومن هذا وذاك، نعرف السر في أنهم كانوا أشداء في مواجهة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وحريصين على اخراجه من بينهم بسرعة.

ويشار هنا: إلى أن أهل الطائف الذين قتلوا عروة بن مسعود الداعي إلى الاسلام قد تأخر اسلامهم إلى أواخر حياة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " فوفدوا عليه " صلى الله عليه وآله وسلم " في سنة تسع، سنة الوفود ولم يؤمنوا إلا بعد أن ادركوا: أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب. فلا يخرج لهم مال إلا نهب، ولا إنسان إلا أخذ؟ فلما رأوا عجزهم اجتمعوا وأرسلوا.. الخ (٢).

(١) الأضنام للكلبى ص ١٦، والسيرة النبوية لدحلان مطبوع بهامش الحلبية ج ٣ ص ١١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٣٥.
(٢) راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ / ٢٨٣ وراجع أيضا: السيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٩ مطبوع بهامش الحلبية والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٨٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٣٥.

٥ - الاسلام دين الفطرة:

إننا نلاحظ، أن أهل الطائف قد خافوا على أحداثهم من دعوة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، رغم أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لم يقم بينهم سوى فترة قصيرة جدا. الامر الذي يؤكد على أن الاسلام كان يجد سبيله بيسر وسهولة إلى العقول الصافية والنفوس البريئة وينسجم مع الفطرة السليمة، التي لم تتلوث بعد بالمفاهيم المنحرفة، ولم تطغ عليها عوامل المصالح الشخصية، والعواطف القبلية، وغير ذلك. وكيف لا يجد سبيله إليها بيسر، وهو الدين القائم على الدليل والبرهان العقلي، والمنسجم مع الفطرة، وهو دين الضمير والوجدان الحي.

ومن هنا، فإننا نلاحظ: أنهم لم يمكنهم الرد عليه ومناقشته، بل طلبوا منه أن يخرج من بينهم، وحاولوا ان يشوهوا صورته في أذهان أولئك الذين استمعوا إليه، - وفي أذهان الصغار الذين أغروهم به " صلى الله عليه وآله وسلم " والذين يمكن ان تؤثر فيهم دعوته - بما استعملوه ضده من أساليب غير منطقية، وإنما تتميز بالإهانة والأذى، ثم السخرية والاستهزاء الجارح والمهين.

٦ - هل كانت هذه سفرة فاشلة؟!.

ولربما يتسأل البعض: عن الفائدة لهذه الرحلة الفاشلة؟ وفي جوابه نقول: إن هذه الرحلة لم تكن فاشلة، كما ربما يتصور البعض.

فإن من الطبيعي أن تترك هذه الحادثة آثارا إيجابية من نوع ما في أذهان من التقى بهم، وكلمهم، وان تثمر فيما بعد ثمارها المطلوبة والمرجوة

منها. حيث قد أثرت بشكل واضح في تهيئة الجو لايمان ثقيف فيما بعد ذلك عندما قويت شوكة الاسلام، ولم تعد تخشى الضغوط الاقتصادية والاجتماعية عليها ممن حولها، ولا سيما من قريش بل أصبح الضغط من جانب المسلمين لان القبائل كانت تفد إلى النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " فتعلن عن إسلامها، ويكتب لها كتابا، ويشترط قطع العلاقات مع المشركين فأخافهم ذلك وأرعبهم.

وقد كانت قريش تشيع عن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ": أنه مجنون أو ساحر، أو كاهن الخ، فهذا هو " صلى الله عليه وآله وسلم " يتصل بالناس مباشرة، ويلمسون بأنفسهم حقيقة الامر، ويتعرفون عن قرب على شخصيته وخصائصه، بحيث تسقط كل الإشاعات الكاذبة والمغرضة؟ وليصير الايمان به ورسالته، وبنبوته أسهل وأيسر، وليصبح أكثر قوة وعمقا ورسوخا.

الفصل الثاني:
حتى بيعة العقبة

(٢٧٥)

المجاعة:

ثم هاجت الأزمة، وهى الجوع فى قرىش، وأهل مكة، وكان ذلك بدعاء النبى " صلى الله عليه وآله وسلم " الذى دعا عليهم - حتى أكلوا العلهز (١)، والقد، وحتى أحرقوا العظام فأكلوها وأكلوا الكلاب الميتة، والجيف، ونبشوا القبور، وأكلت المرأة طفلها.. وحتى كان الرجل يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان؟ فشغل ذلك الناس بأنفسهم وبمشاكلهم، فأتاحت الفرصة للنبى " صلى الله عليه وآله وسلم " - ولو لفترة قصيرة - ليتحرك فى سبيل دينه ورسالته داعيا إلى الله، ومجاهدا فى سبيله. فلما دخلت سنة إحدى عشرة من البعثة، جاء أبو سفيان إلى النبى " صلى الله عليه وآله وسلم " فقال: يا محمد، جئت بصلة الرحم، وقومك قد هلكوا جوعا، فادع الله لهم، فدعا رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " لهم؟ فكشف عنهم يقول الله عز وجل: (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) (٢).

(١) العلهز: دم يابس يدق به أوبار الإبل فى المجاعات ويؤكل.
(٢) الدخان / ١٥. راجع: البدء والتاريخ ج ٤ ص ١٥٧، وتفسير البرهان ج ٤ ص ١٦٠ عن المناقب لابن شهر آشوب.

فإن الظاهر هو ان هذه الآية قد جاءت جوابا لقولهم: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون. ثم تحدث عنهم تعالى بأسلوب الغائب مشيرا إلى ما صدر منهم سابقا مما يدل على عدم وثوقه في وعدهم، ثم عاد إلى خطابهم بالآية الانفة الذكر، متوعدا إياهم بالعذاب الأليم في الآخرة في صورة عودتهم إلى العناد.

ونشير هنا: إلى أن رجوع أبي سفيان إلى النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " ليؤكد على أن المشركين كانوا يعرفون أن ما جاء به " صلى الله عليه وآله وسلم " هو الحق، ولكنهم جحدوا ذلك استكبارا وعتوا، وعلوا، وحفاظا على الامتيازات الظالمة التي جعلوها لأنفسهم.

ومن الجهة الثانية، فإننا نجد " صلى الله عليه وآله وسلم " يستجيب لطلب أبي سفيان، ولكن ليس فقط لأجل ما ذكره من لزوم صلة الرحم؟ لان الاسلام هو الصلة الحقيقية بين أبناء البشر جميعا، وعلى أساسه تكون الاخوة بينهم. وإنما يستجيب له ليعطيه دليلا جديدا على أحقية ما جاء به، وليقيم الحجة عليه، وعلى كل من يرى رأيه؟ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة. وليمنح الفرصة للذين يعيشون بعيدا عن الأضواء، وليس لهم مصالح دنيوية كبيرة، ليفكروا بموضوعية وتجرد؟ بعيدا عن الأجواء المصطنعة.

عرض الاسلام على القبائل:

لقد كان النبي الأكرم " صلى الله عليه وآله وسلم " يغتتم الفرصة في مواسم الحج؟ فيعرض على القبائل، قبيلة قبيلة، أن تعتنق الاسلام، وتعمل على نشره وتأييده، وحمائته ونصرته. بل كان لا يسمع بقادم إلى مكة، له اسم وشرف، إلا تصدى له، ودعاه إلى الاسلام. ولكن عمه أبا لهب كان يتبعه أنى توجه، ويعقب على كلامه، ويطلب منهم ان لا يقبلوا منه ولا يطيعوه في شئ. هذا بالإضافة إلى اتهامه

بالجنون، والسحر والكهانة، والشعر، وغير ذلك.
وكان الناس في الغالب يسمعون من قريش! إما خشية من سلطانها
ونفوذها، وإما حفاظا على مصالحهم الاقتصادية في مكة، لا سيما في
مواسم الحج، وعكاظ.
كما أن تصدي أبي لهب عم النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بالذات
لإفساد الأمر عليه " صلى الله عليه وآله وسلم " كان أبعد تأثيرا في
ذلك، على اعتبار: أنه عمه، وأعرف الناس به.
ولقد أفادت تحركات النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " هذه، حيث
إنهم بعد أن ذهب شوكة قريش، وخمد عنفوانها، وأصيب نفوذها بنكسة
قوية بسبب ظهور دعوته وانتشار دينه " صلى الله عليه وآله وسلم "، وتوالي
انتصاراته عليها، ولا سيما بعد فتح مكة. بدأت وفادات العرب تترى إلى
المدينة، بعد أن أمنوا غائلة عداء قريش، ليعلنوا عن ولائهم ومساندتهم،
لان دعايات قريش واشاعاتها الكاذبة قد ذهب أثرها، وبطل مفعولها،
لانهم قد رأوا هذا النبي عن قرب، وعرفوا فيه رجاحة العقل، واستقامة
الطريقة، منذ اجتمعوا به في تلك المواسم، وعرض دعوته عليهم.
وقد صرح المؤرخون بأن العرب كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشا و
كانوا إمام الناس، وأهل الحرم، وصريح ولد إسماعيل لا تنكر العرب
ذلك.

فلما فتحت مكة واستسلمت قريش عرفت العرب أنها لا طاقة لها
بحرب رسول الله ولا عداوته، فدخلوا في الدين أفواجا (١).
بل إنه " صلى الله عليه وآله وسلم " حينما كان يعرض دعوته على
القبائل كانوا يردون عليه. أقبح الرد، ويقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم

(١) راجع الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٨٦ / ٢٨٧.

بك حيث لم يتبعوك (١). وهذا يدل على أن الخوف من قريش لم يكن هو الدافع الوحيد للامتناع عن الدخول في الاسلام لا سيما وأن الكثيرين من العرب كانوا بعيدين عن مكة، ولا يخشون سطوتها. ونقطة أخرى لا بد من الإشارة إليها. وهي ان تحرك النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " وعرض دين الله على القبائل، وهجراته المتعددة في سبيله ليعتبر إداة للمنطق القائل: إن على صاحب الدعوة: أن يجلس في بيته، ولا يتحرك، وعلى الناس أن يقصدوه ويسألوه عما يهمهم، ويحتاجون إليه.

بنو عامر بن صعصعة، ونصرة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " ونشير هنا إلى واقعة هامة، حدثت في خلال عرض النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " دعوته على القبائل، وهي: ان رسول " صلى الله عليه وآله وسلم " قد أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم دعوته فقال لهم رجل منهم، اسمه: " بيحرة بن فراس " : والله، لو أنني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب. ثم قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على امرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أياكون لنا الامر من بعدك؟ قال: الامر لله، يضعه حيث يشاء.

فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك.

فأبوا عليه. فلما صدر الناس، رجع بنو عامر إلى شيخ لهم؟ فسألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش، ثم أحد بني عبد

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣.

المطلب، يزعم أنه نبي، يدعوننا إلى أن نمنعه، ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا.

فوضع الشيخ يديه على رأسه، ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذناهاها من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده، ما تقولها إسماعيلي قط، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم! (١) ومثل ذلك جرى له " صلى الله عليه وآله وسلم " مع قبيلة كندة، كما ذكره أبو نعيم في دلائل النبوة (٢).

ونحن نسجل هنا ما يلي:

١ - الأمر لله:

لقد نصت الرواية على أن الامر لله يضعه حيث يشاء، ونستفيد من ذلك:

ألف: ان الرسول لم يعط هؤلاء وعدا بما طلبوه منه، من جعل الامر لهم بعده، بل أجابهم بأن الامر لله، يضعه حيث يشاء أي انه لا يمكن ان يعد بما لا يعلم قدرته على الوفاء به، تماما على العكس من السياسيين الذين عرفناهم في عصرنا الحاضر، وعلى مر العصور الذين لا يتورعون عن اغداق الوعود المعسولة على الناس، حتى إذا وصلوا إلى غايتهم، وجلسوا على كرسي الزعامة فإنهم ينسون كل ما قالوه، وما وعدوا به. ولكن نبي الاسلام الأكرم " صلى الله عليه وآله وسلم " رغم انه كان

(١) راجع: سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٦، والثقات لابن حبان ج ١ ص ٨٩ - ٩١، بهجة المحافل ج ١ ص ١٢٨، وحياة محمد لهيكل ص ١٥٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٤٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣، والروض لانف ج ١ ص ١٨٠، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٣٩، و ١٤٠، وعن دلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٠٠ وحياة الصحابة ج ١ ص ٧٨ و ٧٩.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ١٤٠.

بأمس الحاجة إلى من يمد له يد العون لا سيما من قبيلة كبيرة تملك من العدد والعدة ما يمكنها من حمايته، والرد عنه. إلا إنه يرفض ان يعد بما لا يملك الوفاء به، حتى ولو كان هذا الوعد يجر عليه الربح الكثير فعلا.
ب - إن جواب النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لهم بقوله:
" الامر لله يضعه حيث يشاء " يؤيد ما يذهب إليه أهل البيت (ع) وشيعتهم الأبرار رضوان الله تعالى عليهم، من أن خلافة النبوة ليست من المناصب التي يرجع البت فيها إلى الناس. بل هي منصب الهي، والامر لله فيها، يضعه حيث يشاء.

٢ - سمو الهدف، والنظرة الضيقة:

وإن عرض هذه القبيلة مساعدتها على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بهذا النحو، إنما يدل على أنها لا تريد في مساعدتها له وجه الله سبحانه، ولا تنطلق في موقفها ذلك من قاعدة إيمانية قوية، وقناعة عقائدية راسخة، ولا طمعا بثواب الله، ولا خوفا من عقابه.
وإنما تنطلق في ذلك من نظرة ضيقة، مصلحة تجارية بالدرجة الأولى: وتريد من نصرها له أن تأكل به العرب، وتحصل على المجد والسلطان.

ومن الواضح - بناء على هذا - أن نصرها له لسوف ينتهي، عندما تجد: أن مصلحتها قد انتهت، وحصلت على كل ما تريد، أو حينما ترى: أن تجارتها الدنيوية قد خسرت، بل لربما تنقلب عليه إذا رأت فيه عائقا يمنعها من تحقيق أهدافها، أو الاحتفاظ بالامتيازات الظالمة التي تفرضها لنفسها.

وهكذا يتضح: أن الاعتماد على من يفكر بعقلية كهذه، وبتعامل من منطلق كهذا ليس إلا اعتمادا على سراب، إن لم يجر على من يعتمد عليه البلاء والعذاب.

٣ - الدين، والسياسة:

وقد لاحظ بعض المحققين هنا: أن هذا العربي، وهو من بني عامر بن صعصعة، لما أخبروه بما يدعو إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ونقلوا إليه ما جرى لهم معه قد أدرك: أن هذا الدين ليس مجرد ترهب في الصوامع، وصلاة، ودعاء، وأوراد، وأذكار، بل هو دين يشتمل على التدبير والسياسة، والحكم، ولأجل هذا قال: " لو أني أخذت هذا الفتى (يعني محمدا بماله من الدعوة الشاملة) لأكلت به العرب ".

ولقد سبقه إلى إدراك هذه الحقيقة شيخ الأنصار أسعد بن زرارة، لما قدم إلى مكة، وعرض عليه النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " ما يدعو إليه، فرأى: أن فيه وفي دعوته ما يصلح مجتمعه، ويعالج مشاكلهم المستعصية بينهم وبين إخوانهم من الأوس، وعلى هذا كانت الهجرة (١). وقد أدرك ذلك أيضا نفس أولئك الذين اشترطوا على النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أن يكون لهم الأمر من بعده، فرفض " صلى الله عليه وآله وسلم " طلبهم. وسيأتي ذلك عن عامر بن الطفيل، في غزوة بئر معونة.

فما أبعد ما بين فهم هؤلاء للاسلام، ولدعوة القرآن، حتى إن هذا الفهم هو الذي مهد لاسلام الأنصار، ثم الهجرة. وكذلك لبيعتهم (بيعة العقبة الأولى والثانية)، واختيار النقباء والكفلاء على المبايعين، وبين ذلك الذي يعتبر الدين منفصلا عن السياسة، وأن السياسة أمر غريب عن الدين. فإن ذلك ولا شك من القاءات الاستعمار، ومن الفكر المسيحي الغريب المستورد، كما هو ظاهر.

(١) راجع: البحار ج ١٩ ص ٩ وإعلام الورى ص ٥٧ عن القمي.

٤ - نتائج عرضه " صلى الله عليه وآله وسلم " دعوته على القبائل:
ويمكننا: أن نستفيد مما تقدم:

١ - ما تقدمت الإشارة إليه، من أن مقابلة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم للناس، والتحدث معهم مباشرة كان من شأنه: أن يعطي الناس الانطباع الحقيقي عن شخصية الرسول الأكرم " صلى الله عليه وآله وسلم "، وحقيقة ما جاء به. ويدفع كل الدعايات والإشاعات الكاذبة، والمغرضة، التي كانت تبثها قريش وأعوانها، ككونه ساحرا، أو كاهنا، أو شاعرا، أو مجنونا، أو غير ذلك من ترهات.

٢ - إن ما جرى في قضية بني عامر ليدل دلالة واضحة: على أن عرضه صلى الله عليه وآله وسلم دعوته على القبائل، قد أسهم في الدعاية لهذا الدين، ونشر صيته، في مختلف الأنحاء، والارجاء، فقد كان من الطبيعي أن يتحدث الناس، إذا رجعوا إلى بلادهم بما رأوه وسمعوه في سفرهم ذاك ولم يكن ثمة خبر أكثر إثارة لهم من خبر ظهور هذا الدين الجديد، وفي مكة بالذات.

زواج النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بسودة وعائشة:
ويقولون: إن النبي صلى الله عليه وآله قد تزوج بسودة بنت زمعة، وعقد على عائشة بنت أبي بكر وكان ذلك بعد عشر سنوات من البعثة. ولا نجد لسودة دورا هاما في التاريخ، ولا في حياة النبي صلى الله عليه وآله، أو بعده وكل الاهتمامات مركزة على عائشة، حتى لقد حكموا باستحباب العقد في شوال، لأنه صلى الله عليه وآله قد تزوج عائشة في شوال (١)!! مع أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " نفسه تزوج غيرها في أشهر أخرى!!.

(١) نزهة المجالس ج ٢ ص ١٣٧.

وعلى كل حال، فإننا لن نستطيع أن نلم في هذه العجالة بجميع ما قيل، أو يقال حولها؟ فإن ذلك متعسر، بل متعذر ولذلك فنحن نكتفي بذكر أمرين لهما صلة بموضوع زواجه " صلى الله عليه وآله وسلم " بها. ولربما يأتي إن شاء الله بحوث أخرى لجوانب أخرى مما يرتبط بها. وهذان الأمران هما: سن عائشة وجمالها وحظوتها عند النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "؟ فنقول:

١ - سن عائشة:

ويقولون: إنه " صلى الله عليه وآله وسلم " قد عقد على عائشة، وهي بنت ست سنين، أو سبع. ثم انتقلت إلى بيته بعد هجرته إلى المدينة، وهي بنت تسع. وهذا هو المروي عنها (١). ونحن نقول: إن ذلك غير صحيح، وأن عمرها كان أزيد من ذلك بكثير، ونستند في ذلك إلى ما يلي:

أولاً: إن ابن إسحاق قد عد عائشة في جملة من أسلم أول البعثة، قال: وهي يومئذ صغيرة. وأنها أسلمت بعد ثمانية عشر إنساناً فقط (٢). فلو جعلنا عمرها حين البعثة سبع سنين مثلاً فإن عمرها حين العقد عليها كان ١٧ سنة، وحين الهجرة ٢٠ سنة.

(١) راجع فيما ذكرناه: طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٣٩، والإصابة ج ٤ ص ٣٥٩، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤١٣ وتهذيب التهذيب ج ١٢، وأسد الغابة ج ٥ وغير ذلك وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٩ ص ١٩٠ لكنه ناقض نفسه ص ١٩١ فقال: أنها توفيت سنة ٥٧ هـ. وعمرها ٦٤ سنة، وهذا يعني أنها كان عمرها حين الهجرة سبع سنوات فقط.

(٢) راجع: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧١، وتهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٣٥١ و ٣٢٩ عن ابن أبي خيثمة في تاريخه عن ابن إسحاق، والبدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٦.

ثانيا: وفي مقام رفع التنافي بين قوله " صلى الله عليه وآله وسلم " لفاطمة: أنها سيدة نساء العالمين، وبين ما نسب إليه " صلى الله عليه وآله وسلم " من أنه لم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام (١). يقول الطحاوي: " قد يحتمل أن يكون ما في هذا الحديث قبل بلوغ فاطمة، واستحقاقها الرتبة التي ذكرها رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " لها. إلى أن قال: وأن كل فضل ذكر لغير فاطمة، مما قد يحتمل أن تكون فضلت به فاطمة، محتملا لأن يكون وهي حينئذ صغيرة، ثم بلغت بعد ذلك الخ " (٢).

لقد قال الطحاوي هذا، بعد أن جزم قبل ذلك بقليل، بأن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها كان عمرها حين توفيت خمسا وعشرين سنة (٣). وهذا يعني أنها قد ولدت قبل البعثة بسنتين، والفرض: أن فاطمة كانت صغيرة حينما كانت عائشة بالغة مبلغ النساء.

وثالثا: يذكر ابن قتيبة أن عائشة قد توفيت سنة ٥٨ - وعند غيره سنة ٥٧ هـ - وقد قاربت السبعين (٤) ولضم ذلك إلى ما يقوله البعض من أن خديجة قد توفيت قبل الهجرة بثلاث، أو بأربع، أو بخمس سنين ثم ما

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٣٧.

(٢) مشكل الآثار ج ١ ص ٥٢.

(٣) مشكل الآثار ج ١ ص ٤٧. وقد حمل بعض العلماء حديث فضل عائشة كفضل الثريد الخ. على المزاح منه " صلى الله عليه وآله وسلم " معها؟ لأن جوها لا ينسجم مع جو التفضيل كما في قوله " صلى الله عليه وآله وسلم ": فاطمة سيدة نساء العالمين، ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية الخ. ولا سيما بملاحظة: أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لم يكن من المهتمين بأمر الأئمة، واللذيد منها ليأتي بها كمثال على تفضيل في أمر حساس كهذا.

(٤) المعارف لابن قتيبة ص ٥٩ ط سنة ١٣٩٠ هـ.

روي عن عائشة من قولها: تزوجني رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم "، وأنا بنت تسع سنين (٢).
(ولعل هذه الرواية هي الأقرب بقرينة ما قدمناه، ولكثرة الخلط بين كلمتي " سبع " و " تسع " بسبب عدم نقط الكلمات في السابق. بل أن هذا الرقم أيضا مشكوك فيه لما تقدم، ولأن المرأة تميل إلى تقليل مقدار عمرها عادة ا.

فكلام ابن قتيبة والذي بعده يدل على أنها قد ولدت أما سنة البعثة أو قبلها. وهذا الثاني هو الأرجح لما قدمناه. في المستند الأول والثاني. إذن، فيكون عمر عائشة حين عقد النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " عليها في سنة عشر من البعثة أكثر من ست سنين بكثير، أي ما بين ثلاثة عشر إلى سبعة عشر سنة.

في طرائف الروايات الموضوعية:

ومن الموضوعات الغريبة في هذا المجال، ما جاء عن أبي هريرة: من أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لما دخل المدينة، واستوطنها طلب التزويج؟ فقال لهم: أنكحوني. فأتاه جبرئيل بخرقة من الجنة فيها صورة لم ير الراؤون أحسن منها، وأبلغه أمر الله له: أن يتزوج على تلك الصورة.

فقال له النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ": أنا من أين لي مثل هذه الصورة يا جبرئيل؟

فقال له: إن الله يقول لك: تزوج بنت أبي بكر الصديق. فمضى رسول الله إلى منزل أبي بكر، ففرع الباب، ثم قال: يا أبا بكر، إن الله أمرني أن أصاهرک، فعرض عليه بناته الثلاث فقال: إن الله أمرني أن

(١) راجع: حديث الإفك ص ٩٣.

أتزوج هذه الجارية وهي عائشة، فتزوجها رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " (١). انتهى باختصار.

وعدا عما في سند هذه الرواية، فإننا نقول:

أولاً: لم نفهم كيف يتصرف النبي تصرفاً لا يصدر عن العقلاء الذين يحترمون أنفسهم، فيطلب التزويج من الناس، ويقول لهم: أنكحوني!! إلا أن يكون صبياً صغيراً، لا حياءً عنده، ولا عقل لديه!! والغريب في الأمر: أنه لم يبادر أحد لإجابة طلبه هذا، بل عاملوه بالجفاء، وأهملوا تنفيذ طلبه، حتى جاء جبرئيل فتولى حل مشكلته.

وثانياً: هل صحيح: أن عائشة كانت من الحسن بهذه المثابة: حتى إن صورتها لم ير الراؤون أحسن منها!! لعل في ما سيأتي مقنعا وكفاية لمن أراد الرشد، والحق، والهداية.

وثالثاً: لقد تزوج النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " عائشة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، ولم يتزوجها في المدينة، وإجماع المؤرخين على ذلك ظاهر للعيان.

ورابعاً: لم نعرف البنات الثلاث اللواتي عرضهن أبو بكر على النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " فأسماء كانت تحت الزبير، وقدمت المدينة وهي حامل بولدها عبد الله وعائشة قد تزوجت النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " في مكة وأم كلثوم، قد ولدت بعد وفاة أبي بكر (٢). ولم يولد له غيرهن.

وأخيراً، فإن لقب (الصديق) قد جاء إلى أبي بكر بعد وفاة النبي

(١) تاريخ بغداد للخطيب ج ٢ ص ١٩٤، وميزان الاعتدال للذهبي ج ٣ ص ٤٤، وقد كذبا (الخطيب والذهبي) هذا الحديث الذي جميع رجال أسناده ثقات باستثناء محمد بن الحسن الدعاء الأصم. وراجع: الغدير ج ٥ ص ٣٢١.
(٢) راجع: نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٢٧٥ - ٢٧٨ لتعرف من ولدهم أبو بكر.

صلى الله عليه وآله من محبي الخليفة الأول، كما ربما نشير إليه حين الكلام على قضية الغار إن شاء الله تعالى.

٢ - جمال عائشة وحظوتها:

ونسجل هنا: أن أكثر، إن لم يكن كل ما يقال عن جمال عائشة، وعن حظوتها، وحب النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لها، إنما هو مروى عنها نفسها، أو عن ابن أختها عروة. ونحن نقطع بعدم صحة ذلك كله من الأساس.

فأولاً: لماذا لم يرو ذلك كله إلا من طريق عائشة، أو عروة ابن أختها كما يظهر من تتبع الروايات؟!.

وثانياً: إن ابن عباس يواجهها بعد حرب الجمل بحقيقة: أنها لم تكن أحسن نساء النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " وجهاً، ولا بأكرمهن حسبا (١). كما أن عمر إنما يصف زينبا بالحسن، دون عائشة؟ فإنه لم يشر إليها في قليل ولا كثير؟ كما سيأتي.

وثالثاً: قال علي فكري: " وما رواه ابن بكار: من أن الضحاك بن أبي سفيان الكلابي كان رجلاً دميماً قبيحاً؟ فلما بايعه النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " قال: إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء (يريد عائشة، وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب)؟ أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها؟ - وعائشة جالسة تسمع؟ فقالت: أهى أحسن أم أنت؟ فقال: بل أنا أحسن وأكرم.

فضحك رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " من سؤالها إياه (لأنه كان دميماً قبيح الوجه) (٢).

(١) الفتوح لابن أعمش ج ٢ ص ٣٣٧ ط الهند.

(٢) السميع المذهب ج ٢ ص ٨ - ٩.

ورابعا: قال عباد بن العوام لسهيل بن ذكوان: صف لي عائشة.
قال: كانت أدماء.

وقال يحيى: قلنا لسهيل بن ذكوان: رأيت عائشة؟
قال: نعم.
قيل: صفها.

قال: كانت سوداء (١)

إذن، فما يقال عنها، أنها كانت شقراء، ثم الاستشهاد على ذلك
بقول رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " لها: " يا حميراء .. يصبح
موضع شك وريب كبير.

ولعل قول النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لها ذلك قد جاء على
سبيل التلطف والرفق بها. أو لعله إشارة إلى قول العرب: شر النساء
الحميراء المحياض (٢) فقال لها " صلى الله عليه وآله وسلم " ذلك على
سبيل المداعبة والتلطف والمزاح.

وخامسا: إن من يتتبع سيرة زوجات النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " يجد:
أن عائشة هي التي كانت تحسد وتغار من كل زوجة وسرية
له " صلى الله عليه وآله وسلم ". ويدرك بما لا مجال معه للشك: أن
أكثرهن - إن لم يكن كلهن - كن أكثر حظوة لدى النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " من الطبيعي
أن نجد الدميم هو الذي يحسد على الجمال ويغار، أما الجميل فليس من
الطبيعي أن يحسد الدميم، وأن يغار منه.

كما أنه ليس من الطبيعي أن يكون الميل لغير ذات الجمال أكثر منه
للجميلة الوضيئة، وقد ذكر في حديث الإفك على لسان أم المؤمنين عائشة

(١) الضعفاء الكبير للعقيلي ج ٢ ص ١٥٥.

(٢) ربيع الأبرار ج ٤ ص ٢٨٠ وروض الأختيار ص ١٣٠.

قولها: " فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثرن عليها ".
ولو صدقنا: أنها كانت هي ذات الحظوة لدى الرسول، وأنه كان

يحبها أكثر من غيرها، فلماذا هذه الغيرة، وهذا الحسد منها لهن؟ فإن الحسد لا بد وأن يكون على شئ يفقده الحاسد، ويتمنى زواله عن المحسود، وانتقاله إليه.

وإليك بعض موارد غيرة وحسد عائشة لضرئرها.

٣ - حسد وغيره عائشة:

١ - خديجة عليها السلام:

عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة كما غرت على خديجة، وما بي أن أكون أدركتها. ولكن لكثرة ذكر رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " إياها، وإن كان ليذبح الشاة؟ فيتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لهن (١).

وللحديث عبارات وأسانيد مختلفة لا مجال لها الآن.

وقد ذكر النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " خديجة يوما، فغارت أم المؤمنين، فقالت: هل كانت إلا عجوزا أبدلك الله خيرا منها؟ وفي لفظ مسلم: " وما تذكر من عجوز من عجائز قریش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، أبدلك الله خيرا منها "؟ فغضب " صلى الله عليه وآله وسلم "،

(١) صحيح البخاري ج ٩ ص ٢٩٢، و ج ٥ ص ٤٨، و ج ٧ ص ٤٧، و ج ٨ ص ١٥، وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٤ و ١٣٣، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٣٨، والمصنف ج ٧ ص ٤٩٣، والاستيعاب هامش الإصابة ج ٤ ص ٢٨٦، وصفة الصفوة ج ٢ ص ٨، عن البخاري، ومسلم، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٥٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٨.

حتى اهتز مقدم شعره، ثم قال: لا والله، ما أبدلني الله خيرا منها الخ
الرواية (١).

وقال العسقلاني والقسطلاني: " وأن عائشة كانت تغار من نساء
النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، لكن كانت تغار من خديجة أكثر " (٢).
ولعمري، لقد كان هذا بعد الوفاة، فكيف لو كانت خديجة على قيد
الحياة؟! - وإذا كانت غيرة أم المؤمنين قد بلغت الأموات، فما حالها مع
الاحياء. وكيف كانت معاملتها لهن؟!.

٢ - زينب بنت جحش.

لقد اعترفت عائشة في حديث الإفك بأن زينب هي التي كانت
تساميها من أزواج النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ".
واعترفت عائشة أيضا: أنها قد أخذها ما قرب وما بعد، حينما أراد
النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أن يتزوج زينب، لما كان يبلغهم من
جمالها (٣).

وما فعلته عائشة وحفصة مع زينب، في قضية المغافير مشهور
ومستور، حتى ليقولون: إن هذا هو سبب نزول آية التحريم (٤)، وإن كنا

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٤، لكنه لم يذكر جوابه " صلى الله عليه وآله وسلم "
وأسد الغابة ج ٥ ص ٨٥٧ / ٥٥٨ و ٤٣٨ والإصابة ج ٤ ص ٢٨٣، والاستيعاب
هامشها ج ٤ ص ٢٨٦ / ٢٨٧، وصفة الصفوة ج ٢ ص ٨، ومسند أحمد ج ٦
ص ١١٧، وليراجع البخاري ج ٢ ص ٢٠٢ ط سنة ١٣٠٩ هـ. ق والبداية والنهاية
ج ٣ ص ١٢٨ وأسعاف الراغبين بهامش نور الابصار ص ٩٦.
(٢) فتح الباري ج ٧ ص ١٠٢، وإرشاد الساري ج ٦ ص ١٦٦ و ج ٨ ص ١١٣.
(٣) الإصابة ج ٤ ص ٣١٤، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٢، والدر المنثور
ج ٥ ص ٢٠٢ عن ابن سعد، والحاكم.
(٤) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٦، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٧٦١ عن البخاري ومسلم.

نعتقد أنها نزلت في غير هذه القضية.
واعترف عمر بن الخطاب بجمال زينب، عندما قال لابنته، ليس
لك حظوة عائشة، ولا حسن زينب (١).
فلو كانت عائشة موصوفة بالحسن لقدمها على زينب في هذا الامر.
أما بالنسبة للفقرة الأولى فنحن نشك في صحتها، ونعتقد أنها
سياسة من عمر تجاه أم المؤمنين، أو من يزيد (٢) الرواة لحاجة في النفس،
وذلك لما تقدم وسيأتي.
ومهما يكن من أمر، فإن أم سلمة تذكر:
أن زينب كانت معجبة لرسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم ".
وكان يستكثر منها (٣).
٣ - أم سلمة رحمها الله تعالى:
كانت أم سلمة من أجمل الناس (٤).
وعن الإمام الباقر: أنها أجمل نساء النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ".
ويذكرون أن قصة المغاير من عائشة وحفصة كانت معها (٥). كما
أن عائشة قد اعترفت بان أم سلمة وزينب كانتا أحب نسائه " صلى الله عليه
وآله وسلم " إليه بعدها (٦).

-
- (١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٣٧، ١٣٨.
(٢) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٧٣، وتهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٣٤٧.
(٣) المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٠٥ وتهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢.
(٤) راجع طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٢٢، والدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٩.
(٥) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨١.
(٦) الإصابة ج ٤ ص ٤٥٩، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٦.

تقول عائشة: (ولما تزوج رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " أم سلمة حزنت حزنا شديدا، لما ذكر لنا من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها؟ فرأيت والله أضعاف ما وصفت الخ " (١).

وقال ابن حجر: " كانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ الخ " (٢).

٤ - صفية بنت حيي بن أخطب:

قالت أم سنان الأسلمية: " كانت من أضوأ ما يكون من النساء " (٣). ولما قدمت المدينة جئن نساء الأنصار ينظرن إلى جمالها، وعائشة متنقبة معهن. فلما سالها رسول الله: كيف رأيت يا عائشة؟ قالت: رأيت يهودية. فنهاها " صلى الله عليه وآله وسلم " عن قولها ذلك (٤).

وعندما وقعت في السبي جعلوا يمدحونها، ويقولون: رأينا في السبي امرأة ما رأينا ضربها (٥). ولما أرسلت صفية قصعة فيها طعام إلى النبي وهو في بيت عائشة أخذتها رعدة حتى استقلها افكل، وضربت القصعة، فرمت بها الخ (٦).

وقد أكد لها رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " : أنها خير من

(١) الإصابة ج ٤ ص ٤٥٩.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٣٤٧، وص ٤٦٣ وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٧.

(٣) الإصابة ج ٤ ص ٣٤٧، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٩٠.

(٤) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٨.

(٥) مسند أحمد ص ٢٧٧ ج ٦، والبخاري باب الغيرة، وأخر كتاب النكاح، لكنه لم يصرح باسم عائشة!!!

(٦) أسد الغابة ج ٥ ص ٤٩١.

حفصة وعائشة (١).

٥ - جويرية بنت الحارث:

تقول عائشة أنها كانت امرأة حلوة ملاحه، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه؟ فاتت رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " تستعينه في كتابتها. قالت عائشة: فوالله ما هي إلا أن رأيتها، فكرهتها، وقلت: يرى منها ما قد رأيت. فلما دخلت على رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " الخ (٢).

٦ - مارية القبطية:

قالت عائشة: ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة جعدة، فاعجب بها رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " وكان أنزلها أول ما قدمت في بيت لحارثة بن النعمان؟ فكانت جارتنا؟ فكان عامة الليل والنهار عندها، حتى فرغنا لها، فجزعت، فحولها إلى العالية، وكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا (٣). وعن أبي جعفر عليه السلام: أنه " صلى الله عليه وآله وسلم " قد حجب مارية " وكانت ثقلت على نساء النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وغرن عليها، ولا مثل عائشة " (٤). وكان رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " يعجب بمارية، " وكانت

(١) الإصابة ج ٤ ص ٢٦٥، والاستيعاب هامش الإصابة ج ٤ ص ٢٥٩،

وصفة الصفوة ج ٢ ص ٥٠.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٤٠٥، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٥٣، ولتراجع: البداية

والنهاية ج ٣ ص ٣٠٣ / ٣٠٤ ووفاء الوفاء للسمهودي ج ٣ ص ٨٢٦.

(٣) طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٩.

(٤) طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦. الإصابة ج ٤ ص ٤٠٥.

مارية بيضاء جعدة، جميلة " (١). وكانت حسنة الدين (٢).
وتنافست الأنصار فيمن يرضع إبراهيم، وأحبوا أن يفرغوا مارية
للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، لما يعلمون من هواه فيها (٣).
ولعل مما زاد في غيرة عائشة قضية ولادة إبراهيم منها، حتى تجرأت
على نفي شبهه برسول الله، رغم تأكيد النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "
لها على ذلك (٤) وحتى كان ما كان من نزول آية التحريم، كما عن
السيوطي وغيره.

٧ - سودة بنت زمعة:

كانت عائشة تقول: ما من الناس امرأة أحب إلي أن أكون في
مسلاخها من سودة بنت زمعة، إلا أنها امرأة فيها حسد (٥).
وليراجع ما فعلته حفصة بسودة، وضحكها هي وعائشة عليها (٦).

-
- (١) تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٣٥٥، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٨٦
والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٣.
- (٢) ذخائر العقبى ص ٥٤ والاستيعاب هامش الإصابة ج ١ ص ٤٢، وطبقات ابن
سعد ج ٨ ص ١٥٣.
- (٣) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٨٨ والدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٠ عن ابن مردويه والبداية
والنهاية ج ٣ ص ٣٠٥ وقاموس الرجال ج ١١ ص ٣٠٥ عن البلاذري. وراجع
السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٩ ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٩ وتلخيصه للذهبي
بهامشه وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٨٧ ط صادر.
- (٤) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٣٧، والبداية والنهاية ج ٨ ص ٧٠.
- (٥) حياة الصحابة ج ٢ ص ٥٦٥ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٣١٦.
- (٦) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٠٤ وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٥، ٤١٦
دون تصريح باسم من خدعها.

٨ - أسماء بنت النعمان:

كانت أجمل أهل زمانها وأشبهه. وقد حسدنها نساء النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " وخذعنها. وكانت الخديعة لها من عائشة وحفصة معا. حتى قالت للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم ": أعوذ بالله منك، فطلقها (١).

٩ - مليكة بنت كعب:

كانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة، فقالت لها: أما تستحيين أن تنكحي قاتل أبيك، فاستعادت من رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم ": فطلقها (٢).

١٠ - أم شريك:

وهبت نفسها للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، فقبلها " صلى الله عليه وآله وسلم "، فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير. قالت أم شريك: فانا تلك، فسامها الله مؤمنة؟ فقال: وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، فلما نزلت هذه الآية، قالت عائشة للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم ": إن الله ليسر لك في هواك (٣).

١١ - شراف بنت خليفة:

خطب رسول الله امرأة من كلب؟ فبعث عائشة تنظر إليها، فذهبت، ثم رجعت. فقال لها رسول الله: ما رأيت؟ فقالت: ما رأيت طائلا.

(١) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٠٦، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٦.

(٢) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١٢.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١٥.

فقال رسول الله: لقد رأيت طائلا، لقد رأيت خالا بخدها، اقشعرت كل شعرة منك. فقالت: يا رسول الله، ما دونك سر (٢).

١٢ - حفصة بنت عمر:

بل أن عائشة كانت تغار حتى من رفيقتها حفصة، ويقال: إن قضية المغافير كانت لها معها (١).

نهاية المطاف:

هذه كانت حالة عائشة مع زوجات النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ". وأكثر هذه المشاكل كانت فيما يبد وبسبب غيرتها منهن، لجمالهن البارع، وحسنهن الرائع كما قدمنا، ولم نجد لأي من زوجات النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " معشار ما وجدناه لعائشة من المشاكل والتجاوزات. - اللهم إلا رواية أو روايتان مرويتان عن عائشة نفسها!!! فهذا السيل العارم منها - خاصة - دون غيرها منهن، يكشف عن أن ثمة ما يبرز منها وهو أنها تحس بالنقص في نفسها تجاههن من حيث الجمال على الأقل.

وهكذا، تسقط جميع الادعاءات والروايات التي عن عروة وغيره وعنهما، والتي تدعي حظوتها ومكانتها لدى النبي صلى الله عليه وآله. أو على الأقل تصوير محل شك وريب. وأما ما يقال في حديث الإفك فإنه أيضا باطل وقد فصلنا القول في ذلك في كتاب مستقل طبع مؤخرا. وملاحظة أخيرة نسجلها هنا، وهي: أننا نجد عائشة تكثر من أحاديث تقبيل النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " ومباشرته لها، وهي

(١) راجع: حياة الصحابة ج ٢ ص ٧٦٢ عن البخاري ومسلم وعن تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٨٧ وعن جمع الفوائد ج ١ ص ٢٢٩ وعن طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٨٥.

حائض واغتسالها وإياه من إناء واحد، وغير ذلك من الأحاديث التي تتخذ طابع الجنس، والاغراء، واللذة. ولا نجد من ذلك الشيء الكثير عند غيرها من نسائه " صلى الله عليه وآله وسلم "، ولعل ذلك يرجع إلى أنه لم يكن ثمة ما يربطها برسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " بصورة قوية، حيث لم يكن لها ولد منه " صلى الله عليه وآله وسلم " وليس لديها من المستوى الفكري والثقافي والعملي ما يصلح أن يكون نقطة اشتراك ويجعل لها به ارتباطا خاصا ووثيقا وليست اهتماماتها من جنس اهتماماته " صلى الله عليه وآله وسلم " ولا تطلعاتها تلتقي مع تطلعاته " صلى الله عليه وآله وسلم " .

وماذا بعد:

هذا وأنا لا نجد مبررا لتحمل النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " من عائشة جرأتها. وتجاوزاتها المتكررة وإيذائها له في أخيه علي، وفي زوجاته، إلا أنه لم يكن يستطيع أن يتخذ القرار النهائي بالنسبة إليها، لأن السياسة كانت تقضي عليه بتحمل كل هذه المشاق. ويدلنا على أن النبي كان يتعامل مع زوجاته من موقعه السياسي الحرج، لا من جو بيت الزوجية. قول عمر لحفصة - عندما تظاهرت على النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " مع عائشة، واعتزلهن: " والله، لقد علمت أن رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " لا يحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم "، (١).

هذا، ولم يكن ثمة من يستطيع الجهر بالحقيقة، وإظهار الواقع. لأن الجهاز الحاكم كله كان يمسك بركاب عائشة، ويعلي قدرها، ويرفع من شأنها؟ لأنه كان يستفيد منها أعظم الفوائد، وأسناها. وكان ثمة خطة

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٩. ولسوف يأتي مزيد توضيح لذلك في البحث عن سبب تكثر زوجاته قبل واقعة أحد في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

مرسومة لظهار عظيم منزلتها، وإغداق الأوسمة عليها، بثمن، أو بغير ثمن!!

وكانت هي تستغل موقعها كزوجة للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وكأم للمؤمنين إلى أقصى الدرجات، كما أنها كانت تستفيد من حاجة الهيئة الحاكمة إليها، وكل ذلك يفسر لنا السر في أنها كانت توحى للناس بأنها أقرب زوجات النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " إليه، وآثرهن لديه؟ لجمالها، ولكونه " صلى الله عليه وآله وسلم " قد تزوجها بكرة حسب دعواها. وكان النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " كان يهتم للبكارة وللجمال (مع نقاش لنا في ذلك).

ولا ندري ما هو السر في تواضع أم المؤمنين إلى هذا الحد حتى إنها لم تر في نفسها المؤهلات لان تعتر بالدين، وبالمعاني الانسانية النبيلة أو لعلها كانت ترى أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " لا ينطلق في حبه وبغضه من الدين والأخلاق، وإنما من الشهوة، فصورته للمسلمين على أنه رجل شهواني لا أكثر. دخول الاسلام إلى المدينة:

وثمة خلاف بين المؤرخين في من؟ ومتى؟ وكيفية إسلام أول دفعة من أهل المدينة. ولكننا نستطيع أن نؤكد على أن الاسلام قد دخل المدينة على مراحل. فأسلم أولاً: أسعد بن زرارة. وذكوان بن عبد القيس، حينما كان المسلمون محصورين في الشعب. ثم أسلم خمسة، أو ثمانية، أو ستة نفر بعد ذلك، ثم كانت بيعة العقبة الأولى، ثم كانت بيعة العقبة الثانية، وهذا هو ما يظهر من مغلطاي (١) وغيره. ولذلك فهم يقولون: إن أسعد بن زرارة، وذكوان بن عبد القيس

(١) راجع سيرة مغلطاي ص ٢٩.

الخزرجيين قدما مكة في أحد المواسم، حينما كانت قريش تحاصر الهاشميين في الشعب (شعب أبي طالب)، بهدف طلب الحلف من عتبة بن ربيعة على الأوس. فرفض عتبة ذلك، وقال: بعدت دارنا عن داركم، ولنا شغل لا نتفرغ لشيء. فسأله عن هذا الشغل؟ فأخبره بخروج النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " فيهم، وأنه أفسد شبابهم، وفرق جماعتهم ثم حذره من الاتصال به، فإنه ساحر يسحره بكلامه. وأمره إذا أراد الطواف أن يضع القطن في أذنيه، حتى لا يسمع ما يقوله النبي صلى الله عليه وآله، الذي كان آنذ يجلس في الحجر مع طائفة من بني هاشم. وكانوا قد خرجوا من شعبهم ليشهدوا الموسم.

وجاء أسعد للطواف، ورأى النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " جالسا في الحجر، فقال في نفسه: ما أجد أجهل مني. أن يكون هذا الحديث في مكة فلا أتعرفه، حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟، ثم أخذ القطن من أذنيه فرمى به، وجاء إلى النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، فسلم عليه، وكلمه؟ فعرض عليه " صلى الله عليه وآله وسلم " ما جاء به فأسلم، واسلم بعده ذكوان.

وفي رواية: أنه لما التقى النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بأسعد بن زرارة وذكوان، قال أسعد للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم ": يا رسول الله، بابي أنت وأمي، أنا من أهل يثرب، من الخزرج، وبيننا وبين أخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك، ولا أجد أعز منك، ومعني رجل من قومي، فإن دخل في هذا الامر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك. والله يا رسول الله، لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، وييشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن يكون دارنا دار هجرتك عندنا، فقد اعلمنا اليهود ذلك؟ فالحمد لله الذي ساقني إليك، والله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما أتيت له. ثم اقبل ذكوان، فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود

تبشرنا به، وتخبّرنا بصفته؟ فهلهم فأسلم؟ فأسلم ذكوان الخ (١).
ثم في سنة إحدى عشرة من النبوة خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الموسم، يعرض على القبائل دعوته، ويطلب منهم نصرته؟ فالتقى على العقبة برهط من الخزرج؟ فدعاهم إلى الله والاسلام، وقرأ عليهم القرآن فأمنوا به، وكانوا ستة نفر، وهم: أسعد بن زرارة، وجابر بن عبد الله بن رئاب، وعوف بن الحارث ورافع بن مالك، وعقبة وقطبة ابنا عامر. وقيل: ثمانية نفر وقيل غير ذلك (وثمة اختلاف في أسمائهم، وذكر أشخاص آخرون مكان بعض من قدمنا أسماءهم، ولا مجال لتحقيق ذلك).

ورجع أولئك نفر إلى قومهم في المدينة، فذكروا لهم رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم "، ودعوهم إلى الاسلام. ثم كانت بيعة العقبة الأولى في سنة اثنتي عشرة من البعثة أي قبل الهجرة بسنة لم (٢). ولعل أسعد بن زرارة كان قد كتم إسلامه هو وذكوان، حتى كان لقاء هؤلاء الستة أو الثمانية معه " صلى الله عليه وآله وسلم " قبل الهجرة بسنة فاعلنوا ذلك

ونحن قبل أن نمضي في الحديث نشير إلى ما يلي:
١ - اخبارات أهل الكتاب:

يفهم مما تقدم: إن أهل المدينة كانوا يسمعون من اليهود خبر ظهور النبي عن قريب، وأن ذلك قد جعلهم مهئين نفسياً لقبول الدين الذي جاء به هذا النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ".

(١) البحار ج ١٩ ص ٩ وإعلام الورى ص ٥٧ عن علي بن إبراهيم.

(٢) البحار ج ١٩ ص ٩ وإعلام الورى ص ٥٧ عن علي بن إبراهيم.

٢ - المشاكل بين الأوس والخزرج:

لقد كان ثمة حروب هائلة بين الأوس والخزرج، كانت آخرها وقعة بعاث التي انتصرت فيها قبيلة الأوس، حينما كان الهاشميون والنبوي " صلى الله عليه وآله وسلم " محصورين في شعب أبي طالب. وكانت الحالة بين القبيلتين صعبة للغاية، حتى ليدكرون: أنهم ما كانوا يضعون السلاح لا في الليل ولا في النهار (١) مما يعني أنهم يعانون من أقسى الحالات التي يمكن أن يواجهها من يملك إمكانات معيشية محدودة مثلهم.

وحتى لقد كان واضحاً: أنهم كانوا يتطلعون بشوق إلى الخروج من هذه الحالة المأساة. ويا ملون في وصل الحبال المقطوعة فيما بينهم، كما عبر عنه أسعد بن زرارة، الذي كان يعمل من أجل عقد حلف مع عتبة بن ربيعة ضد الأوس.

فأهل المدينة إذن قد ذاقوا مرارة الانحراف والظلم. وهم يريدون المنقذ الحقيقي لهم. وقد وجدوه في نبي الإسلام الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي جاءهم بتعاليم الشريعة السهلة السمحاء. ولذلك فقد قالوا لرسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم ": " نرجع إلى قومنا، ونخبرهم بالذي كلمتنا به، فما أرغبنا فيك. إنا قد تركنا قومنا على خلاف فيما بينهم، لا نعلم حياً من العرب بينهم من العداوة ما بينهم. وسنرجع إليهم بالذي سمعنا منك، لعل الله يقبل بقلوبهم، ويصلح بك ذات بينهم، ويؤلف بين قلوبهم " (٢).

٣ - تعاليم الشريعة السمحاء:

إن تعاليم الإسلام لهي التعاليم الموافقة للفترة السليمة، وبلا تعقيد

(١) البحار ج ١٩ ص ٨ و ٩ و ١٠ وإعلام الوري ص ٥٥.

(٢) الثقات لابن حبان ج ١ ص ٩٠ / ٩١.

أو إبهام فيها، فهي بسيطة وسهلة، لا يحتاج إدراك حقانيتها إلى تفكير عميق، أو إجهاد في فهم مراميها، والتكهن بنتائجها. ولذلك نجد أهل المدينة يدركون بسرعة قدرة هذه الدعوة على حل مشاكلهم، فيسارعون إلى قبولها، بمجرد سماعهم لأهدافها، ومبادئها. ومن الواضح: أن أهل المدينة كانوا لا يعانون من ظروف أهل مكة، الذين يحاربون الإسلام؟ لانهم رأوا فيه خطرا على مصالحهم الشخصية، وامتيازاتهم الظالمة التي فرضوها لأنفسهم، وأهوائهم وانحرافاتهم، كما أوضحناه في غير موضع.

إن أهل المدينة بالإضافة إلى إخبارات اليهود لهم، قد رأوا منذ اللحظات الأولى في الإسلام وتعاليمه المنقذ لهم، والمخرج من الظلمات إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، ورأوا فيه الموافقة للفطرة والعقل السليم. سواء على صعيد العقائد أو التشريع، أو على صعيد اتخاذ القرار الاجتماعي والسياسي، فقد سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عما يدعو إليه، فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدعوكم إلى:

" أن لا تشرکوا به شیئا، وبالوالدين إحسانا، ولا تقتلوا أولادكم من املاق، نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن، حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا نكلف نفسا إلا وسعها، وإذا قتلتم فاعدلوا، ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون " (١).

ولأجل ذلك اعتقدوا بهذه الدعوة، وحاربوا قريشا والعرب من أجلها

(١) الانعام / ١٥١ - ١٥٢.

وفي سبيلها.

٤ - المدنيون والمكيون:

إن الوثنية التي كان أهل المدينة يدينون بها لم تستطع أن تحل مشاكلهم الداخلية، على اختلافها، ولا حتى أن تخفف من حدتها. كما أنها لم تكن تجلب لهم امتيازات اجتماعية، ولا اقتصادية ولا غيرها. ولذلك فقد ضعفت ووهنت، وزاد في ضعفها ووهنها مخالفتها للفطرة السليمة، والعقل القويم. ثم جاءت اخبارات اليهود لهم بقرب ظهور نبي يخبر عن الله لتزيد من ذلك الضعف والوهن إلى حد بعيد. وهذا تماما على عكس الحال في مشركي مكة؟ فإنهم كانوا يستفيدون من وثنتهم اجتماعيا واقتصاديا. وجعلوا من أنفسهم محورا تلتقي عليه سائر الفئات والقبائل في المنطقة، وكرسوا لأنفسهم الكثير من الامتيازات الظالمة. - ولم يكونوا على استعداد للتخلي عن هذه الامتيازات من أجل خدمة الحق والانسان، بل كانوا يضحون بالانسان والحق في سبيل امتيازاتهم، وانحرافاتهم، ومصالحهم تلك. هذا، ولا بد من ملاحظة ما قدمناه حين الكلام على العوامل التي ساعدت على انتصار الاسلام وانتشاره، لنجد: أن شخصية الرسول العظيمة، وأخلاقه الكريمة، وكونه من أرفع بيت في قريش والعرب - ويضيف البعض: رابطة القرى، التي كانت تربطه ببني النجار الخزرجيين، عن طريق آمنة بنت وهب (١) كل ذلك وسواه مما تقدم قد أسهم في إقبال أهل المدينة على الاسلام، وتقبل دعوته، والتضحية في سبيله.

(١) ولكنه تعليل لا شاهد له، ما دام ان مجرد وجود رابطة كذلك لا توجب ما ذكر.

الفصل الثالث:
بيعة العقبة

(٣٠٧)

بيعة العقبة الأولى:
يقول المؤرخون: إنه حينما عاد أولئك نفر المدنيون الذين
أسلموا إلى المدينة ذكروا لأهلها رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم "،
ودعوهم إلى الاسلام، حتى فشا فيهم، فلم يبق دار من دور الأنصار، إلا
وفيها ذكر من رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم ".
حتى إذا كان العام المقبل أي في السنة الثانية عشرة من البعثة،
وافى الموسم اثنا عشر رجلا اثنان منهم أو سيان، والباقيون من الخزرج،
فالتقوا مع الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " في العقبة، وبايعوه على
بيعة النساء، أي البيعة التي لا تشتمل على حرب، أي: " على أن لا
يشركوا بالله شيئا، ولا يسرقون، ولا يزنون، ولا يقتلون أولادهم، ولا يأتون
ببهتان يفترونه من بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصونه في معروف، فان وفوا
فلهم الجنة وان غشوا من ذلك شيئا فأمرهم إلى الله عز وجل، ان شاء
عذب، وان شاء غفر ".
ولما رجعوا إلى المدينة أرسل النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " معهم
مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم في

الدين، فكان يسمى المقري. وألحقه أبا بن أم مكتوم (١) كما قيل. وأقام مصعب أول صلاة جمعة في المدينة!!.

وقد نجح مصعب، ومن معه ممن أسلم في الدعوة إلى الله تعالى، واسلم سعد بن معاذ، الذي كان السبب في إسلام قومه بني عمير بن عبد الأشهل، حيث إنه حين أسلم على يد مصعب رجع إلى قومه، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعرفون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا، أيمننا نفسا وأمرا.

قال: فان كلام رجالكم ونساءكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

قال: فوالله، ما أمسى في دار قبيلة بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما، أو مسلمة (٢)، فاسلموا كلهم في يوم واحد، (إلا عمرو بن ثابت، فإنه تأخر إسلامه إلى أحد، فأسلم، ثم استشهد قبل أن يسجد لله سجدة واحدة، كما قيل).

وأقام مصعب بن عمير يدعو الناس إلى الإسلام، حتى أسلم الرجال والنساء، من الأنصار باستثناء جماعة من الأوس، اتبعوا في ذلك أحد زعمائهم، الذي تأخر إسلامه إلى ما بعد هجرة الرسول الأعظم ٩ صلى الله

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥١ و ١٥٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩ وفيه أن الواقدي ذكر ان ابن أم مكتوم إنما قدم المدينة بعد بدر بقليل، وفي كلام ابن قتيبة أنه قدم المدينة مهاجرا بعد بدر بستين. ثم جمع الحلبي بين الأقوال باحتمال: أن يكون قد علم أهل المدينة ثم عاد إلى مكة، ثم عاد فهاجر بعد بدر.. وهو احتمال وجيه لا باس به.

(٢) راجع ما تقدم: في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٧٩ - ٨٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ح ص ١٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٩٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٨٤.

عليه وآله وسلم " (١).
ولنا هنا وقفات، فلنقف أولاً مع:

دعوة سعد بن معاذ قومه:

إن الدعوة إلى الله ليست مختصة بالأنبياء والأوصياء بل هي شاملة لكل مكلف بحسب ما يملك من طاقات وقدرات. وهي من الأمور التي يلزم بها العقل الفطري السليم، ويوجبها على كل إنسان، ولا تحتاج إلى جعل شرعي؟ فإن العقل يدرك أن في ارتكاب المنكرات، وترك الواجبات، والانحراف في الفكر والعقيدة والسلوك ضرراً جسيماً على المجتمعات وعلى الأجيال ولذلك فهو يحكم بلزوم الدعوة إلى الالتزام بالخط الفكري الصحيح، وترك المنكر، وفعل المعروف. وهذا هو - بالذات - ما يفسر لنا اندفاع سعد بن معاذ في الدعوة إلى الله تعالى، حتى أنه على استعداد لقطع كل علاقة مع قومه إذا كانوا ضالين منحرفين.

وان عظمة هذا الموقف لتتضح أكثر إذا عرفنا مدى ارتباط سعادة ومصير الإنسان العربي في تلك الفترة بقبيلته ومدى ارتباطه بها فهو حين يضحى بعلاقاته القبلية، فإنه يكون قد ضحى بأمر عظيم وأساسي في حياته وفي مصيره، ومستقبله، في سبيل دينه. وقد جاء القرآن مؤيداً لحكم العقل والفطرة هذا؟ ففرض على كل من كان له بصيرة في أمر الدين ان يدعو إلى الله قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) (٢).

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٨٤ وراجع تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٩٠ و السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٧٩ - ٨٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ح ص ١٤.
(٢) يوسف / ١٠٨.

كما أننا لا بد أن نشير أيضا: إلى أن من عرف الحق، وذاق حلاوة الايمان، فإنه لا يملك نفسه من الاندفاع في محاولة لجلب الآخرين نحو هذا الحق، وجعلهم يؤمنون به، ويستفيدون منه، ويلتذون به ويشعرون بحلاوته.

ولذلك نجد الإمام علي بن الحسين " عليه السلام "، الذي كان يخشى على شيعته، الذين هم الصفوة في الأمة الاسلامية، والذين كانوا يتعرضون لمختلف أنواع الاضطهاد، والبلايا في الدولة الأموية، وبعدها في الدولة العباسية كان يظهر تدمره من عدم مراعاة الشيعة للظروف والمناسبات، وهو يرى حدة اندفاعهم نحو إظهار أمرهم، بسبب شعورهم بحلاوة الايمان، وضرورة ابلاغ كلمة الحق، قال الإمام السجاد " عليه السلام ": " وددت اني افتديت. خصلتين في الشيعة ببعض لحم ساعدي: النزق وقلة الكتمان " (١)

أضف إلى ذلك: أن التراحم فيما بين المؤمنين، والشدة على الكافرين يصبح أمرا طبيعيا، كما قال تعالى: (أشداء على الكفار رحماء بينهم).

البيعة:

ونجد: أن نص البيعة قد تضمن الخطوط العريضة، وأهم المبادئ التي يقوم عليها المجتمع الاسلامي، وهي تتضمن جانبا عقائديا، وآخر عمليا. وقد حملهم " صلى الله عليه وآله وسلم " مسؤوليات معينة في علاقاتهم مع بعضهم بعضا. وجعل التزامهم هذا قائما على اعطاء تعهد من قبلهم، يرون مخالفته تنافى مع شرف الكلمة وقدسيتها؟ وذلك تحت

(١) سفينة البحار ج ١ ص ٧٣٣ والبحار ج ٧٥ ص ٦٩ و ٧٢ عن الخصال ج ١ ص ٢٤ والكافي ج ٢ ص ٢٢١.

عنوان: (البيعة، التي تعني اعطاء كلمة الشرف بالالتزام بتلك المبادئ. ولكنه لم يقرر عقابا عنيفا لمن ينقض هذا العهد، ويتجاوز ويغش فيه؟ فإن الوقت حينئذ لم يكن مناسباً لقرار كهذا. بل أو كل ذلك إلى الوجدان والضمير الشخصي لكل منهم، مع ربطه بالمبدأ العقيدي. ومع إعطاء الفرصة له للعودة لاصلاح الخطأ إن كان؟ حيث أبقى الأمل حيا لدى ذلك الذي يمكن أن يغش، وأوكل امره إلى الله، إن شاء عذب، وإن شاء غفر.

صلاة الجمعة:

وقد تقدم في الحديث: أن مصعب بن عمير قد جمع بالمسلمين في المدينة قبل الهجرة (١). وربما يشكل على ذلك: بان سورة الجمعة قد نزلت بعد هجرته " صلى الله عليه وآله وسلم " إلى المدينة؟ فكيف صلى مصعب الجمعة قبل تشريعها.

والجواب: أننا لو سلمنا أن المراد بجمع، صلى الجمعة. إذ من المحتمل: أن يكون المراد صلى جماعة - لو سلمنا ذلك - فإن قوله تعالى في سورة الجمعة: (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) (٢). ليس المقصود به تشريع إقامة الجمعة، وإنما هو يوجب السعي إلى الجمعة التي تقام، فلعل وجوب إقامتها كان قبل ذلك قد جاء على لسانه " صلى الله عليه وآله وسلم " في مكة، ولكن لم يكن يمكن إقامتها، أو كان يقيمها سرا ولم يصل ذلك إلينا. ويؤيد ذلك قوله تعالى: (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها

(١) وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩ والتعليق المغني (مطبوع بهامش سنن الدارقطني ج ٢ ص ٥ عن الطبراني في الكبير والأوسط.
(٢) ١ لجمعة / ٩.

وتركوك قائما، قل: ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة (١)؟ فإن ذلك يشير إلى أن الجمعة كانت قد شرعت قبل ذلك. وأن هذا كان سلوكهم معه " صلى الله عليه وآله وسلم " .

ويؤيد ذلك: ما أخرجه الدارقطني، عن ابن عباس، قال: أذن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " الجمعة قبل أن يهاجر، ولم يستطع ان يجمع بمكة؟ فكتب إلى مصعب بن عمير: أما بعد، فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة، فتقربوا إلى الله بركعتين. قال: فهو أول من جمع، حتى قدم النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " المدينة، فجمع بعد الزوال من الظهر، وأظهر ذلك (٢).

وثمة روايات تفيد: أن أول من جمع بهم هو أسعد بن زرارة (٣) وسيأتي بعض الكلام أيضا حول صلاة الجمعة في آخر هذا الجزء إن شاء الله تعالى.

بيعة العقبة الثانية:

وعاد مصعب بن عمير من المدينة إلى مكة، فعرض على النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " نتائج عمله؟ فسر بذلك نبي الاسلام سرورا

(١) الجمعة / ١١ .

(٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٨ عن الدارقطني. والسيرة الحلبية: ج ٢ ص ١٢ .

(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٢١٨ عن أبي داود، وابن ماجه وابن حبان، والبيهقي،

و عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٢٦. والسيرة

الحلبية ج ٢ ص ٥٩ وص ٩ وسنن الدارقطني ج ٢ ص ٦ / ٥ وفي التعليق المغني

على الدارقطني (مطبوع بهامش السنن) ص ٥ قال: الحديث أخرجه أبو داود، وابن

ماجة وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في سننه.

عظيما (١).

وفي موسم حج السنة الثالثة عشرة من البعثة أتى من أهل المدينة جماعة كبيرة بقصد الحج، ربما تقدر عدتهم بخمسة مئة (٢)، فيهم المشركون، وفيهم المسلمون المستخفون من حجاج المشركين من قومهم، تقية منهم.

والتقى بعض مسلميهم بالرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " ووعدهم اللقاء في العقبة في أواسط أيام التشريق ليلا، إذا هدأت الرجل. وأمرهم ان لا ينبهوا نائما، ولا ينتظروا غايبا.

ويلاحظ هنا: ما لهذا التوقيت من أهمية، فلو انكشف أمرهم، فسيكون ذلك بعد تمام حجهم، ومفارقتهم للبلد، ولا يبقى من ثم مجال للضغط عليهم بشكل فعال

ويلاحظ كذلك: أمره " صلى الله عليه وآله وسلم " لهم بان لا ينبهوا نائما، ولا ينتظروا غائبا. وذلك كي لا ينكشف امرهم إذا لاحظ غيرهم عدم طبيعية تصرفاتهم.

وفي تلك الليلة بالذات ناموا مع قومهم في رحالهم، حتى إذا مضى ثلث الليل بدؤا يتسللون إلى مكان الموعد، واحدا بعد الآخر، ولا يشعر بهم أحد حتى اجتمعوا في الشعب عند العقبة، وهم سبعون أو ثلاثة وسبعون رجلا، وامرأتان.

والتقوا بالرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " هناك في الدار التي كان " صلى الله عليه وآله وسلم " نازلا فيها، وهي دار عبد المطلب، وكان * (هامش)

- (١) وفي البحار ج ١٩ ص ١٢: أن مصعبا قد كتب إلى النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بذلك وكذا في إعلام الوری ص ٥٩.
(٢) طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٤٩.

معه حمزة وعلي، والعباس (١).
وبايعوه على أن يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم، وأهليهم
وأولادهم، وأن يؤوؤوهم، وينصروهم، وعلى السمع والطاعة في النشاط
والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الامر بالمعروف، والنهي عن
المنكر وان يقولوا في الله، ولا يخافوا لومة لائم، وتدين لهم العجم،
ويكونون ملوكا.
وعند آخرين - والنص لمالك -، عن عبادة بن الصامت: " بايعنا
رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " على السمع والطاعة، في العسر
واليسر، والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الامر أهله وأن نقول (أو نقوم)
بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم (٢) " قال السيوطي: " يريد
الملك والامارة (٣)."

وقد أدرك العباس بن نضلة خطورة الموقف، ولا سيما من قوله
" صلى الله عليه وآله وسلم ": " وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكا "،
وأنهم مقدمون على مواجهة ومقاومة، ليس فقط مشركي مكة أو الجزيرة
العربية، وإنما العالم بأسره. فأحب ان يستوثق من الامر، ويفتح عيون
المبايعين ليكونوا على بصيرة من أمرهم، حتى لا يقولوا في يوم ما: لو كنا

-
- (١) إعلام الوری ص ٥٩، وتفسير القمي ج ١ ص ٢٧٣، والبحار ج ١٩
ص ١٢ - ١٣ و ٤٧ عنهما، وعن قصص الأنبياء، وراجع: السيرة الحلبية ج ٢
ص ١٦، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٢.
(٢) الموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك ج ٢ ص ٤ وراجع سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٧
ومسند أحمد ج ٥ ص ٣١٤ و ٣١٦ و سنن النسائي ج ٧ ص ١٣٨ - ١٣٩ وصحيح
البخاري ج ٤ ص ١٥٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٦٤ والسيرة النبوية لابن هشام
ج ٢ ص ٩٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٤٥٢ ط دار الكتب العلمية والسيرة
النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٠٤ وصحيح مسلم ج ٦ ص ١٦ و ١٧
(٣) تنوير الحوالك: ج ٢ ص ٤.

نعلم أن الامر ينتهي إلى هذا لم نقدم.
فقال لهم: يا معشر الأوس والخزرج، تعلمون على ما تقدمون
عليه؟ إنما تقدمون على حرب الأحمر والأبيض، وعلى حرب ملوك
الدنيا؟ فان علمتم انه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه
وتركتموه، فلا تغروه فان رسول الله، وإن كان قومه خالفوه، فهو في عز
ومنعة.

فقال عبد الله بن حزام، والد جابر، وأسعد بن زرارة، وأبو الهيثم
بن التيهان: مالك وللكلام؟! يا رسول الله، بل دما بدمك، وأنفسنا
بنفسك، فاشترط لنفسك، ولربك ما شئت (١).
ويذكر أيضا: أن أسعد بن زرارة قد قال في بيعة العقبة: يا رسول
الله، إن لكل دعوة سبيلا، إن لين، وإن شدة، وقد دعوت اليوم إلى دعوة
متجهمة للناس، متوعرة عليهم:
دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك على دينك، وتلك رتبة صعبة،
فأجنبناك إلى ذلك.

ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبينه الناس من الجوار والأرحام، القريب
والبعيد، وتلك رتبة صعبة؟ فأجنبناك إلى ذلك.
ودعوتنا، ونحن جماعة في دار عز ومنعة، لا يطمع فيها أحد: ان
يرأس علينا رجل من غيرنا، أفرده قومه، وأسلمه أعمامه، وتلك رتبة
صعبة، فأجنبناك إلى ذلك الخ (٢).

(١) راجع ما تقدم في البحار ج ١٩ ص ١٢ / ١٣ عن إعلام الوري، وراجع: دلائل
النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٤٥٥ ط دار الكتب العلمية وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٨
والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٨٨ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٦٢ والسيرة
النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٠١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٧.
(٢) حياة الصحابة: ج ١ ص ٨٨ ودلائل النبوة لأبي نعيم: ص ١٠٥.

ويذكر المؤرخون هنا أيضا: أن العباس بن عبد المطلب قد حضر بيعة العقبة وأنه أراد ان يستوثق لابن أخيه فبدأ هو الكلام، فقال: يا معشر الخزرج، إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وقد أبي الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فان كنتم ترون انكم وافون بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الان تدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.

وفي رواية، أنه قال لهم: قد أبي محمد الناس كلهم غيركم، فان كنتم أهل قوة وجلد، وبصر في الحرب، واستقلال بعدواة العرب قاطبة، ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم. واثمروا بينكم الخ.. وبعد أن استمع إلى اجابتهم، طلب " صلى الله عليه وآله وسلم " منهم: أن يخرجوا له اثني عشر نقيبا، أي كفيلا يكفل قومه، فاخرجوا له تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس؟ فكانوا نقباء وكفلاء قومهم. وعرفت قريش بالاجتماع؟ فهاجت، وأقبلوا بالسلاح.

وسمع الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " النداء؟ فامر الأنصار بالترقب، فقالوا: يا رسول الله، إن أمرتنا ان نميل عليهم بأسيافنا. فعلنا. فقال: لم أوامر بذلك، ولم يأذن الله لي في محاربتهم، فقالوا: يا رسول الله، فتخرج معنا؟ قال: أنتظر أمر الله...

فجاءت قريش على بكرة أبيها، قد حملوا السلاح. وخرج حمزة، ومعه السيف، هو وعلي بن أبي طالب " عليه السلام ". فلما نظروا إلى حمزة قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم له؟.

فعمل حمزة بالتقية من أجل الحفاظ على النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " والمسلمين والاسلام، فقال: ما اجتمعنا، وما ها هنا أحد، والله لا

يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي.
فرجعوا، وغدوا إلى عبد الله بن أبي، فقالوا له: قد بلغنا أن قومك
بايعوا محمدا على حربنا. والله، ما من حي أبغض من أن ينشب الحرب
بيننا وبينه منكم. فحلف لهم عبد الله: أنهم لم يفعلوا، ولا علم له بذلك،
وانهم لم يطلعوه على أمرهم؟ وتفرقت الأنصار، ورجع رسول الله إلى
مكة.

ولكن قريشا قد تأكدت بعد ذلك من صحة الخبر؟ فخرجت في
طلب الأنصار؟ فادركوا سعد بن عباد، والمنذر بن عمير. فاما المنذر
فاعجزهم. وأما سعد فأخذوه، وعذبوه. فبلغ خبره جبير بن
مطعم، والحرث بن حرب بن أمية، فأتياه وخلصاه؟ لأنه كان يجير لهما
تجارتهم، ويمنع الناس من التعدي عليها (١).

ولنا قبل المضي في الحديث ها هنا وقفات. فنشير أولا إلى:
دور العباس في بيعة العقبة:

تذكر بعض الرويات: أن العباس كان في بيعة العقبة مع النبي، ولم
يكن أحد غيره معه. ويقولون: إنه وإن كان حينئذ مشركا، ألا أنه أحب أن
يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له. وقد قدمنا ما ينسب إليه من قول في
هذه المناسبة.

(١) راجع في ما تقدم أي كتاب تاريخي أو حديثي شئت مثل: البحار ج ١٩
ص ١٢ / ١٣ وإعلام الوری ص ٥٧ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٧٢ / ٢٧٣ وتاريخ
الخميس ج ١ ص ٣١٨ / ٣١٩ ودلائل النبوة للبيهقي ط دار الكتب العلمية ج ٢
ص ٤٥٠ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢
ص ١٩٣ / ٢١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٧ وما قبلها وما بعدها والسيرة النبوية
لابن هشام ج ٢ ص ٨٨ وقبلها وبعدها. وغير ذلك كثير.

ولكننا نشك في صحة ذلك.
فأولاً: إن في الكلام المنسوب إلى العباس تخذيلاً واضحاً عن
النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وليس توثيقاً لامره كما يقولون، ولا
سيما قوله: " واستقلال بعداوة العرب قاطبة، ترميكم عن قوس واحدة
الخ "

إلا أن يقال: إن هذا الكلام من العباس، إنما هو لبيان الحقيقة،
ليكون الأنصار على بصيرة من أمرهم، حتى لا يكون منهم أي تعلق في
المستقبل.

وثانياً: إن في كلامه ما يخالف الحقيقة، ولا سيما قوله: " قد أبى
محمد الناس كلهم غيركم "؟ فإن معناه: أن الناس كلهم غير الأنصار قد
وافقوا النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، وقبلوا مناصرته، ولكنه هو
رفضهم. مع أن الأمر على عكس ذلك تماماً، باستثناء قبيلة شيبان بن
ثعلبة التي رضيت بحمايته مما يلي مياه العرب، دون ما يلي مياه كسرى (١)
وقبيلة شيبان ليست هي " الناس كلهم ".

واحتمال إرادة خصوص عشيرته لا يتلائم مع التعبير " الناس
كلهم ". واحتمال أن تكون العبارة: " أبى محمداً الناس " ليس له ما يؤيده،
لان النص الموجود بين أيدينا خلافه.

وثالثاً: إن موضوع الهجرة إلى المدينة لم يكن قد طرح بعد، ولم
يكن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " قد أرى دار هجرتهم ولا أخبرهم
برؤياه تلك، فمن أين علم العباس أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "
سوف يهاجر إلى المدينة؟ فهل نزل عليه الوحي في ذلك؟! لست أدري!!
ولكننا نقرا في كلامه قوله: " وقد أبى إلا الانحياز لكم، واللحوق بكم.

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥ و ١٦ وراجع السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٦٨.

إلى أن قال: وإن كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الان تدعوه الخ. "

إلا أن يكونوا قد طلبوا منه " صلى الله عليه وآله وسلم " أن يخرج إليهم، فظهر منه " صلى الله عليه وآله وسلم " الميل إلى إجابة طلبهم، وإن كان قد جاء ذلك بصيغة: لم أوامر بذلك، أي بالهجرة، ولكنه احتمال بعيد ولا شاهد له.

رابعاً: إن ما ينسب إلى العباس لا يصدر إلا عن مسلم مؤمن تام الايمان. ولم يكن العباس قد أسلم بعد بل بقي على شركه إلى وقعة بدر. وخرج لحرب النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " فيها مكرهاً، وأسلم ثمّة، كما سيأتي. بل سوف يأتي انه لم يسلم إلى فتح مكة. إلا أن يكون قد قال ذلك محاماة عن رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " بدافع الحمية والعصبية، ولكننا لم نر لهذه الحمية كبير أثر في مواقف العباس قبل وبعد ذلك. وهذا أمر يثير العجب حقاً. والذي نرجحه: هو أن الذي كان حاضراً وتكلم بكلام يهدف منه إلى شد العقدة له " صلى الله عليه وآله وسلم " هو العباس بن نضلة الأنصاري (١) وليس العباس بن عبد المطلب. ولذا يلاحظ مدى التشابه بين كلاميهما المنقول والمنسوب إليهما. فلعل الامر قد اشتبه على الراوي بين العباسين؟ لتشابه الاسمين، أو لعل العباسيين أرادوا اثبات فضيلة جليلة لجدهم، بهدف الحصول على مكاسب من نوع معين، ولعل، ولعل.

(١) الإصابة: ج ٢ ص ٢٧١، والبحار: ج ١٩، والسيرة الحلبية: ج ٢ ص ١٧، والسيرة النبوية لدحلان: ج ١ ص ١٥٣.

أبو بكر في العقبة:
وتذكر بعض الروايات الشاذة: أن أبا بكر قد حضر العقبة، وقد جعله العباس على فم الشعب.
ونحن لا نطيل في بيان بطلان هذا، بعد إن كانت سائر الروايات تنص على أنه لم يكن إلا حمزة، وعلي " رحمه الله "، والعباس. مع الشك في هذا الأخير أيضا، وإن حمزة وعلي قد خرجا إلى فم الشعب حينما علمت قريش بالامر، وهاجت بالسلاح وذلك في أواخر لحظات الاجتماع، حسبما تقدم.
حمزة وعلي " عليه السلام " في العقبة:
ان كون الاجتماع في دار عبد المطلب ليقرب صحة ما ورد من أن حمزة وعلي قد حضرا بيعة العقبة، خصوصا وأنه كان ثمة حاجة إليهما، ليقفا ذلك الموقف البطولي الرائع في وجه قريش وخيلائها وجبروتها؟ ليمنعها من دخول الشعب. ويعطيا الفرصة للمجتمعين للتحقق (١). حتى إذا دخلت قريش الشعب لم تجد أحدا؟ فترفع الامر إلى ابن أبي؟ فينكر ذلك. ولولا موقفهما ذاك لكانت قد جرت الأمور على غير ذلك النهج، ولوقع المسلمون في مأزق حرج وخطير جدا.
والغريب في الامر: أننا نجد عددا من الروايات لا تذكر حضور أمير المؤمنين " عليه السلام "، وأسد الله وأسد رسوله. مع أنها هي نفسها تذكر قضية تجمهر وهياج قريش، وغضبها من الاجتماع!! وإن كانت تسكت عن هجومها على الشعب، ودفع حمزة وعلي لها، بل تكتفي بذكر لقاءها

(١) ويحتمل البعض: أن بعض سفهاء قريش وليس كل قريش - قد حاولوا دخول الشعب فصدهم علي وحمزة ولكننا نقول لا مانع من تجمهر قريش.. لكن عليا وحمزة أعاقا وصولها إلى مكان الاجتماع إلى حين تفرق المجتمعين.

مع ابن أبي، ثم تتبعها للمسلمين، وظفرها بابن عبادة إلى آخر ما تقدم. وقد فات هؤلاء: أن. قريشا التي عرفت بالاجتماع بعد انفضاضه فغضبت، وهاجت، ثم اتصلت بابن أبي، فأنكر ذلك، ثم بعد انصراف الحاج لحقت بالمسلمين، وأذت سعد بن عبادة الخ، لا يمكن أن تسكت عن الهجوم على محل الاجتماع، وأخذ الأنصار والنبوي " صلى الله عليه وآله وسلم " بالحرم المشهود، وتكون حينئذ معذورة أمام من تريد الاعتذار منهم. فلماذا سكنت هنا. وغضبت وتصرفت بعنف هناك. وعلى كل حال، فقد عودنا هؤلاء أن نرى منهم كثيرا من أمثال هذه الخيانات للحق وللدین؟ لأهداف دنيوية رخيصة، وصدق المثل الذي يقول:

" لأمر ما جدع قصير أنفه "

ولعلك تقول: كيف يمكن لرجلين: ان يقفا في وجه قريش ويرداها على أعقابها؟! وهي في إبان غضبها، وأعلى درجات تحمسها. والجواب: أن الرجل الواحد أيضا كان يكفي لرد كيد قريش، وذلك لأن هذا الرجل والرجلين يقف أو يقفان على فم الشعب، حيث لا يمكن أن يعبر إلا أفراد أو جماعات صغيرة يمكن ردها على أعقابها برد الفئة الأولى منها. وقد كان يقال: إن عمرو بن عبد ود (الذي قتله أمير المؤمنين " عليه السلام " يعد بألف فارس، وذلك لأنه وقف على فم الوادي، ومنع الف فارس من ورودها، ولم يمكن دخول الألف إلا متفرقين بسبب ضيق المكان. سرية الاجتماع، والتقية.

إن المحافظة على سرية الاجتماع، التي بلغت الحد الذي لم يستطع حتى من كانوا ينامون مع المسلمين: أن يشعروا بشيء، ولا عرفوا

بغية رفقاتهم، وكذلك الحال في موعد الاجتماع ومكانه، والطريقة التي تم بها، رغم ضخامته، واتساع نطاقه - ان كل ذلك - ليعتبر مثلاً رائعاً، ودليلاً قوياً على مدى وعي أولئك المسلمين ويقظتهم، وحسن تدبيرهم. كما أنه برهان آخر على أن اللجوء إلى عنصر السرية لا يعتبر تخاذلاً، إذا كان المسلمون لا يملكون مقومات الدفاع عن أنفسهم في مقابل قوى الظلم والطغيان. وهو دليل آخر على أن التقية التي يقول بها الشيعة وأهل البيت، ونزل بها القرآن وتحكم بها الفطرة والعقل السليم هي الأسلوب الصحيح في التعامل مع الواقع بمرونة، ووعي، حينما يكون الباطل هو القوي مادياً ولا يملك أهل الحق ما يدفع عنهم أو يمنع شروط البيعة:

ونجد هنا: أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، قد أخبرهم بما سوف يعترض طريقهم من مشاكل وصعوبات، في سبيل نشر الدعوة، والدفاع عنها. ليكونوا على علم مسبق بذلك، وعلى بصيرة من أمرهم، ومن دون أي إبهام أو غموض. حتى لا يترك لهم في المستقبل مجالاً للاعتذار بأنهم ما كانوا يعرفون: أن الأمر سوف ينتهي بهم إلى ما انتهى إليه من مصاعب ومتاعب. بل هو لا يريد أن يشعروا في أنفسهم بالغبن، أو حتى أن يمر ذلك في وهمهم وخيالهم على الإطلاق. وهو بذلك يدل لكل أحد على أنه لا يريد أن يخدع أحداً بالوعد الخلاب، ولا أن يجعلهم يعيشون الآمال والأحلام الفارغة لان الوسيلة عنده جزء من الهدف، رغم أنه في أمس الحاجة إلى نصرتهم، بل هو لم يجد طيلة فترة دعوته غيرهم.

لماذا النقباء:

وان من طبيعة العربي الالتزام بالعهد، والوفاء بالذمار وتعتبر كل

قبيلة: أنها مسؤولة عن الوفاء بما يلتزم به أحد أفرادها، أو حلفائها عليها. وعندما بايع الأنصار النبي على الايمان والنصرة حسبا تقدم - أراد أن يلزمهم ذلك بشكل محدد، بحيث يستطيع أن يجد في المستقبل من يطالبه بالوفاء بالالتزامات والعهود، وكان أولئك النقباء هم الذين يتحملون مسؤولية الوفاء بتلك الالتزامات. وهم الذين يمكن مطالبتهم بذلك، لانهم هم الكفلاء لقومهم، برضى منهم ومن قومهم على حد سواء. أما إذا ترك الأمور في مجاريها العامة، فلربما يمكن لكل فرد أن يتملص ويتخلص من التزاماته، ويلقي التبعة على غيره، ويعتبر أن ذلك غير مطلوب منه، ولا يمكن بحسب تصوره أن يكون هو كفرد مسؤولا عنه. وأما بعد أن التزم ذلك أفراد معينون، كل واحد منهم من قبيلة. فإن المسؤولية قد أصبحت محدودة، ويمكن مطالبتهم بالوفاء بالتزاماتهم، كلما دعت الحاجة إلى ذلك. لا سيما في مواقف الحرب والدفاع. وبذلك تتعد القضية عن الأهواء الشخصية، والاهم من ذلك عن الفوضى في المواقف العامة، وتدخل مراحل التنظيم والبناء الاجتماعي على مستوى الفرد والجماعة. المشركون في مواجهة الامر: يلاحظ: أن المشركين قد اهتموا لأمر هذه البيعة جدا، حتى إنهم تهددوا أهل المدينة بالحرب، مستغلين بذلك ضعف المجتمع المدني، وتفككه بسبب الحروب الداخلية بين الأوس والخزرج. نعم، إنهم يهددونهم بالحرب، رغم أن حربا كهذه لسوف تجر عليهم أخطارا جسيمة من وجهة نظر اقتصادية، لان قوافلهم إلى الشام، محل تجارتهم المفضل كان طريقها على المدينة. مما يعني: أن المشركين كانوا يرون في هذه البيعة خطورة قصوى، تجعلهم يضطرون

إلى التضحية بعلاقاتهم الحسنة مع كل من يتقبل هذه الدعوة ويناصرهما، حتى ولو كانوا أهل المدينة، الذين كانوا يكرهون جدا أن تنشب الحرب فيما بينهم وبينهم، كما تقدم قولهم ذلك لابن أبي. كما أن ذلك يدلنا على مدى ما كان يتعرض له المسلمون في مكة من ظلم واضطهاد. منازعة الامر أهله:

قد تقدم أن من جملة ما اشترطه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم على أهل المدينة في ضمن نص البيعة، هو أن لا ينازعوا الامر أهله.

لان اشتراط ذلك في نص بيعة حساسة جدا في تاريخ الاسلام، ويتقرر مصير الاسلام على نجاحها وعدمه. وتعريض هذه البيعة لخطر الرفض والانفصام، فيما لو رفضوا الالتزام بذلك - كما كان الحال بالنسبة لبني عامر، حسبما تقدم - ان ذلك لما يدل على أن هذا الامر كان له أهمية قصوى بالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله الذي كان رأيه يمثل رأي الاسلام الواقعي. ويوضح أنه لن يتنازل عنه ولو تعرض لأعظم الاخطار. مما يعني: أن هذا الامر ليس له، لانما هو لله يضعه حيث يشاء. وأن هذا هو الامر الذي إذا لم يبلغه فما بلغ رسالة ربه سبحانه وتعالى. ويمكن أن نفهم من ذلك أيضا: أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان من أول الأمر يمهد السبيل لجهة معينة وإلا، فكيف ينهى الناس عن منازعة الامر أولئك الأهل المخصوصين والمؤهلين للملك والخلافة، ثم ينسى أن يعين شخص ذلك الخليفة منهم؟! وليعطف ذلك على ما تقدم من تعيينه ذلك الشخص حين إنذار عشيرته الأقربين. ثم على ما يأتي بعد من مواقف وتصريحات وكنيات له (ص)، ولا سيما في قضية الغدير.

النبي لم يؤمر بالحرب بعد:
كما أننا نجد " صلى الله عليه وآله وسلم " لا يأذن للمجتمعين في
العقبة بان يميلوا على قريش بأسيافهم؟ لان معنى ذلك هو القضاء على
هذا الدين، وعلى حماته الأبرار، ولا سيما مع قتلهم، وكونهم في
الموسم، الذي تجتمع فيه الناس من كل حدب وصوب، وكلهم على نهج
وطريقة، ومذاق قريش، ويدورون في فلكها دينيا وعقائديا وفكريا، وحتى
مصلحيا أيضا. ولن يكون هناك أية فرصة لانتصار الأنصار على عدوهم في
بلادهم.

وقريش التي ترى في المدينة أهمية خاصة لأنها على طريق قوافلها
إلى الشام ولأجل ذلك أطلقت سعد بن عبادة. لن تسكت على موقف
الأنصار هذا. ويكون لها كل الحق أمام أهل الموسم، وحتى أمام
المدنيين المشركين في أن تضربهم الضربة القاصمة والقاضية، لانهم في
موقف المعتدي، وعلى قريش أن ترد هذا الاعتداء بالكيفية وبالجم
الذي تراه مناسبا.

الباب الخامس:
من مكة إلى المدينة

(٣٢٩)

الفصل الأول:
ابتداء الهجرة إلى المدينة

(٣٣١)

ب - حب الوطن من الايمان:
لقد ورد عنهم عليهم السلام أن " حب الوطن من الايمان " (١) وإنما
بغض النظر عن سند هذا الحديث. لربما يصعب علينا - لأول وهلة -
تصور معنى سليم ومقبول لهذه الكلمة؟ إذ لماذا يكون حب الوطن من
الايمان؟! وهل يمكن أن يكون لهذا التراب بما هو تراب، ولد الانسان
عليه، وعاش في أجوائه، مهما كان وضعه الجغرافي سيئا، قيمة واحترام
إلى حد أن يعتبر حبه من الايمان؟ وبسوى هذا الحب، فإن الايمان يكون
ناقصا، وليس فيه تلك الفاعلية المتوخاة؟.
وأننا في مقام الإجابة على هذا السؤال، نقول:
أن هذا الحب الذي يهتم به الاسلام لا يمكن أن يكون حبا
عشوائيا، لا هدف له، ولا فائدة منه. ولا في خط مخالف للاسلام. وإنما
هو حب منسجم مع أهداف الاسلام العليا، ومن منطلق إيماني واقعي
إلهي، فإنه " من الايمان ".
كما أن الوطن الذي يعتبر الاسلام حبه من الايمان، ليس هو محل
ولادة الانسان، وإنما هو الوطن الاسلامي الكبير، الذي يعتبر الحفاظ عليه

(١) سفينة البحار ج ٢ ص ٦٦٨.

حفاظا على الدين والانسانية، لان به يعز الدين، وتعلو كلمة الله، وهو قوة للاسلام، لأنه محل استقرار وهدوء، وموضع بناء القوة فكريا وروحيا وماديا، ثم الحركة على صعيد التنفيذ للانتقال إلى الوضع الأفضل والأمثل. أما حيث الغربة وعدم الاستقرار، فهناك الضياع، وهدر الطاقات، وحيث لا يجد الانسان الفرصة للتأمل والتفكير في واقعه، ولا في مستقبله، ولو أنه استطاع ذلك، فلسوف لا يستطيع تنفيذ قراراته، لعدم المركزية التي تمنحه الحركة المنظمة، والثابتة. ثم التركيز والاستمرار. نعم، إن الوطن ليس إلا وسيلة للدفاع عن الدين والحق، وللوصول إلى الاهداف الخيرة والنبيلة، فالدين والانسان هو الأصل، والوطن وغيره لا بد وأن يكون في - خدمة هذا الدين، ومن أجل ذلك الانسان. فمن يحافظ على وطنه، ويحبه بدافع الحفاظ على الاسلام؟ وحبه، فإن حفاظه وحبه هذا يكون من الايمان.

وأما إذا كان الوطن وطن الشرك والكفر والانحراف، والانحطاط بإنسانية الانسان؟ فإن الحفاظ على وطن كهذا وحبه يكون حفاظا على الشرك وتقوية له، كما أن حبه هذا يكون من الكفر والشرك، لا من الايمان والاسلام.

ومن أجل ذلك فقد حكم الاسلام والقرآن على من كان في بلاد الشرك، وكان بقاؤه فيها موجبا لضعف دينه وإيمانه: أن يهاجر منها إلى بلاد الايمان والاسلام، إلى حيث يستطيع أن يحتفظ بدينه قويا فاعلا، وبإنسانية خلقة نبيلة قال تعالى: في إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا " (١).

(١) النساء / ٩٧.

بل إن محل ولادة الانسان إذا كان يحارب الدين الحق، ويسعى في اطفاء نور الله، فإنه يجب تدميره على كل أحد حتى على نفس هذا الذي ولد وعاش فيه (١).

ومن هنا نعرف أن هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من مكة إلى المدينة كانت هجرة طبيعية ومنسجمة مع مقتضيات الفطرة والعقل السليم والفكر الصحيح، الذي يلاحظ سمو الهدف ونبيل الغاية، ويقيم كل شئ انطلاقاً من ذلك الهدف، وعلى طريق الوصول والحصول على تلك الغاية.

وليكن هذا تمهيدا للحديث عن ظروف الهجرة وعواملها وأحداثها، في حدود ما يتناسب مع هذا الكتاب، فنقول:

دوافع الهجرة في مكة إلى المدينة:

إننا بالنسبة لدوافع الهجرة من مكة إلى المدينة يمكننا الإشارة إلى ما أولاً: إن مكة لم تعد أرضاً صالحة للدعوة، فقد حصل النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " منها على أقصى ما يمكن الحصول عليه، ولم يبق بعد أي أمل في دخول فئات جديدة في الدين الجديد، في المستقبل القريب على الأقل.

وقد كان ثمة مبرر لتحمل الأذى والمصاعب، حينما كان يؤمل أن تدخل في الاسلام جماعات تقويه، وتشد من أزره.

(١) ويرى العلامة المحقق الشيخ علي الأحمدي: أن معنى حب الوطن من الايمان: أن من يحب وطنه فإنه يسعى إلى تنقيته من الانحرافات، وحل مشاكله، وهداية مجتمعه إلى طريق الحق والايمان والاسلام، لان الايمان هو الذي يدفعه إلى ذلك، كما هو معلوم

أما بعد أن أعطت مكة كل ما لديها فأخرجت جماعات من شبان المؤمنين، ومن المستضعفين، ولم يبق فيها إلا ما يوجب الصد عن سبيل الله، ويضع الحواجز والعراقيل الكثيرة أمام تقدم هذا الدين، ويمنع من انتشاره واتساعه؟ فإن البقاء في مكة ليس فقط لا مبرر له، بل هو خيانة للدعوة الإسلامية، ومساعدة على حربها، والقضاء عليها، ولا سيما بعد أن جندت قريش كل طاقاتها للصد عن سبيل الله، وإطفاء نوره، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

نعم، لقد كان لا بد من الانتقال إلى مركز آخر، تضمن الدعوة فيه لنفسها حرية الحركة، في القول والعمل، بهدوء بال، واطمئنان خاطر، بعيدا عن ضغوط المشركين، وفي مناي عن مناطق سيطرتهم ونفوذهم. وقد رأينا: أنهم كانوا يلاحقون تحركات النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، ويرصدونها بدقة، ويتهددون، بل ويعذبون كل من يدخل في هذا الدين الجديد، ويخيفون كل من يحتمل دخولهم فيه.

ثانيا: إن الإسلام وممثلته وداعيته الرسول الأكرم " صلى الله عليه وآله وسلم " لا يمكن له أن يقتنع بهذا النصيب المحدود من التقدم، لأنه دينه دين البشرية جمعاء: (وما أرسلناك إلا كافة للناس) (١). وما حصل عليه حتى الآن لا يمكنه من تطبيق كافة تشريعات الإسلام، وتحقيق كامل أهدافه. ولا سيما بالنسبة إلى ذلك الجانب، الذي يعالج مشاكل الناس الاجتماعية وغيرها، مما يحتاج إلى القوة والمنعة في مجال فرض القانون والنظام.

ومن الناحية الأخرى: إنه إذا كان بنو عبد المطلب والهاشميون قد استطاعوا أن يؤمنوا الحماية لشخص الرسول من اعتداءات الآخرين على شخصه الكريم، فإنهم لم ولن يستطيعوا أن يؤمنوا له القدرة على حماية أصحابه. الذين دخلوا في هذا الدين، وقبلوا رسالة السماء. فضلا عن أن

يتمكنوا من تأمين الحد الأدنى من الحماية له، فيما لو أراد أن يتوسع في نشر رسالة الاسلام، وفرض هيمنة هذا الدين وسلطانه، إذا احتاج الامر إلى ذلك.

وأما بعد وفاة أبي طالب رحمه الله فإن الأمور قد تطورت بشكل مخيف، حتى بالنسبة إلى شخص النبي الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم "، كما رأينا وسنرى.

ثالثا: ولقد صمد أولئك الذين أسلموا سنوات طويلة في مواجهة التعذيب والظلم والاضطهاد، حتى لقد فر قسم منهم بدينه إلى بلاد الغربية، وبقي الباقون يواجهون محاولات فتنتهم عن دينهم، بمختلف وسائل القهر تارة، وبأساليب متنوعة من الاغراء أخرى. وإذا استثنينا أشخاصا معدودين، كحمزة أسد الله وأسد رسوله، وبعض من كانت لهم عشائر تمنعهم (١)، فإن بقية المسلمين كانوا غالبا من ضعفاء الناس، الذين لا يستطيعون حيلة، ولا يجدون سبيلا إلا الصبر، وتحمل الأذى.

وإذا فرض عليهم أن يستمروا في مواجهة هذه الآلام والمشاق، دونما أمل أو رجاء؟ فمهما كانت قناعتهم بهذا الدين قوية وراسخة؟ فإن من الطبيعي - والحالة هذه - أن يتطرق اليأس إلى نفوسهم، ثم الهروب والملل من حياة كهذه. وقد تستميلهم بعض الاغراءات العاجلة، فيهلكون ويهلكون؟ فإنه ليس بمقدورهم أن يقضوا حياتهم بالآلام والمتاعب. بل إن بعضهم - كما سيأتي - يهم بالعودة إلى الشرك، ويتطلب السبل لمصالحة مشركي مكة، حينما أشيع في غزوة أحد: أن النبي " صلى الله

(١) وحتى هؤلاء فإنهم لم يسلموا من الاضطهاد النفسي والمقت الاجتماعي المر. ولربما يكون ذلك بالنسبة لبعضهم أشد من التعذيب الجسدي، تبعا لنسبة الوعي والشعور المرهف الذي كان يمتاز به بعضهم على غيره.

عليه وآله وسلم " قد قتل. وقد نزل في ذلك قرآن يتلى إلى يوم القيامة:
(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا،
وسيجزي الله الشاكرين) (١).

رابعا: لقد رأيت قريش أخيرا: أنها قد اهدت للطريقة التي تستطيع
بواسطتها أن تقتل النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، دون أن تكون
مسؤولة أمام الهاشميين بشكل محدد. أو بالأحرى دون أن يستطيع
الهاشميون أن يطالبوا بدم النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ". وذلك بان
يقتله عشرة، كل واحد منهم من قبيلة، فيضيع دمه في القبائل، ولا
يستطيع الهاشميون مقاومتها جميعا؟ لانهم إما أن يقاتلوا القبائل كلها،
وتكون الدائرة عليهم، وأما أن يقبلوا بالدية، وهو الأرجح. وإذا قتل
النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، فإن القضاء على غيره من اتباعه يكون
أسهل وأيسر، ولا يشكل لقريش مشكلة ذات شان. بل وحتى لو تركوهم
على ما هم عليه، فإن أمرهم لسوف يصير إلى التلاشي والاضمحلال.
هكذا كانت تفكر قريش وتخطط. وهو تفكير محكوم بالعصبية
القبلية. ولكنه ذكي جدا. وبالامكان تحقيق الاهداف الشريرة تجاه
الرسول والرسالة من خلاله.

ولكن عناية الله سبحانه وإن كانت تشمل النبي " صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم " وترعاه، إلا أن من الواضح: أن إقدام قريش على تنفيذ مخططاتها
- فشلت أو نجحت - لسوف يعرض علاقاتها مع الهاشميين لنكسة خطيرة،
ولسوف تزيد مضاعفاتها بشكل مخيف ببقاء النبي " صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم " في مكة. كما أن عادة الله قد جرت على أن لا يحول بين أحد وبين
تنفيذ إرادته، بشكل قهري وقسري، إلا بنحو من العناية والالطاف التي

(١) سورة آل عمران ١٤٤.

تشمل ذلك النبي الذي يكون حفظه ضروريا لحفظ الدين والانسان.
فإرادة الانسان حرة طليقة، ولكن الله يسدد ويلهم ويؤيد من تستهدفه تلك
الإرادة بالشر والاذى.

وبعد كل ما تقدم يتضح: أنه كان لا بد للنبي الأعظم " صلى الله
عليه وآله وسلم "، ولمن معه من المسلمين من الخروج من مكة إلى مكان
أمن وسلام لا يشعرون فيه بأي ضغط، يملكون فيه حرية الحركة، وحرية
الكلمة، وحرية التخطيط لبناء مجتمع إسلامي يكون فيه النبي " صلى الله
عليه وآله وسلم " قادرا على القيام بنشر دعوته، وإبلاغ رسالته، على النحو
الأفضل والأكمل.

سر اختيار المدينة:

وأما عن سر اختيار النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " - الذي لا
ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى - للمدينة بالذات دارا لهجرته،
ومنطلقا لدعوته، دون غيرها كالحبشة مثلا؟ فذلك يرجع إلى عدة عوامل،
نذكر منها ما يلي:

١ - إن مكة كانت - كما قدمنا - تتمتع بمكانة خاصة في نفوس
الناس. وبدون السيطرة عليها، والقضاء على نفوذها الوثني، واستبداله
بالنفوذ الاسلامي؟ فإن الدعوة تعتبر فاشلة، وكل الجهود تبقى بدون
جدوى؟ فإن الدعوة كانت بحاجة إلى مكة، بنفس القدر الذي كانت مكة
بحاجة فيه إلى الدعوة.

فلا بد من اختيار مكان قريب منها، يمكن أن يمارس منه عليها
رقابة، ونوعا من الضغط السياسي والاقتصادي، وحتى العسكري إن لزم
الامر في الوقت المناسب، حينما لا بد له من أن يفرض سلطته عليها.
والمدينة، هي ذلك الموقع الذي تتوفر فيه مقومات هذا الضغط،

فهي تستطيع مضايقة مكة اقتصاديا؟ لوقوعها على طريق القوافل التجارية المكية، وقريش تعيش على التجارة بالدرجة الأولى. وقد تقدم قول المشركين لعبد الله بن أبي، حين بيعة العقبة: " ما من حي أبغض من أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم ". وتقدم أيضا: أنهم لما أخذوا سعد بن عبادة بعد بيعة العقبة وعذبوه، جاء الحارث بن حرب وجبير بن مطعم وخلصاه، لأنه كان يجير لهما تجارتهما.

وإذا كانت قريش قد لقيت من أبي ذر ما لقيت، حين أخذ عليها طريق تجارتها، فإن ما سوف تلقاه من أهل المدينة سيكون أشد، وأعظم خطرا، وأبعد أثرا، ولا سيما إذا عقد الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " تحالفات مع سائر القبائل المقيمة في المنطقة، كما حصل بالفعل، وكانت المعاهدة بصورة تجعلهم مضطرين لقطع علاقاتهم بالمشركين (١).

٢ - لقد عرفنا مما تقدم: أن الهجرة إلى المدينة هي الحل المفروض، الذي لا خيار معه؟ وذلك لان الهجرة إلى الطائف لم تكن بالتالي تجدي نفعاً، بعد أن رأينا: أن أهلها رفضوا الاستجابة إلى النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "، حينما هاجر إليهم، لانهم يرون: أن مكة هي التي تستطيع أن تضايقهم اقتصاديا، وهم إليها أحوج منها إليهم. ولأجل ذلك فإنهم لا يستطيعون في المستقبل المنظور على الأقل إلا أن يدوروا سياسيا في فلكها، وأن يخضعوا لسيطرتها. وأما سائر قبائل العرب؟ فلا يجدون في أنفسهم القدرة على ذلك. وقد جرب أن يعرف

(١) راجع: وثيقة المدينة الآتية في الجزء التالي من هذا الكتاب؟ أو آخر فصل: أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة. فقد جاء فيها ما يلي: " وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش، ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن ". وراجع: نشأة الدولة الإسلامية: ص ٢٨٩ - ٢٩٥.

مدى استعدادهم لقبول دعوته، والدفاع عنها؟ فوجد ما لا ينقع غلة، ولا يبل صدى، إن لم نقل أنه وجد ما يزيد الطين بلة، والامر خطورة. وأما اليمن، وفارس، والروم، وبلاد الشام وغيرها؟ فقد كانت خاضعة لسلطة الدولتين العظميين، اللتين لن يكون نصيب الرسول والرسالة منهما سوى المتاعب والأخطار الجسيمة. وقد تكلمنا عن شيء من ذلك عند الحديث عن عوامل انتصار الاسلام وانتشاره في أواخر الباب الأول من هذا الكتاب. ولسوف نرى أن كسرى قد حاول أن يقوم بعملية خطيرة تجاه الرسول ورسالته حينما أرسل إليه " صلى الله عليه وآله وسلم " يدعوه إلى الاسلام.

وأما الحبشة فهي بحكم موقعها الجغرافي مفصولة عن مكة، كما أنها بحكم واقعها الاجتماعي، والسياسي، والبشري، والعنصري، وبحكم كونها بلدا أفريقيا، فإنها ليست بلدا قادرا على إن يقود عملية التغيير العالمية الشاملة، لا اقتصاديا، ولا سياسيا، ولا عسكريا، ولا حتى فكريا، واجتماعيا.

أضف إلى ذلك أن مهاجمة مكة بجيش من الحبشة لسوف يدفع العرب كافة إلى الوقوف إلى جانب قريش ضده، بخلاف ما لو كانت عملية التغيير منطلقا من الداخل حينما يؤمن بدعوته الفقراء، والمستضعفون، ويواجه هؤلاء الملا والمستكبرين من قومهم بالذات. وهكذا يتضح: أنه ليس ثمة إلا المدينة، والمدينة فقط موقعا مناسباً للهجرة فكانت الهجرة إليها.

٣ - ومن الجهة الأخرى، فإن المدينة كانت أغنى من مكة زراعيا. أي أنها لو فرض عليها: أن تتعرض لضغط تجاري من نوع ما - مع أنه ليس باستطاعة مكة أن تفعل شيئا من ذلك - فإنها تستطيع أن تقاوم هذا الضغط، وتحفظ لنفسها بنوع من الحياة، ولو بصعوبة ما، من دون أن

تستسلم لإرادة الآخرين، وتنساق وراء رغباتهم، كما كان الحال بالنسبة لغيرها.

هذا عدا عن أن الدعوة التي تحتاج إلى نشاط واسع، وجهد شامل، لأنها تريد أن تقود عملية التغيير الشامل على مستوى عالمي - هذه الدعوة - تحتاج إلى استقرار اقتصادي داخلي، يستطيع أن يوفر الفرصة لحملة هذه الرسالة للحركة في سبيل نشر دينهم، وبث رسالتهم.

٤ - وإذا كان الحج من أهم تشريعات الإسلام؟ فما دامت مكة في أيدي الوثنيين؟ فإنه سوف يفقد أثره وفعاليته في مجال التربية السياسية، والاجتماعية، وفي غير ذلك من مجالات.

وأيضاً، فما دامت مكة في أيدي الوثنيين، فلسوف يبقى لهم نفوذ واسع في القبائل العربية، وقدسية من نوع ما في نفوسهم.

فلا بد إذن من اخراجها من أيديهم؟ لينتهي مالهم من رصيد معنوي في نفوس الناس، ولتنتفتح القلوب بكل ما لديها على الدين الجديد، ولتتمكن المسلم من أن يؤدي إحدى أعظم شعائره - الحج - بحرية تامة، دونما رادع أو زاجر.

ويدل على ذلك، ما يرويه الطبراني وغيره: أنه لما عرض النبي الإسلام على ذي الجوشن الضبابي، أبي أن يدخل فيه إلا أن يرى النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " قد غلب على الكعبة. وفي رواية أخرى، أنه قال له: " رأيت قومك قد كذبوك، وأخرجوك، وقاتلوك. فانظر ماذا تصنع؟ فان ظهرت عليهم آمنت بك، واتبعتك، وإن ظهروا عليك لم أتبعك (١).

(١) مجمع الزوائد ج ٦ ص ٦٨، وقال: " رواه عبد الله بن أحمد، وأبوه، ولم يسق المتن، والطبراني ورجالهما رجال الصحيح، وروى أبو داود بعضه " انتهى.

وبعد هذا، فإن أقرب المواقع إلى مكة هو المدينة، وهي التي تملك إلى جانب قوتها الاقتصادية كثافة سكانية جيدة، تستطيع أن تقوم بالمهمة التي توكل إليها تجاه مكة على أكمل وجه، ولا توجد هذه الميزة في أي من المناطق القريبة إلى مكة.

ونلاحظ: أن إيجاب الهجرة على من يسلم، قد جعل المدينة - بعد هجرة الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " إليها - في حالة نمو سكاني مستمر، يؤهلها لتحمل مسؤولية بناء دولة، وحماية منجزاتها على المدى المنظور.

٥ - إن أهل المدينة كانوا في الأصل من مهاجري اليمن، التي كانت تمتلك شيئاً من الحضارة البدائية في قديم الزمان، فهم ليسوا أعراباً؛ لتكون قلوبهم ممعنة في القسوة. ولا كان ثمة زعامات ومصالح خطيرة لهم في المنطقة، كما كان الحال بالنسبة لقريش، ولا كانوا يعيشون في تلك الأجواء النفسية المعينة، كما كانت تعيش قريش؟ نتيجة لموقعها النسبي في العدنانية، ولموقعها في زعامة مكة، وحجابه البيت. ثم هناك التنافس الظاهر بين العدنانية والقحطانية. حيث لا يسع القحطانيين، حتى ولو لم تكن ثمة دوافع دينية وعقيدية: أن يسلموا النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " إلى أعدائه.

ويشهد لهذا: أننا نجد بقايا هذا التنافي حتى إلى ما بعد وفاة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم "؟ فنجد أن عمر بن الخطاب قد فضل العدنانية على القحطانية في العطاء، الأمر الذي مهد السبيل أمام الأمويين لاستغلال هذه الروح وإشعال الفتن بين اليمانية والقيسية. إبان حكمهم البغيض. بينما نجد أمير المؤمنين " عليه السلام " لم يكن يرى لبني إسماعيل على بني إسحاق فضلاً. (ولهذا البحث مجال آخر).

٦ - ثم إن أهل المدينة قد ذاقوا مرارة الانحراف كأشد ما يكون،

وقد أنهكتهم الحروب واكتتهم، ويعيشون في رعب دائم وخوف مستمر، حتى إنهم ما كانوا يضعون السلاح لا في الليل ولا بالنهار (١). وتقدم أن الخزرج ذهبوا إلى مكة يطلبون الحلف من القرشيين فلم تلب قريش طلبهم. وكانوا يتمنون من كل قلوبهم: أن يجدوا مخرجا من المأزق الذي يرون أنفسهم فيه، حتى إن أسعد بن زرارة لا يخفي لهفته على هذا الامر؟ حيث قال للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم " حينما دعاه إلى الاسلام: (إنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين اخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك، ولا أحد أعز منك الخ، (٢). ثم وبعد أن دخل الاسلام إلى المدينة، فقد كان لا بد أيضا من الحفاظ على المسلمين فيها، وشد أزهرهم، حتى يمكن لهم الاستمرار في نصره هذا الدين، واعلاء كلمة الله.

٧ - لقد كانت بشائر اليهود بقرب ظهور نبي في المنطقة قد جعلت الكل مستعدين لقبول هذا الدين. ولكنهم يحتاجون إلى مناسبات دافعة، إلى ظروف مشجعة؟ فلماذا يهملهم الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم "، ولا يهيئ لهم الفرصة لذلك؟!.

٨ - هذا كله، عدا عن أن أهل المدينة أنفسهم قد طلبوا ذلك من النبي الأكرم (ص) وبايعوه بيعة العقبة، ووعدوه النصر، والنبي (ص) إنما يتصرف وفق الإرادة الإلهية التي لا تغيب عنها تلك المصالح وسواها. فالله هو الذي يرعاه ويسدده، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين. هذا ما رأينا الإشارة إليه في هذا الصدد.

(١) البحار: ج ١٩ ص ٨ و ٩ و ١٠، وأعلام الوري: ص ٥٥.

(٢) البحار: ج ١٩، وأعلام الوري: ص ٥٧.

المؤاخاة بين المهاجرين:
وكتمهيد لعملية الهجرة، حيث يفترض أن يواجه المسلمون الكثير من المصاعب، التي تحتاج إلى التعاون والتعاقد بأعلى مراتبه، كانت عملية المؤاخاة التي أريد بها السمو بعلاقات هذا الانسان عن المستوى المصلحي، وجعلها علاقة إلهية تصل إلى درجة الاخوة؟ ليكون أثرها في التعامل بين المسلمين أكثر طبيعية، وانسجاما، وبعيدا عن النوازع النفسية التي ربما توحى للمعين والمعان بأمور من شأنها أن تعقد العلاقات بينهما نفسيا على الأقل.

وقد رأينا: أن البعض يتوهم ترتب التوارث على هذه المؤاخاة دون الرحم، وذلك يدل على عمق تأثير هذا الحدث في المسلمين؟ في روحياتهم وفي علاقاتهم على حد سواء.
وعلى كل حال، فلقد آخى الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " قبل الهجرة فيما بين المهاجرين، على الحق والمواساة؟ فأخى بين أبي بكر وعمر، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين عثمان و عبد الرحمان بن عوف، وبين الزبير وابن مسعود وبين عبادة بن الحارث وبلال. وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد وطلحة، وبين علي " عليه السلام " ونفسه " صلى الله عليه وآله وسلم "، وقال: أما ترضى أن أكون أخاك؟.
قال: بلى يا رسول الله رضيت.
قال: فأنت أخي في الدنيا والآخرة (١).

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥ عن الاستيعاب. وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٣ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤ وتلخيصه للذهبي.

وسياتي إن شاء الله في الجزء الرابع من هذا الكتاب: أن النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " قد آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة. وسوف نذكر طائفة من مصادر حديث المؤاخاة هناك إن شاء الله ونذكر انكار ابن تيمية وغيره لحديث مؤاخاة مهاجري لمهاجري، وجوابه، ثم نعلق على حديث المؤاخاة بما نراه مناسباً؟ فإلى هناك. ابتداءً هجرة المسلمين إلى المدينة:

ويقول المؤرخون إن بيعة العقبة الثانية قد كانت قبل هجرة الرسول " صلى الله عليه وآله وسلم " إلى المدينة بثلاثة أشهر ويقولون أيضاً: إنه بعد أن عقد النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " بيعة العقبة الأولى - على الظاهر - مع أهل المدينة ولم يقدر أصحابه أن يقيموا بمكة بسبب إيذاء المشركين، ولم يصبروا على جفوتهم، رخص لهم " صلى الله عليه وآله وسلم " بالهجرة إلى المدينة. وبقي " صلى الله عليه وآله وسلم " بمكة ينتظر أن يؤذن له. فخرجوا أرسالا، حتى أذن الله سبحانه لنبيه الأكرم " صلى الله عليه وآله وسلم " بالهجرة، كما سياتي. المثل الأعلى:

وجدير بالتسجيل هنا: أن نرى المسلم الحقيقي يضحى بوطنه الذي نشأ وعاش فيه، وبكل ما يملك من متاع الحياة الدنيا، وبعلاقاته الاجتماعية، وروابطه النسبية ويقدم على معاداة الناس كلهم، حتى آبائه، وإخوانه وأبنائه. ويخرج من بلده ومسقط رأسه ليواجه مستقبلاً يعرف أنه ملئ بالأحداث والأخطار، كل ذلك في سبيل هدفه ودينه وعقيدته. وهو أروع مثل نستفيدة من عملية الهجرة. سواء في ذلك الهجرة إلى المدينة، أو الهجرة إلى الحبشة.

هجرة عمر بن الخطاب:
ومما يلفت النظر هنا ما يقال عن كيفية هجرة عمر بن الخطاب،
حيث يروون عن علي " عليه السلام " أنه قال:
ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا، إلا عمر بن
الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد بسيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في
يديه أسهما، واختصر عنزته، ومضى قبل الكعبة، والملا من قريش
بفنائها، فطاف بالبيت سبعا، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على
الحلق واحدة واحدة؟ فقال: شأته الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه
المعاطس، فمن أراد أن تشكله أمه، أو يؤتم ولده، أو ترمل زوجته، فليلقني
وراء هذا الوادي.

قال علي رضي الله عنه: فما تبعه أحد، ثم مضى لوجهه (١).
ونحن نقطع بعدم صحة هذا الكلام. لان عمر لم يكن يملك مثل
هذه الشجاعة، وذلك:

أولا: لما تقدم في حديث اسلامه عن البخاري وغيره، من أنه حين
أسلم اختبأ في داره خائفا، حتى جاءه العاص بن وائل، فأجاره، فخرج
حيثئذ.

وفي بدر تكلم وأساء الكلام، حيث كان يجبن النبي " صلى الله عليه
 وآله وسلم " والمسلمين.

ثانيا: إن مواقفه الحربية كانت عموما غير مشجعة لنا على تصديق
مثل هذا الكلام فلقد فر في أحد، وفر في حنين، رغم أنه يرى الخطر يتهدد

(١) منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٤ ص ٣٨٧ عن ابن عساكر، والسيره
الحلبية ج ٢ ص ٢١ / ٢٢، وأشار إلى ذلك في نور الابصار ص ١٥. وكنز العمال
ج ١٤ ص ٢٢١ / ٢٢٢ عن ابن عساكر.

الرسول الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم " فلا يلتفت إليه، ولا يفكر إلا في الحفاظ على نفسه.
وأما فراره في خيبر فهو أعجب وأعجب حيث إنه كان معه من يدافع ويحامي عنه.
أما في واقعة الخندق ففر فيها أيضا كما أنه لم يجرؤ على الخروج إلى عمرو بن عبد ود.
وحينما أخذ النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " سيفا في أحد، وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه طلبه أبو بكر، وعمر فلم يعطهما إياه. وأعطاه أبا دجانة. إلى غير ذلك مما لا مجال له هنا. ولسوف نشير إليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى. حين الكلام على الغزوات المشار إليها.
والغريب في الامر: أننا لم نر ولم نسمع: أن عمر، وأبا بكر، وعثمان قد قتل واحد منهم أحدا، أو بارز انسانا، وما ذكر من ذلك قد ثبت عدم صحته.
كما أنه لم يجرح أي من هؤلاء ولا دميت له يد ولا رجل في سبيل الله. مع أن أعظم صحابته " صلى الله عليه وآله وسلم " قد أصيبوا في الله وضحوا في سبيله، الامر الذي يشير إلى أن هؤلاء كانوا شجعانا في الرخاء، غير شجعان عند اللقاء.
ثالثا: لقد أشرنا فيما سبق إلى أنه لم يجرؤ على أن يأخذ رسالة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " للمكيين في عام الحديبية، بحجة: أن بني عدي لا ينصرونه ان أودى!! فمن كانت هذه فعالة في تلك المواقع الصعبة هل يحتاج إلى بني عدي، أو إلى غيرهم؟!.
رابعا: قال أبو سفيان في فتح مكة للعباس، حينما كانا يستعرضان الأولوية، فمر عمر، وله زجل: " يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟! " قال: عمر بن الخطاب.

قال: لقد أمر أمر بني عدي بعد - والله - قلة وذلة.
فقال العباس: يا أبا سفيان إن الله يرفع من يشاء بما يشاء، وإن عمر
ممن رفعه الاسلام (١).

وخامسا: إنهم متفقون على أن الرسول الأعظم " صلى الله عليه وآله
وسلم " كان أشجع البشر دون استثناء، بل سيأتي أن بعضهم يحاول ادعاء
أشجعية أبي بكر على سائر الصحابة - وإن كان سيأتي أن العكس هو
الصحيح - ونحن نرى في حديث الهجرة أن النبي " صلى الله عليه وآله
وسلم " يختفى في الغار، حذرا من المشركين، كما أن أبا بكر يخاف
ويبكي، رغم كونه مع النبي الأعظم، الذي يتولى الله رعايته وحمايته،
وظهرت له آئذ الكثير من المعجزات الدالة على ذلك. وقد ذكر الله
خوف وحزن أبي بكر في القرآن. فكيف يخاف أبو بكر ويحزن مع أنه إلى
جانب رسول الله الذي يتولى الله حمايته ورعايته، مع ادعاء محبي أبي بكر
أنه أشجع الصحابة بعد الرسول الأعظم " صلى الله عليه وآله وسلم " - نعم
كيف يخاف أبو بكر ولا يخاف عمر؟!!

ولماذا يعمل الرسول بالحزم، ويراعي جانب الحذر من قريش، ولا
يفعل ذلك عمر بن الخطاب؟!!

ولماذا لم يحم عمر رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم "، حتى
يخرجه من مكة إلى المدينة؟!!

ولماذا يرضى عمر للنبي " صلى الله عليه وآله وسلم " أن يتحمل كل
هذه الصعاب والمشاق، حتى يتمكن من التخلص من الورطة التي هو
فيها؟!!

(١) مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢١ وعن كنز العمال ج ٥ ص ٢٩٥ عن ابن عساكر من
طريق الواقدي.

بل إذا كان لعمر هذه الشجاعة والشدة؟ فلماذا يضطر النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " إلى الهجرة؟ فليحمله هذا البطل الشجاع، وليرد عنه بعض ما كانت قريش تؤذيه به؟ ١ .

ثم إننا لا ندري لماذا لم يحدثنا التاريخ عن موقف مماثل لحمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله، الذي شج رأس أبي جهل شجة منكرة، وعز المسلمون باسلامه؟! .

ولماذا يترك النبي والهاشميين محصورين في الشعب، يكادون يهلكون جوعاً، ولا يجرؤ أحد على أن يوصل لهم شيئاً من طعام؟! . لان عمر عند هؤلاء قد أسلم قبل الحصر في الشعب، وان كنا أثبتنا في ما تقدم بشكل قاطع: أنه قد أسلم قبل الهجرة بقليل.

إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة التي لن تجد لها عند هؤلاء الجواب المقنع والمفيد.

ما هي الحقيقة إذن؟! .

ولكن الحقيقة هي: أن هذا التهديد والوعيد إنما كان من أمير المؤمنين علي " عليه السلام "، حينما هاجر، ولحقه سبعة من المشركين في ضجنان وسيأتي تفصيل القضية حين الكلام على هجرة أمير المؤمنين علي " عليه السلام " بعد هجرة النبي " صلى الله عليه وآله وسلم ". ولكن أعداء علي " عليه السلام " لم يستطيعوا أن يتحملوا أن يروا هذه الكرامة له، ولا سيما بعد ما أثبت صحتها بمبيته على فراش النبي " صلى الله عليه وآله وسلم " ليلة الهجرة. وكما كان يبيت على فراش رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " مدة ثلاث سنين، يقيه بنفسه حينما كانوا محاصرين في شعب أبي طالب " رحمه الله ". فلما لم يكن إلى إنكارهم مبيته على الفراش سبيل أغاروا على

فضيلته الأخرى - كعادتهم - فاستولوا عليها، ونسبوا إليها إلى غيره - وعظموا من شأن أبي بكر في الغار - كما سيأتي حين الكلام على الهجرة إن شاء الله تعالى. بل إنهم لم يرضوا إلا أن تكون فضيلة عمر على لسان علي نفسه، كما عودونا في مناسبات كهذه، فإن ذلك أوقع في النفس، وأبعد عن الشبهة، وأدعى إلى القبول.

ولكن الله تعالى يقول: (بل نقذف بالباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) (١). وهكذا كان.

ماذا عن الهجرة إلى المدينة؟

لقد أمر رسول الله " صلى الله عليه وآله وسلم " أصحابه بالهجرة إلى المدينة، تمهيدا لخروجه هو " صلى الله عليه وآله وسلم " إليها أيضا، وقال لهم: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا يأمنون بها، فهاجر إليها المسلمون، بعضهم سرا، وبعضهم علانية، مضحين بوطنهم، وبعلاقاتهم، وكثير منهم بثرواتهم، ومكانتهم الاجتماعية وكل شيء، في سبيل دينهم، وعقيدتهم.

وهذا معناه: أن الدين والعقيدة فوق وأعلى من كل شيء؟ فالوطن، والمال، والجاه، وكل شيء لا قيمة له، إذا كان الدين مهددا بالخطر؟ لان الحفاظ على الدين الصحيح، معناه الحفاظ على الوطن والمال وكل شيء، وبدونه يكون كل شيء في معرض الزوال، إن لم يكن عبثا، أو فقل: خطرا يهدد هذا الانسان في كثير من الظروف والأحوال.

قريش والهجرة:

وقد قدمنا بعض الكلام حول الهجرة، وموقف قريش منها حين

(١) الأنبياء / ١٨.

الكلام على هجرة الحبشة فلا نعيد وإذا كانت قريش قد قاومت الهجرة إلى الحبشة بذلك الشكل القوي، حتى لقد حاولت استرجاع المسلمين من أرض الحبشة. فماذا عساها يكون موقفها من الهجرة إلى المدينة، والتي ترى فيها أعظم الخطر على مصالحها، وعلى وجودها ومستقبلها؟! لقد حاولت أن تمنع المسلمين من الهجرة بمختلف الوسائل، فكانت تحبس من تظفر به منهم، وتفتنه عن دينه، وتمارس ضده مختلف أساليب القهر والقسوة، فلم تنجح ولم تفلح وهي من الجهة الأخرى ترى نفسها عاجزة عن التصفية الجسدية لأكثر المسلمين؟ لان المهاجرين كانوا - عموماً - من القبائل المكية، وليس قتل أي منهم إلا سبباً في إثارة حرب أهلية بين المشركين أنفسهم. وهذا ولا شك ليس في مصلحة قريش في أي حال.

ويشهد لما ذكرناه ما حصل لأبي سلمة حينما خرج بزوجه وولده، فقام إليه رجال من بني المغيرة فآخذوا زوجته منه؟ لأنها منهم، فثار بنو عبد الأسد، قبيلة الزوج؟ فانتزعوا سلمة من أمه (١). وأدركت قريش: أن هذه الهجرة الواسعة سوف تعقبها هجرة الرسول الأعظم نفسه؟ ليمارس بحرية تامة عملية الريادة، والقيادة، والهداية بشكل أوسع وأعمق. ولسوف يحميه المدنيون بكل ما لديهم. فلم يكن لديها هم إلا المنع من تحقق ذلك بأي وسيلة تقدر عليها، أو حيلة تهتدى إليها.

(١) البداية ج ٣ ص ١٦٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢١٥ / ٢١٦.